

● شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

● تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب

العدد 7 ● السنة 22 ● محرم 1402 / نونبر 1981 ● الثمن 5 دراهم


التمهيد

لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

تأليف

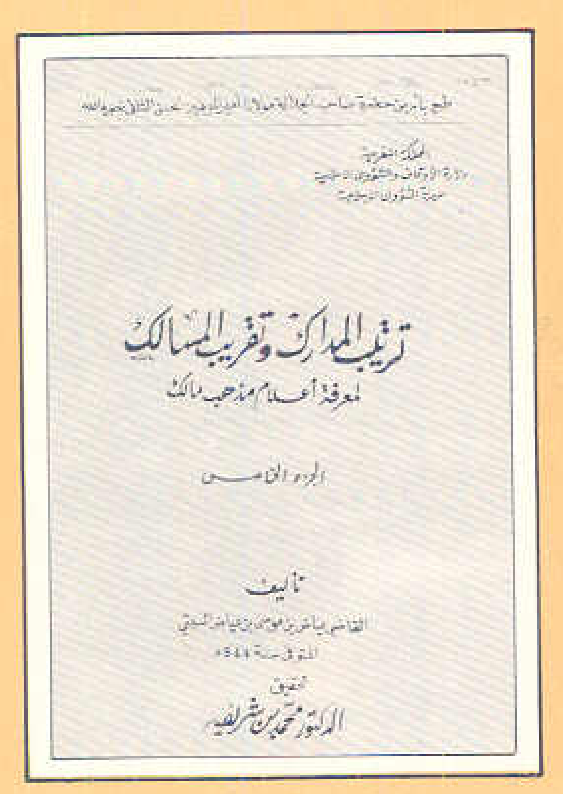
أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

الجزء الثامن

تحقيق

محمد الفلاح

1400 هـ - 1980 م


ترتيب المدارك وتقريب المسالك

لمعرفة أعلام مذهب مالك

الجزء الخامس

تأليف

القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي

المتوفى سنة 544هـ

تحقيق

الدكتور محمد بن شريفة

من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تاريخ

الطب العربي

للدكتور لوسيان لوكليرك

الجزء الأول

أعادت طبعه

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية

الرباط - 1980

تاريخ

الطب العربي

للدكتور لوسيان لوكليرك

الجزء الثاني

أعادت طبعه

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية

الرباط - 1980

بيانات إدارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعـــوة الحـــق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب الهاتف : 03 - 627 و 04 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل. و 67 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة 8 أعداد . لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

العدد 7
السنة 22

محـــرم 1402
نوفـمبر 1981

هذا العدد

•• تعكس هذه المجلة وجه المغرب الثقافي، وتبرز في حدود الصلاحيات الإعلامية والإمكانات الأدبية ملامح الفكر العربي الإسلامي في هذه البلاد، بقدر ما تبلور التطور الحديث في الكتابة والدراسة والبحث والاجتهاد والنظر.

• وإذا كانت (دعوة الحق) مرآة الثقافة المغربية طيلة ربع قرن، فإنها بذلك جديرة بأن تكون شاهدة على أساليب ومراحل التطور التي عرفتها بلادنا على امتداد هذه السنوات الطوال.

• ومجلة بهذه الخلفية الأدبية وبهذا الرصيد الفكري، وبهذا الاستقطاب المتزايد لأقلام مختلف الأجيال لايمكن أن تكون مجرد منبر ثقافي ليس إلا. ولكنها، في العمق والجوهر، واستنادا إلى معطيات الواقع، مدرسة في الفكر والأدب والدعوة والثقافة والمعرفة العربية الإسلامية والإنسانية عموما. ولا غرو أن تتصدر (دعوة الحق) الواجهة الصحافية في منطقة المغرب العربي وإفريقيا الغربية على وجه أشمل. بل إننا نستطيع أن نجزم في ثقة ويقين أنه باستثناء بعض المجلات المصرية المواظبة على الصدور أزيد من نصف قرن، فإن مجلتنا هي الوحيدة في القارة الإفريقية من حيث الانتظام في الصدور، والاستمرار في العطاء، والالتزام بالخط الفكري الهادف والجاد والمسؤول.

•• هذه المجلة، إذن، تستحق كل دعم ومؤازرة من القارىء والكاتب، ومن الخاص والعام، باعتبارها معلمة شامخة من معالم المغرب الحر المستقل.

• ودعم القارىء هو إقباله على مجلته وتتبعه لها وتزويد إدارتها بملاحظاته واقتراحاته وانتقاداته أيضا ودعم الكاتب هو الاستمرار في الإسهام في تحرير هذه المجلة وإيثارها بأبحاثه ودراساته وكتاباته.

كل ذلك لأن (دعوة الحق) مجلة فكر ورسالة ومسؤولية.

•• وفي هذا العدد، نواصل العطاء إثراء لفكرنا المغربي العربي الإسلامي، وخدمة للقارىء الذي هو صاحب الكلمة الأولى في هذه المجلة، وفي كل مجلة ناجحة وهادفة.

(دعوة الحق)

الثمن : 5 دراهـــم

بسم الله الرحمن الرحيم

القمة العربية الثانية عشرة

بداية المواجهة الحضارية

●● يتمثل في المغرب، وهو يحتضن القمم العربية، قمة تلو أخرى، الشموخ الحضاري، الذي جعله مناط أمل الأمة العربية الإسلامية ومعقد رجائها في حاضرها المضطرب ومسارها المنحرف، فقد أعطى المغرب بقيادة جلالة الملك القائد الحسن الثاني، على صعيد القضايا العربية والإسلامية من ذات نفسه، الشيء الكثير، مما هيأه للاضطلاع بمسؤوليات دقيقة ليست رعايته للقاءات العربية إلا مظهرا واحدا من مظاهر متعددة. ذلك أن المغرب يصدر في تحركاته العربية والإسلامية عن اقتناع ديني وقومي، وتفهم سياسي واع ورشيد لمعطيات الواقع في بلاد العروبة والإسلام، واستقراء دقيق للأجواء الدولية على أساس الاحتكاك والمعايشة والعلاقات المباشرة، ولذلك تأتي المبادرة المغربية، على جميع الأصعدة والمستويات ملبية لمطامح الأمة ومنسجمة مع الظواهر السياسية والعلاقات الدبلوماسية وهو مستوى من الرشد والوعي لايبلغه إلا من أوتي حظا وافرا من الإلهام والتوفيق والسداد، وكان معززا بثقة مطلقة، من القاعدة ومدعما بمساندة وتأييد على المستويين العربي والإسلامي ، وهذا هو الرصيد الذي ينفق منه جلالة الملك الحسن الثاني ويواجه به تحديات الخصوم وتحرشات الأعداء ومؤامرات العملاء.

●● ولقد أوفى المغرب بقيادته المؤمنة على الغاية من تحركه العربي والإسلامي، ووفى بالعهود والمواثيق التي التزم بها، ولم ينحرف قط عن المحجة البيضاء، ولم يستسلم أو يضعف، وإنما واصل المسيرة على بركة الله ينشد العزة والكرامة والسلام لجماهير أمتنا العظيمة، ويسعى من أجل الفتح والنصر ومسح عار الهزيمة.

● وليس من شك أن انعقاد مؤتمر القمة العربي الثاني عشر بمدينة فاس، إنما هو استمرار لهذه المسيرة العربية الإسلامية المظفرة، وامتداد لهذا الجهد المضني الشاق الذي يعتبره المغرب قدره الذي لافكاك منه. فلأول مرة منذ نشوب الصراع المحموم بين أمتنا العربية الإسلامية وبين الصهيونية اليهودية المؤيدة بالاستعمار والصليبية والشيوعية، يقف قادة العرب على أرض صلبة غير رخوة ويواجهون العدو بمنطق العصر ولغته، غير خاضعين للمهاترات العاطفية والتشنجات العرقية وردود الفعل الأدبية، وإنما أمرهم، في قمة فاس، أمر مَن عرف نفسه وأدرك قوته وعقد عزمه على بلوغ غايته، بالعلم والعقل وضبط النفس، لا بالوهم والخيال والهراء. وهي نقلة نوعية، إن صح القول، تعبر عن بداية مواجهة حضارية شاملة وضاربة لقوى العدوان من شأنها أن تكسر شوكة الصهيونية، وتلزمها على العدول عن كبريائها وغطرستها وعلوها في الأرض بغير حق.

●● إن قمة فاس، بملابساتها وظروفها، وأبعاد المعنى الذي تنطوي عليه تجسد المرحلة الجديدة التي بدأت مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري، فليس مما لا يلتفت إليه، أن يجتمع قادة العرب، وهم على ما نعرف جميعا، من تصدع في الصف، وغلو في الخصام، على صعيد واحد، ليقروا خطة عمل هي خلاصة فكرهم بلا منازع، إن في هذا اللقاء لعبرة وعظة، وانه لمؤشر على بلوغ مستوى من النضج حقيق بأن يدفع بهذه الأمة على طريق النصر القريب بإذن الله، ويقيها فتنة الأهواء والأغراض والنزعات.

●● ومن حق أي امرىء في قلبه حبة خردل من الوفاء لهذه الأمة والولاء لمقوماتها والايمان بدينها، أن يطمئن إلى سلامة المسيرة العربية الإسلامية وانضباط أمرها. في أعقاب ارهاصات النصر التي بدت في مؤتمر فاس، فلقد انهزمت الصهيونية، وخذل الاستعمار، وسقطت أقنعة الزيف، وبان الحق، وعقد أولو الأمر منا العزم على تغيير الأساليب التي كانوا يستخدمونها في المواجهة، والطرق التي سلكوها على مدى ثلث قرن. فمع تباشير القرن الهجري الجديد، ومواكبة للصحوة الإسلامية، بدأت المعركة الفاصلة على أسس سليمة وبعقلية جديدة وأسلوب متطور واستراتيجية هي موضع الإجماع على الرغم مما بدأ في الجو من خلاف في الفهم والتحليل، لأن الإجماع إنما هو إجماع الشعوب في المقام الأول.

● إن جلالة الملك الحسن الثاني، وهو يقود المسيرة العربية الإسلامية ويرود نهضة الأمة الصاحية الواعية المدركة لرسالتها، ليمثل، في تألقه وشموخ الدور الذي ينهض به، الأمل المرتجى ويجسد القيادة الرشيدة التي طالما افتقدتها قضايا العروبة والإسلام. وكل هذا من فضل ربي، والله يوتي الحكمة من يشاء، ويلهم السداد والرشد من يصطفى.

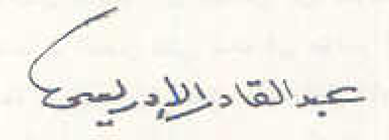
فلتكن وقفة مع النفس، في هذه المرحلة العصيبة، نعاهد فيها الله على العمل لصالح شعوبنا المتوثبة للتحرير والخلاص.

●● ولئن كان مؤتمر فاس قد أرجىء شطره الثاني إلى موعد يحدد فيما بعد، فإن هذا الإرجاء ، يمثل الحكمة العربية، ومستوى عاليا من ضبط النفس، والتحكم في الأهواء، ذلك أن المؤتمر استطاع أن يجنب الصف العربي مصيرا كان وشيك الوقوع، ويقي المجتمع العربي فتنة كانت محققة، وينقذ العمل العربي الجماعي من شر التشرذم والتمزق في وقت تتطلع فيه شعوبنا إلى التئام الصف ورأب الصدع وجمع الشتات. ويمكن القول، وقد كان من أمر المؤتمر ماكان، أن الموقف الحازم الصارم الشجاع الذي وقفه ملوك وأمراء ورؤساء الدول العربية في قمة فاس، بإرجاء المؤتمر إلى أجل قريب، هو عين الحق والصواب، وفي ذلك ما فيه من صيانة للكلمة العربية الموحدة وإتاحة الفرصة للمترددين الوجلين أن يراجعوا حساباتهم ويتراجعوا عن خطتهم، وينضموا إلى الصف العربي المتماسك.

●● وإذا نظرنا إلى الحدث من وجهة نظر فكرية عقلانية بعيدا عن الأجواء السياسية، أمكننا الحكم على موقف إرجاء المؤتمر بالفطنة والنزاهة وبعد النظر وسداد الرأي وحصافة الفكر، فلم يكن بالمستطاع التصرف على غير هذا القياس، ولم يكن ميسورا إتباع العواطف والانسياق مع النزعات لتفجير المؤتمر وضرب العمل العربي الوحدوي في الصميم، ولذلك، وكما قال جلالة الملك، نصره الله، وهو الحريص على كرامة العروبة وعزة الإسلام وقوة الأمة، فإن قرار الإرجاء جاء مناسبا للظرف ملبيا للحظة التاريخية الحاسمة التي نجتازها.

● والخلاصة، أن ما حدث في قمة فاس، هو الموقف الحكيم العاقل الذي، يعتبر في الحقيقة والواقع، بداية المواجهة الحضارية.

ويظل المغرب، في كل الحالات مركز إشعاع، ورباط فتح، وموضع ثقة قادتنا جميعا.



الأستاذ المجاهد الهاشمي الفيلالي

وزيراً للأوقاف والشؤون الاسلامية



●● عين صاحب الجلالة الأستاذ المجاهد الهاشمي الفيلالي وزيرا للأوقاف والشؤون الإسلامية خلفا للدكتور أحمد رمزي. وقد أقيم بهذه المناسبة بمقر الوزارة حفل تحدث خلاله السيد رمزي فودع موظفي الوزارة شاكرا إياهم على تعاونهم معه طوال أربع سنوات التي قضاها مسؤولا عن هذه الوزارة وحث الجميع على بذل الجهد لمواصلة العمل في نطاق المأموريات الملقاة على كل فرد من أسرة الأوقاف.

وتناول الكلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية فأبرز المغزى الحضاري الهام الذي ينطوي عليه قطاع الأوقاف وقداسة الدور الذي يقوم به، خاصة والمغرب يواجه ظروفا صعبة من جراء المؤامرات العدوانية التي يتعرض لها مما يقتضيه الدفاع عن حوزة ترابه. وأهاب السيد الوزير بأسرة الأوقاف أن ترقى إلى مستوى الجهد العام الذي يبذله الوطن من أجل حماية وحدتنا الترابية تحت قيادة جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

والسيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ الهاشمي الفيلالي من الرعيل الأول للوطنية المغربية عاش مختلف مراحل الكفاح الوطني انطلاقا من رحاب القرويين إلى المنافي والسجون. ويسجل له تاريخ المغرب الحديث مواقف نبيلة من الظهير البربري حيث كان من الأوائل الذين تصدوا للمشروع الصليبي الاستعماري وكافحوا من أجل المغرب المسلم الموحد الصفوف.

والسيد الهاشمي الفيلالي شغل منصب النائب الثاني لرئيس مجلس النواب. وهو عضو برلماني عن مدينة الدار البيضاء، وعضو في مجلس الأمن الذي يترأسه جلالة الملك. كما أن سيادته عضو في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال.

وفق الله العاملين لخدمة الإسلام وثقافته ودعوته ورسالته تحت قيادة أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والمذهب والعقيدة والدين جلالة الملك الحسن الثاني أعز الله ملكه وخلد في الصالحين ذكره.

و (دعوة الحق) تتمنى للسيد الوزير المجاهد المؤمن كامل التوفيق وسابغ العناية الربانية في موقعه الجديد ●●

المجالس العلمية الإقليمية

●● نواصل نشر كلمات السادة العلماء رؤساء المجالس العلمية بالمملكة . وننشر في هذا العدد كلمات السادة الاساتذة الفضلاء : محمد بن عبد الله العلوي رئيس المجلس العلمي بالدار البيضاء، المقدم بوزيان رئيس المجلس العلمي بالناظور محمد حدو أمزيان رئيس المجلس العلمي بتطوان.

كما يتضمن هذا العدد موضوعين قيمين لعالمين فاضلين هما الاستاذ الرحالي الفاروقي عن (دور المجالس العلمية قديما وحديثا) والاستاذ محمد حدو أمزيان عن (علماء الاسلام وفقاؤه الأصليون).

و (دعوة الحق)، استكمالا للملف الخاص بالمجالس العلمية في المملكة ستنشر مستقبلا الموضوعات والمواد المتعلقة بالموضوع ●●

كلمة
الأستاذ محمد بن عبد الله العلوي
رئيس المجلس العلمي بالدار البيضاء

من جميل تراث الدولة العلوية الشريفة وكريم مفاخرها الاعتناء بالدين ونصرته ونشره بين الشعب المغربي إذ ما فتىء ملوكها الأماجد العلويون يسهرون على نصرة الشريعة الإسلامية منذ تربعوا على عرش المغرب ما يزيد على ثلاثة قرون ونصف.

انه لسجل حافل ما خلده الملوك العلويون من الدفاع عن الإسلام والمسلمين فرسالة مولانا السلطان مولاي سليمان الذي كان مجدد القرن الثالث عشر الهجري التي أعلن فيها الخطر الذي كان يهدد الإسلام بانتشار الخرافات والأوهام واعلنها حربا على الخرافة والبدع والضلالات التي كانت منتشرة أنذاك.

وكذلك مولانا السلطان الحسن الأول مجدد القرن الرابع عشر الهجري الذي أصدر رسالته المشهورة ونشرها بين المسلمين يحذرهم فيها من الخطر المحدق بالإسلام والمسلمين.

لذلك لا يستغرب هذا الأمر العظيم الذي سنه جلالة الحسن الثاني نصره الله بإنشاء هذه المجالس العلمية لنشر التوعية الإسلامية والدفاع عن المبادىء الإسلامية وردا للشبهات الزائغة التي يوردها خصوم الإسلام والمسلمين شأن أسلافه الكرام وخصوصا جلالة الملك المعظم رضوان الله عليه محمد الخامس إذ ما فتىء طول حياته يذب عن الإسلام مع ولي عهده مولانا الحسن أطال بقاءه.

أبقاه الله ذخرا لهذه البلاد حتى تصل إلى ما يتمناه لها من وحدة وتماسك ورقي مادي ومعنوي وحفظ ولي عهده الأمير سيدي محمد وشقيقه المولى الرشيد وسائر الأسرة الكريمة المجيدة انه سميع مجيب امين والسلام.

كلمة الأستاذ محمد حدو أمزيان
رئيس المجلس العلمي بتطوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

السيد مستشار جلالة الملك. السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية.

السيد وزير التربية الوطنية وتكوين الأطر.

السيد عامل الإقليم.

حضرات أصحاب الفضيلة العلماء.

والسادة الهيأة القضائية.

حضرات السادة . والاخوة الأعزاء.

في البداية أحييكم جميعا تحية إسلامية مباركة طيبة.

أيها السادة. نحن اليوم وفي رحاب هذا المسجد الجامع على موعد مع هذا الوفد السامي الكريم المشكور على ماتجسمه من مشاق السفر في رمضان. ذلك الوفد الذي أوفده مولانا أمير المومنين الى مدينتنا هذه لتكريم العلم وأهله في شخص بعض علمائها. ولقد حضر لتنصيب المجلس العلمي ـ الجهوي كما علمتم. الذي تكرم أمير

ـمنين بتعيينه في هذا الإقليم. وإن دل هذا علـى شـيء
ـا يدل على ماجبل عليه حفظه الله من حب مكين
ـلم والعلماء وكريم عنايته بهم وحسن رعايته لهم وذلك
ـداد لما ورثه حفظه الله عن أسلافه المنعمين ملوك هذه
ـرة العلوية المجيدة الذين ما انفكوا منذ أن قلدهم الله
ـم هذه الدولة يناصرون العلم والعلماء ويقربونهم
ـخصونهم بما هم أهل له من الرعاية والكرامة.

ـادتي : ان القيم الرفيعة للحياة لاتتحقق إلا بالعلم.
ـعلم وحده وهذا السر العزيز نبه إليه الحق جل جلاله
ـ الذكر الحكيم فقال عز من قائل : **يا أيها الذين
ـوا استجيبوا لله وللرسول إذادعاكم لما يحييكم**
ـ يدعوهم إلى معرفة الله. وهذه غاية الغايات وهو
ـوهم إلى معرفة الشرائع التي تغريهم بالفضائل. وتنزههم
ـلرذائل. وهو يدعوهم إلى معرفة جميع ما ينفعهم في
ـن والدنيا والآخرة. وهو يدعوهم إلى معرفة ما يرفع من
ـم وقيمتهم ماديا وأدبيا وما يمنحهم السعادة العاجلة
ـلة ـ فمقياس رتب الأمم في الكمالات الإنسانية هو

ـ حظهم من العلم. ولهذه الحقيقة الجديرة بقائق
ـار، تم أمر الحق جل جلاله رسوله الذي بعثه رحمـة
ـين وهاديا ومرشدا لهم لم يأمر صلى الله عليه وسلم
ـطلب المزيد من شيء مهما كانت قيمته وعائدته الا
ـعلم حيث قال : «وقل ربي زدني علما» وهذه إشادة ـ
ـ لاتضاهي بما عداه على الاطلاق. وأيضا وفي
ـوع عبرة باهرة ـ تشد إليها الأنظار والأفكار ألا وهو
ـ الملائكة لأبي البشر. فإنه لم يكن لمزية العبادة ولا
ـا من المزايا ان لم يكن إلا لمزية احاطته عليه السلام
ـبكل ما عرض عليه الحق جل جلاله من أشياء وما
ـمن أسماء تلك الأشياء فقد وعاها على التمام والكمال.
ـاع أن يضع الأسماء على مسمياته وهذه هي. وسام

عظمة الإنسان. وها هو ذا جل جلاله يزيدنا علما بشفوف قيم العلم وبلوغها ذروة فيقول عز. من قائل :

«شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى قوله ان الدين عند الله الإسلام فقد نزل سبحانه وتعالى شهادة أولى العلم منزلة الدعم والتعزيز والتأييد لشهادته وشهادة الملائكة وما ذلك الاهتمام إلا للتنصيص والتنبيه على عظم شأن العلم وقدر العلماء والاعلام الإنسانية كافة بأن دين الإسلام دين العلم وبأن أمة الإسلام هي أمة العلم وكفى بذلك عزا واعتزازا ونحن نسجل هذا للنزهاء والنبلاء.

أيها السادة : لقد بين سيدنا حفظه الله في الخطاب المولوي الهام الذي ألقاه في الضريح يوم عاشر رمضان بمناسبة ذكرى فقيد العروبة والإسلام مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه. أقول بين مهمة العلماء التي تتلخص في تعليم الناس أمور دينهم ونشر السنة الطاهرة وعلوم القرآن الكريم وخاصة التفسير وكذا إرواء ما يحس به الشباب من التعطش الفكري. وإيجاد الحلول الناجحة لاحداث العصر ومشاكل الشباب ومواجهة التيارات الهدامة والمذاهب الفاسدة بالبراهين والحجج الدامغة المؤيدة بالنقل والعقل.

فبقلب مليء بأسمى المشاعر وخالص العواطف وباسم علماء هذا الإقليم السعيد وخاصة أعضاء المجلس العلمي المؤسس على الايمان والتقوى والتفاني في حب الرسالة العلمية وخدمة الدعوة المحمدية والعمل على نشر السنة الطاهرة واحياء تعاليم الكتاب والسنة في دائرة الأصالة المغربية وفي ظل الملكية الدستورية يسعدني ويشرفني أن أتقدم للسدة العالية بالله باسمى عبارات الولاء والشكر والامتنان للأيادي الكريمة التي أسبغها على هذه الناحية الوفية من مملكته الشريفة، صاحب الجلالة الحسن الثاني حفظه الله حيث زاد في أمجادها ورفع من

سلم اعتبارها بتاسيس هذا المجلس العلمي خدمة للدين والثقافة المتفتحة وحماية للعقيدة المحمدية الإسلامية من زيغ الضالين المضلين.

وإنني وزملائي الأعضاء نعاهده على أن نسير في النهج الذي رسمه وطبق الأهداف السامية التي أرشد إليها حتى نسير نحن وكافة أعضاء المجالس العلمية الأخرى بهذه الأمة في طريق الصلاح والخير. والمجد والعزة دينيا ـ ودنيويا. ولله العزة ولرسوله وللمومنين.

وفي الختام والله نسأل أن يحفظ لنا هذا الإمام الهمام فخر الدولة العلوية التي قامت على أساس التجديد وحماية الملة وأن يحفظ لنا الأوطان في سلام وأمان وتقدم وازدهار ويعيد للإسلام مجده الغابر في هذا العصر الحائر وأن ينير قلوبنا بنور النبوة ويصلح أحوالنا ويطهر قلوبنا ويوحد صفوفنا لنصرة الإسلام والمسلمين. كما نضرع إليه سبحانه أن يقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب وسائر أفراد أسرته الشريفة انه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير والسلام عليكم.

كلمة الأستاذ المقدم بوزيان
رئيس المجلس العلمي بالناظور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

سيادة مستشار صاحب الجلالة.

معالي الوزراء.

سعادة العامل.

حضرات السادة المؤمنين.

انه لشرف عظيم وانها لفرصة كريمة في هذا الاجتماع الروحي الخاشع أن أعبر أصالة عن نفسي ونيابة عن إخواني أعضاء المجلس العلمي الإقليمي بمدينة الناظور الذي تم تنصيبه الآونة هذه ـ عن عظيم ارتياحنا وأعمق امتناننا وفرحتنا الكبرى التي شعرنا بها جميعا ازاء هذه الالتفاتة المولوية الكريمة التي حظي بها إقليم الناظور وازاء هذه الثقة الغالية والامانة العظمى التي قلدها ايانا مولانا أمير المؤمنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله.

هذه الامانة التي تتجلى في تنوير الأمة وتوعيتها وتنشئتها على تعاليم الإسلام الصحيحة المستقاة من المنبع الصافي كتاب الله وسنة رسول الله هذان الاصلان اللذان قال فيهما امامنا مالك رضي الله عنه وأرضاه ((لو صرت من العلوم في غاية ومن الفهوم في نهاية ما خرجت عن أصلين كتاب الله وسنة رسول الله)).

والمغرب المسلم كما نعلم على امتداد التاريخ كان ولا يزال يقف ضد التحديات الصليبية والغزو الفكري الأجنبي لبلادنا وكلنا متيقنون أن باعث النهضة الإسلامية ورائد وحدتنا الترابية جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله يريد لهذه الأمة أن تستمر كما كانت دائما وأبدا منذ دخول المولى ادريس الأول إلى الوقت الحاضر وحتى تلقى الله على قداستها الإسلامية وأصالتها العريقة وأخلاقها الفاضلة وحضارتها العربية حتى تكون خير أمة أخرجت للناس روحيا وأخلاقيا بالمساجد وبمقدسات الإسلام وماديا واقتصاديا بالمشاريع العمرانية والتقدمية والمصانع والمعامل والسدود التي تلقاك في كل مكان من ربوع مغربنا الكريم.

هذا ولي كامل اليقين انكم بتنصيبكم معالي الوزراء هذه المجالس العلمية في نفحات رمضان الأبرك ستتحقق الأمنية الغالية والأهداف النبيلة التي يتوخاها سيدنا

المنصور بالله من خلق هذه المجالس في اقاليم مملكته الشريفة ألا وهي المحافظة على التراث الأصيل وتوحيد مذهب الأمة وان الإسلام عبادة ومعاملة ودين ودنيا حتى تبقى هذه الأمة المغربية دائما شامخة الرأس مرفوعة الكلمة معززة الجانب والاطراف بالمواقف البطولية لحامي حمى دينها ووطنها وبانتصاراته الباهرة المعهودة وبما أتاه الله من الحكمة وفصل الخطاب. يقول رسول الله (ص) من أسدى إليكم معروفا فكافئوه.

اللهم ان الحسن الثاني قد أسدى إلى هذه الأمة معروفا في دينها معروفا في دنياها فكافئه بالخير وكافئه بما كافأت به عبادك الصالحين المخلصين. اللهم اجعل دعواتنا الصالحة تحفه وتحيط به من كل جانب سيما في هذا الشهر المبارك، شهر الرحمة والبركات. اللهم انصره نصرا مؤزرا واعل به كلمة الإسلام إلى ما يطمح إليه من مزيد من المكاسب والانتصارات ومتع اللهم بوجــوده الإســلام والمسلمين واحفظه في ولي عهده وقرة عينه سمو الأمير المحبوب سيدي محمد وصنوه الجليل مولاي رشيد وسائر أفراد الأسرة المالكة الكريمة انه سميع مجيب والسلام...





للأستاذ الرحالي الفاروق

لقد تفضلت وزارة الأوقاف، مشكورة، فرغبت إلي، وأنا المتعب النفس والجسم، زاد الله في نشاطها لصالح الإسلام والمسلمين، في هذه الديار وكل ديار المسلمين، حيثما كانوا، وأنى وجدوا، خدمة للإسلام، واعلاء لشأنه، على كافة الواجهات، ومختلف المستويات، رغبت إلى أن : أسهم بسهمي، وأدلو بدلوى بكلمة حددت اطارها في العنوان اعلاه، تكون ضمن العدد الخاص بالمجالس العلمية من مجلة دعوة الحق، الناطقة بالحق، والمدافعة عن الحق، والصادعة بالحق في كل ما يتصل بالفكر الإسلامي عقيدة وعبادة، معاملة وسلوكا، عبر القرون والأجيال، رابطة الحاضر بالماضي، ومحاولة البناء عليهما، بتوفيق من الله، ذلك الصرح الشامخ الذي يتطلع إليه المجتمع الإسلامي وهو يخطو أولى خطواته نحو النور، نحو الكرامة، نحو العزة التي جعلها الله له، جل جلاله، ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمومنين.

ولئن كانت الرغبة المتقدم بها إلي رغبة لا أشك لحظة في الحافز، الداعي إليها، والباعث الذى يكمن وراءها، ذلك الحافز وذلك الباعث الذى لا يعادلهما الا رغبتي الأكيدة والصادقة في الإسراع بتلبية الطلب، وتحقيق الرغبة، لولا الموانع والعوائق.

ومع ذلك ها أننا أسهم بالكتابة في الموضوع المقترح، دور المجالس العلمية قديما وحديثا، ذلك الدور الذى طالما تطرقت اليه الأقلام، وسودت فيه الصحف، وراح الناس يكتبون عنه وفيه الكثير، وما ذلك الا لما له من أثر وأثر بالغ في حياة الأمة في دينها ودنياها، في يومها وغدها كما هو في أمسها وحضور دائم تتأكد قيمته كلما قل الدعاة، وكثر الإنحراف، وأفل نجم المعرفة أو كاد، وأصبح المعروف منكرا، والمنكر معروفا، وتطاول على الدعوة غير أبنائها وبرزت أنياب الفتنة كاشرة كالحة لا يردعها دين، ولا ينهنهها خلق، ولا تحد من غلوائها تربية، تستعر نيرانها بقوة تريد التهام الأخضر واليابس، وترتفع ألسنتها في عنان السماء تريد تدمير كل ما تواضع عليه الإنسان كأغلى قيمة يعتز بها في وجوده، ويعيش عليها ككائن يرى من

الواجب عليه الحفاظ عليها ولو من باب الحفاظ على النوع، إن لم يأخذ ذلك على أساس من العقيدة، والمذهب، والدين. أخذه من باب مكارم الأخلاق، والتفتح الحضاري الذى ما كان ولن يكون الا من صميم الإسلام، وتبعا لمبادئه وقيمه ومثله العليا التي منذ أن تخلت عنها أمة الإسلام أصيبت بالإفلاس، وباءت بالخسارة ولحقها الذل والهوان، وكانت إصابتها من نفسها أكبر بكثير من اصابتها من خصومها التقليديين وأعدائها المتربصين، وقديما قيل، يفعل الجاهل بنفسه، ما لا يفعله العدو بعدوه.

ان البناء إذا تصدع أسه
كان الخراب له عليه دليلا

وبعد، فما هو دور المجالس العلمية بالمغرب منذ أن كان العلم والعلماء وهل كان لذلك الدور حد ينتهي إليه، أو مجال لا يجوز تخطيه، وهل أدى ذلك الدور على أكمل الوجوه ؟ أم اعتراه ضعف وفتور، وما هي الأسباب الموضوعية لذلك عبر التاريخ على وجه الإنصاف، وهل كان لمفهوم الوراثة من المأثور في الأثر أثر في توجيه ذلك الدور الطلائعي للمجالس العلمية بالمغرب بالمدلول العام ؟ حيث لم تكن هناك مجالس علمية بالمعنى الذى هي عليه الآن، وإنما كانت هناك مشيخات تتجمع في النهاية في شيخ الجماعة الذي كان المرجع الأول والأخير في كل ما يتصل بشؤون الدين ويعود بالمصلحة على الجماعة المسلمة، اعتدادا بعلمه، وانصياعا لقوله، ونزولا عند حكمه، متى ما سار في المنهج المستقيم، وأعلن كلمة الله التي أمر بها.

إنها أسئلة أرى من الصعب الإجابة عنها دفعة واحدة، في مثل هذه العجالة مع الإستعجال إذ كل سؤال منها يحتاج إلى أكثر من وقفة في دفتر التاريخ لبيان ملامحه الخاصة المميزة له، ومدى ما تم في ذلك قوة وضعفا، مع ما يكتنف ذلك من دوافع مشجعة، أو موانع عائقة، حتى نكون في مستوى الإطار المحدد للمقال، وحتى نوفي الامانة العلمية حقها، من دون ما أن نجور أو نحيف، بل نعدل وننصف، والإنصاف منذ كان شيمة الصديقين، ومطلب الصادقين وغنيمة المقلين وثروة المفلسين.

ومع ذلك أستطيع أن أقول اعتمادا على الحقيقة في الغالب الأغلب، أن المجالس العلمية، وهي بعلمائها، في كل جهة من جهات المغرب قديما، ونرجو أن تكون في الحديث كذلك، كانت تقوم بالدور الذى يمليه عليها الواجب والوازع الديني، وتفرضه عليها الأمانة العلمية، وتلتزم بالميثاق المأخوذ عليها في البيان وعدم الكتمان في الآية الشريفة (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا) الآية، من دون أن يؤدى بها ذلك إلى الشطط في القول والاحراج في الموقف ما دامت هناك مندوحة عنه ، مع مراعاة المبدأ المشهور في الفقه المالكي، درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، واعتبار المحيط زمانا ومكانا، حتى تتفاعل السلطة الدينية والدنيوية تفاعلا مطردا يصل بهما في النهاية إلى تحقيق السعادة للإنسان المغربي المسلم، وأبعاده عن أن تجتاحه شياطين الغواية والضلال، أو تعبث به سموم الأفكار الضالة المضلة، فيتيه في متاهات الشك والحيرة، وتلتبس عليه الأمور بعد أن كان يسير على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، كما قال من لا ينطق عن الهوى.

وليس هناك تعبير أجمع وأكمل، وأعم وأشمل من تعبيره صلى الله عليه وسلم بالهالك، لأنه من مشكاة الوحي في معرض النتيجة الحتمية التي يمكن أن تصل إليها الأمة بفساد أفرادها، متى ما أعرضت عن كتاب الله وسنة نبيه، مما يصوره أدق وأبلغ تصوير واقع المسلمين في

عصورهم الأخيرة من هوان وانحطاط، وذل واضطهاد، لما نبذوا كتاب الله وراءهم ظهريا، وتنكروا لتعاليم دينهم الحنيف، واستبدلوا بذلك، لخذلان حل بهم، كل ما وصل إليهم من خزايا الإستعمار والصليبية، والعقائد المادية الملحدة الملغومة بالصهيونية.

ومن الثابت الذى يؤكده الواقع المرير أن هذه القوات التي عاشت على حرب الإسلام نظرا للخطر الذى يمثله ضدا عليها بقيمه ومثله ومبادئه، لن يهدأ لها بال، أو تطيب لها نفس ما لم تر في يومها أو غدها، وقد تحقق لها بوسائل المكر والخديعة، والعبث والوقيعة ، ما عجزت عن تحقيقه، خلال التاريخ، بالقوة المادية الطاغية الباغية التي كانت تلقى من قوة الجهاد بقيادة الإسلام، وريادة المسلمين الأشاوس الأبطال، ما جعلها في كل عصر ومصر ترجع مندحرة منكسرة تحت ضربات الإيمان الذى يعلم المستمسك به أول ما يعلمه في ميدان الحرب أن لا يولي أعداءه الادبار، مقاومة وجلادا، واستبسالا واستشهادا.

فلنحذر كل الحذر هؤلاء الأعداء، ولنستعد لمجابهتهم بسلاح الإيمان فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

إن القلم ليجمح بصاحبه أحيانا وهو يعالج موضوعا خطيرا كهذا من الجدية بمكان.

وبما أن لكل مقام مقالا، وحتى لا أخرج عن الإطار المرسوم، والنسق المعلوم، فإنه لا بد من كلمة مختصرة اختم بها هذا المقال المتواضع حول الشق الثاني من الموضوع وهو دور المجالس العلمية حديثا، حتى تكتمل الرؤية، وتتم الصورة.

إن ساحات النضال على سعتها، وتشعب مسالكها، وما بالعهد من قدم، قد شهدت، وذلك ما يشهد به العدو قبل الصديق، لأنه هو الذى اكتوى بنيرانها، ألوانا من التضحية، وصنوفا من البذل والعطاء، للمجالس العلمية، على قلة في الوسائل لا على صعيد الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن فحسب، وإنما على صعيد التوعية والتربية والتوجيه، والتعليم والتكوين والتنبيه، علما منها بأن رسالتها رسالة الأرض للسماء، وأن جهادها جهاد متواصل حتى النصر، وما المنقبة الخالدة، والخطوة الرائدة التي خطاها أمير المومنين، ناصر الملة والدين، جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأعانه على تحقيق البعث الإسلامي الصحيح الذي كان ولا يزال وسيبقى هاجسه وخاطره، وشغله المقعد المقيم، حتى ينتظم عقد الدين كما كان وهاج السنى، مشرق الصورة، نقي الإطار، بأحداث المجالس العلمية في مختلف أقاليم المملكة المغربية واعطائها الصفة الشرعية للمخاطب المسؤول، إلا أكبر دليل، وأصدق شاهد على مثالية ذلك الدور الذى يمكن أن تلعبه في اليوم والغد كما لعبته بالأمس القريب والبعيد: تحت القيادة الرشيدة لجلالته، وبتعاون في الحق معه إلى ءاخر المطاف الذى يحقق الأمانة التي لما عرضت على السموات والأرض والجبال أبت أن تحملها وأشفقت منها وحملها الانسان.

الرحالي الفاروق

علماء الإسلام وفقهاؤه الأصليون

للأستاذ محمد حدو أمزيان

الإسلام دين العلم. هذه حقيقة واضحة يدركها كل من تذوق تعاليم الإسلام. فالعلماء ورثة الأنبياء كما صح عن النبي (ص). وكان من أول عمل الرسول (ص) بالمدينة نشر التعليم وتأسيس المدرسة المحمدية التي أخرجت للدنيا مثل عبد الله ابن عمر وابن عباس وعائشة وغيرهم ممن لا يحصون. ثم ان دولة الإسلام لم تقم ولم تزدهر في عصر من العصور إلا في كنف العلم والعلماء حتى كأنهم المقياس لعظمتها وحضارتها لهذا نرى الدول الإسلامية في الشرق والغرب تتسابق إلى تشجيع العلماء وإلى جلبهم إلى حظيرتها والاكثار منهم في مجالسها ولم يقتصر ذلك على الخلافة أيام مجدها في العصر العباسي بل شمل ذلك أمراء الأطراف والملوك المستقلين في كل من مصر والشام وخراسان والأندلس والمغرب وغير ذلك من الأقطار الإسلامية المستقلة عن الخلافة العباسية من أول أيامها حتى أن المؤرخين يلاحظون أن النهضة العلمية تقوي في ظل هذا التعدد والتنافس بين الملوك والأمراء.

والمغرب لم يحد عن هذه السياسة طوال عصوره فكان الملوك المغاربة من مختلف الدول التي قامت فيه يشجعون العلم والعلماء ويظلونهم بفضل العطف والرعاية فيقيمون المؤسسات العلمية والمعاهد التثقيفية ويؤثرون النابهين من العلماء بالوظائف السامية والمشاورة حتى انهم كانوا إذا فقدوا يجلبونهم من كل حدب وصوب. فقد جلب الأدارسة إلى عاصمتهم الأولى فاس علماء من القيروان والأندلس حتى زخرت بهم فاس وعلى ذلك قامت جامعة القرويين التي أغنت بما أخرجت من علماء تراث الإسلام في هذا البلد الطيب المضياف الأصيل.

وكذلك فعل المرابطون والموحدون الذين نقلوا حاضرتهم إلى مراكش حيث اجتمع لهم فيها من العلماء من كل جهة وخاصة من الأندلس حتى غدت تنافس بغداد في عزها ونهضتها ويكفي دليلا على ذلك أن ابن رشد كان من الوافدين عليهم والعاملين في دولتهم وهكذا لم يشذ عن هذه السياسة أحد من الملوك المغاربة في دولة المرينيين والسعديين والعلويين أدام الله دولتهم فكان العلماء في هذه الدول والعصور كلها محل اهتمام وإكبار يرجع إليهم في احكام الشريعة ومقتضيات سياسة الدولة ويقومون بالسهر على المؤسسات العلمية والدينية ويبذلون النصح لأولي

ترصدهم من جراء الزيغ والانحراف والانحلال عن الطريق المستقيم. وما قامت الدول في هذا البلد إلا على أساس الدعوة الإسلامية والفكرة الإصلاحية حتى إذا ما أعيتهم الحيلة تحولت الدعوة إلى الجهاد والكفاح في سبيل نشر تعاليم الإسلام الصحيحة كما فعل عبد الله ابن ياسين ومحمد بن تومرت وعائلة الشريف بتفلالت وغيرهم من رجال هذا الوطن الذين ضمنوا له البقاء والسير في طريق السنة والجماعة والدفاع عن الإسلام في هذه الربوع من العالم الإسلامي.

هذه نظرة عامة نعود بعدها إلى أول الموضوع بادئين بتعريف العالم في الاصطلاح الإسلامي فمن هم العلماء ؟ يقال عالم لمن تخصص في فرع من فروع المعرفة كالهندسة والطب وما إلى غير ذلك من الفروع العملية المادية وأما في الإصطلاح الإسلامي فإن العالم هو الذي يعد من الفئة التي يصدق فيها قول الرسول (ص) العلماء ورثة الأنبياء وقد قال بعض الصحابة لمن سأله عن هؤلاء الذين معك ؟ وكانوا يكتبون القرآن - «هؤلاء يقتسمون تركة محمد (ص)».

فالعالم في الاصطلاح الإسلامي هو الذي يحمل الكتاب والسنة وما يتوقفان عليه من علوم اللغة والفقه فإذا أجاد ذلك بالقدر الكافي - ولاحد للكمال فيه - شارك ما استطاع في علوم الدنيا والمادة كما فعل أسلافنا الأولون فقد كان ابن سينا فيلسوفا طبيبا وعالما بالكتاب والسنة. وكان ابن رشد فيلسوفا وطبيبا وفقيها بارزا وكذلك غيرهما من التابعين في فروع المعرفة المادية بدون استثناء فلم يكن عندهم هذا الاختصاص الموحش الذي نراه اليوم حتى لنجد العالم النابغ في الطب مثلا وهو يجهل أولى الأوليات في الثقافة الإسلامية وقس على ذلك غير الطبيب والسبب في ذلك نعرفه جيدا ولكن لانريد أن نغيره فأسلافنا كانوا

بعد ذلك كل واحد في تخصص يناسبه اما نحن الآن فنبدأ بلغة الغير وبعلوم الدنيا البحتة ولا نعطي أهمية لعلوم الدين ولغة القرآن حتى يفوت زمن الحفظ والتحصيل وهو زمن الطفولة فإذا صار الولد يافعا ركب رأسه واستعصى على الانقياد والنصيحة فيشب جاهلا بدينه ولغته ولا يهتم إلا بالمادة التي تهيئه للنجاح في الامتحان والفوز في ميدان السباق على المادة.

والعالم والفقيه في عرف الإسلام بمعنى واحد إذ تعني كل من الكلمتين الشخص العارف المطلع البصير الحاذق الذكي كل هذه الأوصاف يستلزمها العالم والفقيه ويمتاز العالم بسعة الاطلاع وحسن التواضع كما يمتاز الفقيه بالذكاء والفطنة ولذا ضرب المثل بتواضع العلماء وفهم الفقهاء وجواب الحكماء. ومما يدل على اتفاق معنى كلمتي العلم والفقه في الإسلام قول النبي (ص) كما في سنن الترمذي عن أبي الدرداء (ض) قال : كنا مع رسول الله (ص) فشخص ببصره إلى السماء ثم قال : هذا اوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء... فقال زياد بن عبد الله الأنصاري.. كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ونقرئنه أحباءنا ونساءنا فقال رسول الله (ص) ثكلتك أمك يازياد اني كنت لاعدك من فقهاء المدينة. هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما تغني عنهم وفي رواية غير الترمذي وهذه اليهود والنصارى بين ظهورهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقون فيها بحرف مما جاء به أنبياؤهم الحديث. فقوله (ص) كنت أعدك من فقهاء المدينة أي من علمائها الأذكياء بدليل سياق الحديث وكذلك قوله (ص) إذا أراد الله بقوم خيرا أكثر فقهاءهم وأقل جهالهم والحديث معروف فدل ذلك على أن الفقه نقيض الجهل فهو نقيض النقيض والشواهد الدالة على هذه الحقيقة - اتفاق معنى العلم والفقه - كثيرة

الفقه والفقهاء للدلالة على الفكر الجامد والطبقة الموسومة بالرجعية ومحاربة كل الحقائق والمظاهر النافعة والداعية إلى التقدم والرفعة في دائرة الحقائق الإسلامية الناصعة.

ان العالم لايمكن أن يكون حاملا لتلك الأفكار الرجعية لأن العلم الصحيح يسمو بصاحبه إلى مستوى الرشاد والسداد في التفكير والسلوك. فالعلم والدين لايختلفان. والفقيه في دين الله لايمكن أن يكون مغايرا للعالم ومجابها له في الأفكار والاراء اللهم إذا كان فقهه ظاهريا لايفهم إلا القوالب والقشور لم يبلغ درجة الفهم الصحيح لدين الله ولم يتسع أفقه في المعرفة والثقافة العامة ذلك أن اتساع المعرفة هي خير معين على فهم الدين. وضيقها أقوى عامل على النكوص إلى الوراء وتحويل معالم الدين نحو الوجهة الممقوتة التي يكون من أبرز مظاهرها التعصب والتشدد وضياع مصالح العباد وتفرق كلمة الأمة إلى شيع وأحزاب كل حزب بما لديهم فرحون.

من أجل ذلك كانت وحدة الدين أهم أهداف الإسلام وأهم تعاليمه الأساسية. وكانت الفرقة أهو الأمور التي دعا إلى محاربتها وإلى نبذها إلى الأبد. والآيات والأحاديث الواردة في ذلك غزيرة، مشهورة لانطيل بها. فالذي يهمنا قوله أن عظمة الإسلام تكمن في هذه الوحدة والانسجام بين تعاليمه ومبادئه الخالدة تلك الحقيقة التي لم تستطع لادسائس الفرق ولا ترهات الأحزاب وأهل الأهواء ولا تخمينات الحكماء ولا استنتاجات الفلاسفة أن تنال منها عبر العصور والأحقاب حتى خرج الإسلام من جميع المعارك التي خاضها حملته منتصرا مؤزرا يقر له العدو والصديق بالسمو والخلود.

ويكفي هنا الاستشهاد ببعض تلك الآيات والاحاديث الناصعة الموارد والدقيقة المغزى مثل قوله تعالى في سورة النساء «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات» وقول رسوله الكريم (ص) في الحديث المعروف الذي رواه الترمذي عن سيدنا جابر (ض) وان من أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون. وفسر (ص) المتفيهقين بالمتكبرين لأن التكبر هو الدافع لهم إلى الحرص على الخلاف على قاعدة خالف تعرف حتى يكون لهم اتباع وأشياع يظنون أن الدين هوما يافكون ويرقعون من أحكام تتبعوا فيها اضعف النصوص وأغربها وأكثرها غموضا وابهاما.

فالعالم الحقيقي والفقيه الحر الأصيل هما الوصفان اللذان يجتمعان في شخص مومن مخلص في العمل لله ولرسوله لايبتغي جزاء ولا شكورا ولا يخدم بعلمه أغراض الحياة الدنيا ولا يجعل من نفسه زعيما حزبيا ولا إقطاعيا ولا معارضا يحب الخلاف ولا طرقيا ولا داعية لزاوية ولا سمارا ولا مداحا سفافا ولا غير ذلك من أوصاف علماء الدنيا وعباد المادة.

أولئك هم العلماء ـ علماء الإسلام الحقيقيون وفقهاؤه الأصليون الذين فهموه حق الفهم ونشروه بالعلم والمنطق وبنوا صرحه بالبحث والكد والسهر والجهد المتواصل ليل نهار من المهد إلى اللحد مضوا صفوفا وتوارثوا الامانة وادوها بصبر وتبصر وتفتح وزهد وأمانة فاللهم اجعلنا من زمرتهم وألحقنا بهم تائبين طائعين لامبدلين ولا مغيرين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين.

وان هذه السنة الحميدة التي سنها جلالة الملك الامام مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده بتأسيس المجلس العلمي الأعلى تحت رئاسته الفعلية وبانشاء المجالس العلمية الجهوية وباصداره ظهيرا شريفا بتعيين أعضائها ورؤسائها وبرسم المبادىء القويمة والخطة المستقيمة لعملها

في حدود الإسلام وضمن أهداف الدعوة المحمدية لأجل الدفاع عن مبادىء الشريعة الطاهرة ومحاربة الانحراف والباطل عامة.

أقول أن هذه السياسة الحميدة هي في الواقع من صميم المصلحة الوطنية والدينية ذلك أن سياسة الدولة إنما يكتب لها النجاح إذا قامت على أساس العلم وعلى تشجيع العلم والعلماء من مختلف التخصصات وعلى رأس ذلك علم الشريعة والعقيدة كما سبق أن ذكرنا بالنسبة للعصور والدول السابقة وخاصة الدولة العلوية الشريفة التي ما كان ملوكها الا علماء وأئمة مجتهدين ومؤلفين ودعاة إلى التمسك بالإسلام وشريعته الغراء والمحافظة على الكتاب والسنة فما أشبه الخلف بالسلف ومن يشابه أباه فما ظلم.



من كتب التراث العربي الاسلامي:

المسند الصحيح الحسن
في مآثر مولانا أبي الحسن

تأليف: محمد بن مرزوق التلمساني
تحقيق: د. ماريا خيسوس بيغيرا
تعليق: د. عبد الهادي التازي



لقد سعدت بالهدية الثمينة التي أتحفتني بها المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، فلطالما تاقت هِمم الباحثين إلى الوقوف على هذا التراث الجليل الذي يعالج فترة هامة من تاريخ بني مرين سيما وهو يهتم بالسلطان أبي الحسن الذي تمكن من أن يوحد مرة أخرى أراضي المغرب الإسلامي ويجعلها تحت حكم واحد.

لقد كان الخطيب ابن مرزوق بالنسبة للمرينيين كما كان ابن صاحب الصلاة بالنسبة للموحدين فكل منهما تناول الدولتين وهما في أوج حياتهما السياسية، وكل منهما كان شاهد عيان...

وقد تناول ابن مرزوق في كتابه في أبرز ما تناول الإشارة لعلاقات المغرب الدولية سواء أكانت تلك العلاقات مع الشرق أو الغرب علاوة على ما اهتم به من تقديم للحياة الإجتماعية على ذلك العهد.

وكما قال الزميل الأستاذ محمود بوعياد في تقديمه المفيد، «فإن هذا الكتاب بالرغم من أنه يتناول تاريخ أبي الحسن لكنه سيفيد الذين يؤرخون للدولة الزيانية، والدولة الحفصية..

وهكذا فإن ابن مرزوق كما كان أمتن جسر يربط بين أجزاء المغرب والأندلس فإن كتابه يعتبر ملاذا

للجميع ومفيدا للجميع فهو تونسي جزائري مغربي [illegible] وهو بالتالي وجه مشرق من وجود الغرب الإسلامي على نحو ما ينطبق على ابن خلدون وابن الخطيب ومن المعلوم أن كتاب المسند ظل إلى اليوم غير منشور ولو أن المؤرخين على اختلاف اتجاهاتهم كانوا يتلقطون ما بين «نخب» القسم الذي نشره وترجمه الأستاذ ليفي بروفنصال إلى اللغة الفرنسية سنة 1925 في مجلة هيسبريس التي كانت تصدر عن معهد الدروس العليا المغربية...

وقد بقي النص الأصلي غير معروف بالرغم من توفر مكتبة الاسكوريال باسبانيا والخزانة العامة بالمغرب عليه الى أن قيض الله له الزميلة الآنسة د. ماريا خيسوس بيغيرا المعروفة ببحوثها وبانصرافها لابن مرزوق الذي تعلقت بآثاره وحياته، وهي اليوم تقدم لقراء اللغة العربية هذه «البضاعة» الغالية التي طالما نشدوها.

وانني إذ أزجي تقديري الجم للآنسة ماريا... فإنه مما لا يفوتني أن أشيد بجهود المكتبة الوطنية التي عرفت في نشاط الزميل الأستاذ محمود بوعياد ما جعلها تخطو خطوات حثيثة إلى الأمام... ويكفي أن نجد هذا الاثر الجليل الذي يحمل Déjà رقم (5) من النصوص والدراسات التاريخية التي لا شك في أنها ستكون هادفة الى بلورة تاريخنا المشترك الذي نتمنى أن يعكس آثاره الجميلة على أيامنا الحاضرة...

لم تكتف الاستاذة ماريا بتحقيق المخطوط ولكنها عمدت إلى تقديم دراسة شاملة لابن مرزوق وحياته وآثاره... ولم يفتها أن تستوعب سائر المرازقة الذين أسهموا في بناء تاريخ المغرب السياسي والفكري والإجتماعي.

وقد كان يهمني من هذا المؤلف القيم ما يتعلق ببعض النقاط التي تدخل ضمن اهتماماتي الحاضرة ويتعلق [illegible] الأخرى ثم أخذ صورة معبرة للسفراء المغاربة الذين كانوا يقومون بأداء مهامهم السياسية لدى البلاطات الأخرى...

لقد أصبحنا فعلا أمام مادة خصبة تجمع كل ما يمس حياة ابن مرزوق وأسلافه وسلالته ووظائفه العلمية والسياسية وظروفه وصروفه وشيوخه وتلامذته وآثاره...

ومن غير أن ندخل في مناقشة (ماريا) لمن سبقها للإهتمام بابن مرزوق، فإننا نريد مرة أخرى أن نشيد بهذا العمل الضخم الذي قامت به فتاة أندلسية كانت بارة لتاريخ مشترك بيننا وبين اسبانيا...

ومع هذا فلا نرى بأسا في أن ننبه لطائفة الأخطاء المطبعية (؟) التي نشأ بعضها فيما يبدو من عدم التثبت في ضبط الكلمات عند نقلها ـ عبر الحروف اللاتينية ـ إلى العربية. وأذكر على سبيل المثال كتاب ابن غازي : (الروض الهتون) الذي نقلته الآنسة على أنه (الروض الحتون) وفرق كبير عندنا بين الهتون والحتون ! (ص 71).

هذا إلى هفوات أخرى لا أريد استعراضها لكن الذي كان يثير تساولي وأنا أتصفح الكتاب هو شيئان اثنان.

أولهما أن التعليقات في هامش الكتاب كانت قليلة الفائدة إن لم تكن عديمتها فإن النص على الفروق الهزيلة بين نسخة وأخرى لا يكتسي أهمية بقدر ما تكتسيها أهمية شرح لمحتوى تعبير أو جملة أو أهمية تبيين لإحالة ما يذكرها الكتاب على نحو ما نرى ص 336 عندما أشار لحكاية الذين دخلوا ستة بغير عهد ولا وعد ! !

ثانيهما أنني كنت أتمنى أن تعتمد الآنسة في احالتها على أرقام صفحات الكتاب على هذا الترتيب الذي ظهر عليه اليوم وليس على أرقام ورقات المخطوط كما كان

عليه بالأمس... فإن ذلك مما يتعب القارئ ويسطو على الوقت الذي نعلم عن أهميته... وبعد هذا فقد قدم الكتاب إلينا باقة من المعلومات الظريفة التي لم نسمع عنها قبل اليوم والتي نحن بحاجة إليها لتصحيح معلوماتنا حول كثير من النقاط...

ان على سائر الذين كتبوا عن تاريخ المصحف الشريف بالمغرب بما يتناوله ذلك التاريخ من المصاحف المرينية المهداة للحرمين وللقدس الشريف عليهم أن يراجعوا كتاب المسند فقد كان ابن مرزوق ضمن السفراء المرشحين لحمل بعض هذه المصاحف الشريفة للمشرق ولذلك فإنه يتحدث عنها حديث عارف بالأمور بصير...

وقد تجلى من خلال عرضه أن المقري في كتابه نفح الطيب لم يكن على إلمام كامل بموضوع المصحف. ومن هنا فإن كل المؤرخين المغاربة - وأنا من بينهم ! - كان ينقصهم أن يستمزجوا رأي الخطيب ابن مرزوق...

وقد كنت أشعر بالمتعة تغمرني وأنا أقرأ المقطع المتعلق بضياع المصحف العثماني في وقعة طريف وصيرورته إلى البرتغال ثم ارسال العاهل المغربي سفارة برئاسة الحسن بن جعي أمزور حيث افتك المصحف المذكور سنة 745 هجرية بآلاف من الذهب بعدما لحق أعشيته الثمينة من سلب ونهب.

ولا بد أن المهتم بتاريخ العلاقات الدبلوماسية لمغرب أن يجد في (المسند) ما يرضى رغبته. لأنه أي لمسند تناول سفارة ابن مرزوق لدى البلاط القشتالي لابرام اتفاقية للسلام والوقوف على الحدود بين المسلمين النصارى وتحرير بعض الاسرى... بل ونقل رفات طائفة ن الشهداء المغاربة لدفنهم في مقبرة شالة. الرباط. إلى انب المنصور الموحدي ومن تبعه من الأمراء والكبراء.

وسيعرف القارئ عن سفارة ابن مرزوق إلى تونس رفقة الشيخ السطى للقيام بمهمة خطبة احدى بنات أبي يحيى الحفصي... وعن سفارة تونس لدى المغرب حول توتر علاقات الجزائر مع تونس.. وعن سفارة ابن مرزوق لدى السلطان أبي تاشفين أمير الجزائر.

وإن الذين يهمهم أن يعرفوا عن مدى تدخل المرأة المغربية في الشؤون السياسية للبلاد سيكون عليهم أن يرجعوا إلى صفحة 123 من المسند عندما يتحدث عن موقف والدة السلطان أبي الحسن من حصار هذا الأخير لتلمسان...

وقد حاولنا عبثا أن نجد تعريفا في المؤلفات الأخرى للمبعوث الذي ورد من الحرمين الشريفين على أبي الحسن ويتعلق الأمر بالشريف منصور ابن فهد الذي نال من تكريم العاهل المغربي ما تحدثت به الركبان على ذلك العهد كما يقول ابن مرزوق.

والمطالع للكتاب سيقف على لوحات رائعة للعادة المتبعة في المغرب بمناسبة الاحتفال بليلة المولد النبوي وليلة القدر كذلك. أليس أن ابن مرزوق هو صاحب كتاب «جنى الجنتين في فضل الليلتين» ؟ ألم يكن شاعر هذه الاحتفالات عام 763 = 1361 وهو ببلاد غرناطة ؟ «مكرمة خص الله بها هذه المملكة الشامخة. وإن حكاها غيرهم فما أشبه ولا قرب... نبه عليها الفقيه العزفي فمضوا عليه... وزاد فيها أبو الحسن من المحاسن ما صيرها مثلا وألبسها من سيره حللا... في سائر جهات المغرب رغم ظروف الحرب ومقابلتهم لنزول النصارى بالجزيرة الخضراء...»

والمهتمون بأمر التنافس بين فاس وتلمسان سيجد هنا مثارا للحديث وخاصة عندما يستفتي السلطان علماء هذه المدينة أو تلك حول موضوع من موضوعات الساعة... الأمر الذي يرجع بنا إلى كتب النوازل الفنية بمثل تلك المواقف.

وتمييزهم منذ العهد المريني حيث أصبحت الأسر المنحدرة من سلالة الرسول معروفة لدى الخاص والعام في العواصم المغربية...

وإذا كانت الحوالات الحبسية القديمة قد تعرضت للوصية العبد حقية المتعلقة بالوقف، فإن كتاب المسند أثار الوصية العبد حقية السياسية. وهو الأطروحة التي تقول : «ثلاثة من الولاة لا مدخل للرعية في شؤونهم : صاحب القصبة، والشرطة، والوالي. وثلاثة آخرون للرعية المرجع فيها : أمام الصلاة والقاضي والمحتسب..!

وقد كان هناك فراغ في العلاقات المغربية المصرية كشف عنه ابن مرزوق ظل - على الأقل بالنسبة الي - مجهولا إلى أن وقفت على صفحة 241 - 242 من الكتاب المذكور.

لقد تحدث المؤرخون سواء منهم المغاربة والمشارقة عن سفارة ابن وردار لدى بلاط مصر عام 737 هـ التي حملت للناصر محمد بن قلاوون نعي السيدة الوالدة التي كانت تعتزم أداء مناسك الحج ذلك العام... ولكن المؤرخين لم يعرفوا عن سفارة قبل هذه. كانت تمهد لحج والدة السلطان أبي الحسن أو «تستأذن في وصولها عند انقضاء أمر تلمسان» على حد تعبير ابن مرزوق الذي كان ضمن البعثة علاوة على آخرين فيهم عبد الرحمن المراكشي وعلى رأس الجميع الحاجب عثمان ابن جرار.

ولعل من أطرف الأسرار الدبلوماسية التي بقيت خفية علينا إلى الآن تلك المبادرة الجريئة التي قام بها ابن جرار من عندياته... لقد عهد إليه بالاستئذان شفويا لدى الملك الناصر... ويظهر أنه - وقد وصل إلى مصر - لم ير هذا كافيا للحصول على المرغوب بل وجد أن عدم مصاحبته لخطاب سلطاني ربما عرض البعثة للإهمال...

هل أنه يتوفر على كتاب حول زيارة الملكة ؟ فأوهمه ابن جرار بأنه يتوفر فعلا على خطاب سلطاني..!

«فلما وصلنا إلى القاهرة - يقول ابن مرزوق - استفعل ابن جرار كتابا» بواسطة أحد الكتاب المغاربة ضمنه الوصية به والإعلام بالعزم على حج الوالدة ! فخرج الجواب من الناصر فلما قبضه قام ابن جرار أيضا بعملية ثانية حيث وجدناه يعتمد هذه المرة على كاتب مشرقي يحمل اسم فخر الدين المسلماني الذي عرف كيف يمحو الفقرة المتضمنة لوصول الكتاب المريني ويضمنه أنه تعرف على وصول المولاة المعظمة» !!

وهكذا تحيل بالنسبة للخطابين. وقد أطلع على هذه المكيدة عبد الرحمن المراكشي فأسرها في نفسه حتى إذا كانت بينه وبين ابن جرار منافرة.. أخبر السلطان أبا الحسن الذي تصرف إزاء «مبادرة» سفيره بما تقتضيه أريحية الملوك أمثاله...

والمتصفح للكتاب سيقف على جملة من الآداب الملوكية التي لاغنى عنها لمن أولاه الله قيادة أمة من الأمم فهنا سنقرأ عن أخطار النميمة بالنسبة لحياة القصور وسلامة الحكم...

ونقرأ عن أن النميمة تفسد الدول وتخرب الملك، ونقرأ عن أهمية الستر على الناس وعدم ملاحقتهم... ونقرأ عن نوع الهدايا التي كانت تقدم للملوك بما فيها هدايا البزاة والصقور وعن نظام الشورى في عهد بني مرين... واجتماعات القمة التي تمت حول الجزيرة الخضراء... وعن المنشآت العمرانية والحضارية والستراتيجية كذلك... فهنا حديث عن برج الماء الذي أنشىء وسط البحر غير بعيد

عن عرسه. وهنا حديث عن المدارس العلمية والبيمارستانات والمباني والمعالم الضخمة التي شهدها جبل طارق...

هذا إلى لائحة مهمة من رجال الفكر والعلم والسياسة الذين كانوا مشاعل على ذلك العهد من أمثال أبي عبد الله الفشتالي قاضي طرابلس الذي عينه العاهل قاضيا على ليبيا برغبة من أهلها.. والفقيه التعاليمي (يعني العالم لصرف بالمعنى القصري اليوم) ابن النجار الذي كان ينصب الساعة والاسطرلاب... والسليطن الذي التجأ إلى مراكش بعد استيلاء النصارى على بلدته شريش (ولعله جد لسلطين المراكشي صاحب رسالة «دواء الموت» التي نشرها ستاذنا محمد الفاسي) وأمثال قاضي مراكش اللاطون الذي عرف عليه ابن مرزوق.. وأمثال الطبيب المغربي أبي علي لمغيلي.. وأمثال العالم النباتي أحمد بن شعيب وابن مليق قاضي طنجة.

هذا إلى السفير القاضي ابراهيم التازي وأبي عمران زياني وعريف بن يحيى السويدي وعبد الرحمن المليلي الحسن ابن جمي، وأبي الفضل بن أبي مدين وأبي مجد بن أبي مدين وعدد آخر كثير من كان ينعتهم بحسن الوساطة».

والكتاب إلى جانب هذا يعطيك فكرة عن بعض مخطوطات النادرة التي كنا لحد الآن نعتقد أنها لم تصل ى المغرب... وأذكر في صدر هذه المخطوطات كتاب لمستجاد من فعلات الأجواد) لأبي علي المحسن بن علي تنوخي الذي عنى بنشره وتحقيقه في أوائل السبعينات حمد كرد علي... لقد ظهر أن الكتاب كان متداولا بين دي الشخصيات السامية التي يهمها فعلا الاطلاع على نفه ونوادره وطرائفه...

وقد سمعنا من خلال الكتاب عن مخطوطة تطعن في الغزالي كانت من تأليف من سماه ابن مرزوق بالقلنبا..

وسيجد المطلع للمسند الصحيح الحسن. ما يرضى استطلاعه حول وضع النصارى الملازمين للخدمة من الذين كانوا يعملون تحت العلم المغربي كما سيجد فيه الكثير عن وضع اليهود على عهد السلطان أبي الحسن. ثم عن المحاولات التي بذلها الطبيب ابن زهر من أجل تعلم «اللسان المصمودي» على حد تعبير ابن مرزوق الذي لم يتردد في ايراد بعض المفردات الأمازيغية وكان ذلك بمناسبة استطراده الحديث عن أيام الموحدين حيث نجد إشارة مفيدة عن قوة أسطولنا على هذا العهد...

ولعل كثيرا منا يتساءل عن أصل حمل المغاربة للخنجر وخاصة منهم القواد ورجال السلطة في الجنوب وإننا سنجد في المسند ما يشعر بأن أمراء بني مرين كانت تلازمهم خناجرهم يتزينون بها ويلوحون.. والكتاب عندما يقدم لنا الجهاز الحكومي في عهد ملوك بني مرين، يبرز وزارة الأنباء مؤكدا على أنه ما ذهب بملك بني مروان سوى عدم اكتراثهم بأهمية الأخبار..! وان من طرائف ما أثاره ابن مرزوق من حديث قضايا إفطار المسؤول في رمضان متى تأكد أن فطره ربما كان أعظم أجرا من صومه ! نظرا لما قد يحدثه امساكه من ضعف في ذاكرته أو عدم توازن في مزاجه بينما هو يتحمل تبعة خطيرة... إن هناك إشارة إلى قياس أخذ به الفقهاء القدامى..

ويظهر أن فتاوى الفقهاء طرحت على العاهل بعد أن لاحظوا أنه يمعن في صوم الإثنين والخميس وبعض المناسبات الأخرى وخافوا أن تتعطل الأحكام نتيجة لهذا الإنصراف ! ومع هذا فإن السلطان بما عهد فيه من تحفظ واحتزاز وتمسك كان لا يستسلم لبعض الفتاوى ويأخذ بما يؤدى اليه الحوار الهادف.. وأمامنا مثل من أمثلة ذلك بعد

ما أوعز بعضهم ـ عندما خلف أحد الموظفين ثروة طائلة ولم يكن له غير طفل واحد... قالوا : إن بيت المال أحق بماله ويسلم للولد ما يكفيه فأجابهم العاهل بكلمته المعروفة : «معاذ الله !»

وأخيرا فإن ابن مرزوق في كتابه (المسند) برهن بصفة لا تحتمل الريبة على أنه أستاذ فحل يحترم الأمانة العلمية بل أنه يقدسها ويوليها من نفسه القسط الأوفر وهكذا نجده ينسب الأقـــوال لأصحابها ويتردد عندما لا يظهر له وجه الصواب

[illegible] نقصا أو غضاضة..

وبعد فسوف لا استمر مع عرض الكتاب الذي ملك علي يومي هذا وأنا على سفر... ومع ذلك فسأدعوكم لاقتنائه وقراءته لتكتشفوا فيه جوانب مطرفة أخرى... ولتضموا صوتكم إلى صوتي في الاشادة مرة أخرى بمبادرة الدكتورة مارية وصنيع المكتبة الوطنية في الجزائر عندما أتاحتا لنا معا أن نعيش مع تلك الفترات الزاهية...

د. عبد الهادي التـــازي

حقوق الانسان في مبادئ الإسلام

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

ان الحقوق والواجبات تتسم جوهريا في حظيرة الإسلام بالطابع الديني غير أنها مكفولة مبدئيا في إطار سلطة قسرية ترتكز على الإيمان كمقوم جامع ينطوي - بحكم تعريفه القانوني - على عناصر أخرى تعتبر علمانيا في المجتمع المعاصر كعوامل لتكييف التوازن الاجتماعي وهي عوامل حضارية المجالي والسمات لها بصمات ثقافية وسيكولوجية وايديولوجية ذلك أن طبيعة الايمان في لمفهوم الإسلامي تختلف أصالة عن المنظور الغربي محتوى كلمة (دين) التي ليس لها نفس المضمون والدلالة لذين توحى بهما لفظة (Religion) فالغربيون يستمدون حوافزهم القسرية في مجتمعهم المعاصر من مقومات وبواعث سوسيولوجية أخلاقية في حين يشكل لايمان القوام الأمثل والنبع الفياض لكل الطاقات في مجتمع الإسلامي فالأمة الإسلامية قد تضم بين جنباتها حيانا بلدانا نامية ضعيفة المعتقد مهزوزة الايمان مزجاة ضاعة الروحية تنساق في تيارات الانهيار الاجتماعي لاقتصادي بسبب الخلل الخلقي المنبثق عن غياب أي رك متكامل للصالح العام حتى في مجال المواطنة الصرف وبذلك تبرز ظاهرة التمزق بين الفرد والجماعة كنتيجة حتمية للحياد عن حظيرة الايمان الراسخ أي المفهوم الأمثل لأبعاد ومجالي ومقومات الإسلام الصحيح كما تتبلور معطياته من خلال الأصلين الكتاب والسنة وضمن منهجية واضحة تنطلق من مرونة الحنيفية السمحة كياناتها المتواكبة مع متطلبات كل الأعصار والأمصار والواقع أن كل مجتمع يستمد مقوماته من الدين يمكن أن يكون عرضة لانحراف وخيم العواقب إذا لم يسارع قادة الفكر فيه إلى تحقيق نوع من التوعية المتناسقة مع النبع الديني والتقليدي الأصيل بحيث تنبثق عنها تلقائيا واجباتنا الاجتماعية مطعمة بتراثنا الحافل بظواهر الكياسة وبوادر حسن المراس أو الممارسة وروعة الجناس أو المجانسة فالمبادىء القرآنية مثلا في خصوص العدالة والنزاهة والتضامن مدارك ودلالات دينية والإنسان الذي يحتويه المجتمع الإسلامي قد يتمتع كإنسان بنوع من الاستغلال الذاتي يخوله حقوقا داخل هذا المجتمع غير أن مصلحة الأمة تنزع أحيانا إلى السيادة على المصلحة الفردية (1).

---

(1) راجع خلاصة البحث المقدم بالفرنسية الى ندوة الخبراء حول حقوق الانسان في التقاليد الثقافية والدينية والتي نظمتها اليونيسكو في (بانكوك) بين ثالث ورابع دجنبر 1979 وقد قدم باسم العالم الاسلامي

فلذلك يدعو الإسلام إلى نوع من التواكب يخول الفرد حقوقه كاملة في نطاق احترام توازن المجتمع حتى لا يسطو هذا على ذلك ومع ذلك يبقى المومن (أي الفرد المشبع بروح الايمان كما يعرفها الإسلام) مستعدا للتضحية بمصلحته الخاصة في سبيل الصالح العام حرا مختارا واعيا بأبعاد اختياراته وهكذا يمكن القول بعدم امكان بروز شخصانية أو روح فردية لدى أي مومن مكين الوصلة بالفكر الإسلامي المجتمعي فشخصية المومن يجب أن تتفتح وأن تتحرر ولكن ليس على حساب مواطن آخر حتى لو اختلف عنه هذا المواطن في الدين والمعتقد. إذ أن رعاية حرية وكرامة كل مواطن تظل لازمة لزوما حاسما لأي مواطن آخر وللمجموع في آن واحد عدا في حالة تنازل عضو من أعضاء المجتمع لزميل له بمحض إرادته وذلك مظهر لايثار بلغ في أول الإسلام مبلغا لم تعرفه الإنسانية غير أنه مالبث أن انفسخ في المجتمع الإسلامي فأصبح يشكل حالات استثنائية تتقلل يوميا مع مرور عهد الخلافة الذي لم يستمر أكثر من ثلاثين سنة تبلور خلالها نظام مثالي تواكبت فيه المادية والروحانية في نسق رائع في أحضان المدينة الفاضلة التي حلم بها أفلاطون والتي أعطى الإسلام الدليل على حسن تأتيها خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن فهي سابقة ذات مغزى عميق تقوم شاهدا على واقعية الفكر الإسلامي وتحقق مجلليه إذا تكاملت معطياته ولعل أهم مظهر لهذه المعطيات عدم الفرار من الواقع للدخول في متاهات ما وراء العقل والمادة أي ما يسميه الصوفية أنفسهم بالفرار من الشريعة إلى الحقيقة لأن الرسول عليه السلام قد حصر نشاط المومن في واقع لا يتجاوز ظاهر الحياة حيث قال عليه السلام (أمرنا أن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) فالمنطق السليم وقانون السببية والانطلاق من التجارب العملية كل ذلك يشكل المنهج الرصين لبلورة حقوق الفرد والجماعة في نطاق

الإسلام فحجية «تحديث القلب» لا يمكن أن تقوم برهانا لتوضيح الطريق اللاحب وقد حض كبار الصوفية كابن عربي الحاتمي (ر)على وجوب التحري حتى لاتنزلق في غياهب المتاهات كاستناد متصوفة أدعياء إلى ما يسمونه بـ (وحدة الوجود) لنفي بعض جوانب المسؤولية عند الإنسان أو كالتعلل بالقضاء والقدر لتقليص هذه التبعة فالمومن مطالب بالعمل الموصول غير المشروط في إطار الحياة التي يعيشها والقوانين الإسلامية التي تكيفها دون الاهتمام بما وراء ذلك من لوازم مفتعلة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون ملزمه فالتخطيط للعمل واجب عيني يسبق كل نزعة تسمى التوكل أو التواكل (فإذا عزمت فتوكل على الله) (الآية) إي فإذا قررت وخططت فاستعن في وجهتك هذه بتوفيق الله. لأن السماء - كما يقول سيدنا عمر بن الخطاب «لاتمطر ذهبا ولا فضة» وقد نسب إلى أحد أئمة الإسلام مشاهدته بومة عمياء في مسجد ياتها صقر بقوتها فانتفض بعض من كان في المسجد وهو حاضر متباكيا، «بومة تتوكل على الله فياتيها صقر برزقها فماذا نعمل نحن ؟ «فأجابه العالم، «فلماذا لاتكون أنت ذلك الصقر بدل اختيارك أن تكون بومة عمياء» ؟ وعندما قال الرسول عليه السلام، «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا... عرف في الواقع التوكل الحق حتى بالنسبة للحيوان الأعجم بأنه الغدو والرواح انتجاعا للعيش فالعمل نابض الحياة (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون» (الآية) وقد ردد صديقنا (مارسيل بوازار) في كتابه (انسية الإسلام) (Humanisme de l'Islam) المفهوم الظاهر للآية الشريفة (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) لتأكيد واقعية مايمكن أن يقع بإرادة الله غير أن هذه الواقعية لاتتنافى - في نظرنا - مع وجوب العمل حتى تتبلور إرادة الله كما

يريدها الحق تعالى طبقا لمشيئته الازلية ورعاية لاستمرارية عملنا في الخط المشروع وهذا هو ماشرحه عليه السلام في حديثه عن فضائل اجتماعية كالصدقة وصلة الرحم تحول بإرادة الله دون تحقيق مايلوح ظاهريا أنه إرادة الله وقد حدد القرآن للمومن أبعاد هذه الظواهر الكونية التي يمكن أن نجول في رحابها دون قيد ولا شرط عندما أوعز للرسول عليه السلام بإجابة اليهود عن سؤالهم عن الروح (قل الروح من أمر ربي) ولعل هذا المبدأ الإسلامي الرصين هو الذي أوضح للمومن معالم الطريق في غير لبس ولا غموض في حين أن الحياد عنه هو الذي حدا بعض فلاسفة اليونان ومن حذا حذوهم من الاسكندرانيين إلى الخبط متجاذبين بين مقتضيات عالم ما وراء المادة الذي لايمكن الركون إليه ولا الخوض فيه وبين العالم الرياضي أي عالم الحس الذي رسم الإسلام لنا حدوده كمجال وحيد للأنشطة الإنسانية فكريا وعلميا واقتصاديا واجتماعيا فلذلك لايمكن أن تتقيد حقوق الإنسان باعتبارات ميتافيزقية لم تحدد معالمها بوضوح في الشريعة الإسلامية ولذلك أيضا لم يسمح الإسلام بأن تنصب المسؤولية على غير من تحملها لاعتبارات خارجة عن النطاق القانوني الموضوعي لهذه المسؤولية إذ (لاتزر وازرة وزر أخرى) (الآية) والخطيئة الأصلية التي تعلل بها بعض فرق الديانة المسيحية الادانة المسبقة لاتباعها تتنافى مع الفطرة الإنسانية البريئة التي هي منطلق الإسلام والعكس صحيح أيضا لأن الكرامة تتحقق بالتقوى وحدها أي بالفضيلة الذاتية لا بالمثالية الموروثة (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (الآية) (لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) (الحديث).

تلك هي المعالم الكبرى التي تحدد المدرك العام لحق الإنسان في الإسلام فالدستور القرآني واضح لأن الوحي عرف حقوق المرء وواجباته وكذلك سياق الممارسة الفعلية لها على الصعيد المزدوج فرديا وجماعيا دون أن يفرق في المجتمع الواحد بين أعضائه المسلمين وغير المسلمين وهذا المفهوم للمساواة في عمقها الجبلي الأصيل ينعكس على كل مظاهر الحياة لدى المواطن بقطع النظر عن انتماءاته الدينية بل أن الفارق بين الزكاة والجزية مثلا يكمن في حرص المشرع على رعاية روح التسامح بعدم فرض رسوم جبائية ذات مغزى ديني على مواطن يهودي أو مسيحي يوصف بأنه ذمي أي محمي من طرف الدولة الإسلامية في مناعة مطلقة تكفل له كامل حرياته الدينية والمدنية.

فالإسلام يرعى بعناية فائقة المقومات الاجتماعية قبل غيرها في المجتمع المسلم إذ أن الطابع الشخصي للواجبات الدينية لدى المومن هي أقل انطباعا في كيان هذا المجتمع من البصمات والسمات الاجتماعية أضف إلى ذلك أن مقتضيات الرابطة الجامعة لأفراد الأمة تخلق بين المواطنين تضامنا اجتماعيا يتجاوز في أبعاده الوصلة الدينية الصرف لأن المميزات الجوهرية لفكرة الايمان أعمق من أن تنحصر في شعائر دينية مجردة عن روحها الاجتماعية التي تخضع لمبدأ أساسي يعتبر أن «الدين المعاملة» حتى في أدق خلجات القلب ونبرات النفس ذلك أن مبادىء الايثار وحب الجار ورعاية حقوق الغير واحترام كرامته والتقيد بالوعد (أي كلمة الشرف) والحياد عن كل ما من شأنه أن يمس الإنسان في عرضه أو ماله بل في أدق شخصانياته كل ذلك يشكل القوام الجوهري للايمان وقد عرف الرسول عليه السلام المفهوم العام للايمان بأنه العقيدة أي اعتقاد ما ورد عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعن القدر خيره وشره الخ. ولكنه أبى عليه السلام إلا أن يحلل دقائق الخلجات التي تعتور القلب ويعتبرها الإسلام (شروط اكتمال) للايمان كمثل ماورد في مقولاته عليه السلام

- (لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (البخاري).

- (لا يومن أحدكم حتى يامن جاره بوائقه).

- (لا يومن أحدكم حتى يكرم ضيفه).

- (من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) (الشيخان البخاري ومسلم).

- (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) الخ.

- (المومن الحق من أمن الناس منه على أنفسهم وأموالهم) (الترمذي والنسائي).

- (المومن القوي أفضل عند الله من المومن الضعيف) (مسلم).

- (ان الله يحب المومن المحترف) (الترمذي).

(لأن يحتطب أحدكم حزمه على ظهره خير من أن يسأل أحدا أعطاه أو منعه) (السنن كلها عدا أبي داود).

- (المومن يحجزه إيمانه) (أبو داود).

- (ليس المومن من يشبع وجاره يموت جوعا) (صحيح مسلم ومسند ابن حنبل والترمذي).

- (المومن مرآة أخيه) (صحيح مسلم ومسند ابن حنبل والترمذي).

(اصلاح ذات البين أفضل من العبادة والصوم والصدقة) (صحيح مسلم ومسند ابن حنبل والترمذي).

بل إنها لا تشكل أحيانا (شروط كمال) فقط بل (شروط صحة) ينتفي بانتفائها الإيمان وهي ما يسمى بمحيطات الأعمال مثل أكل أجرة الأجير والغيبة وقذف المحصنة وهي ظواهر تندرج في صميم الأخلاق الإجتماعية التي تمتد إلى أعماق الصلات الرابطة لا المواطن بأخيه فحسب بل بجميع بنى الإنسان فلذلك امتاز المفهوم الإسلامى لحقوق الإنسان بشمولية تتجاوز مجرد المواطنة أو وحدة الدين الى وصلة متجذرة في كيان الإنسانية على أن العبادة وهي مظهر للإيمان تتبلور علاوة على شعيرتها المألوفة - في عطاءات تصل أحيانا إلى مجرد تطييب خواطر الغير فضلا عن خدمته ومساعدته وحمايته. فالغاية التي انتجعها المشرع في كثير من المحظورات الإجتماعية تستهدف التوزيع العادل لا للثروات فحسب بل لسائر الحظوظ التي توفر وتضمن حياة أفضل للمواطن.

فالعدالة الإجتماعية تتبلور في مساواة وتوازن يتأصلا شعورا كثيرا ما يحز في نفوس المواطنين المستضعفين وهوعقدة الإبتزاز (Complèxe de spaliation) الذي هو الشعور بالغبن فلهذا حرم الإسلام فيما حرم (الربا) و(القمار) لما يستلزمانه من تمول على حساب الغير أما إذا انتفى الظلم فإن حرمة الربا تنتفى أيضا بصريح القرآن : **«فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون»** وإذا أدى قرض ما - ولو كان في ظاهره نماء وربا - إلى ربح محقق تستفيد منه كل الأطراف فإن زوال حاسة الظلم يؤدى إلى زوال عامل الحرمة وهذه هي سمة كثير من القروض العقارية الجارية اليوم والتي تكفل للمواطن الفقير أن يحقق حلما طالما راوده وهو تملك سكن محترم يأوى إليه مع ذويه فمن أين يأتى الحظر والاطراف المتعاقدة وهي البنك وشركة القرض العقارى والمواطن المستفيد كلهم رابحون ؟ ان روح الاسلام لا تتجه ضد مصلحة المواطن وكثيرا ما كان السلف يحددون وجهات الإسلام واختباراته - عند عدم ورود نص صحيح صريح - برعاية المصلحة العامة ولذلك انبنى المذهب المالكى على أوثق دعامة هي مبدأ (المصالح المرسلة) أى المطلقة الجارية. وهذه المرونة في الإسلام هي التي جعلت منه دينا وسطا عالميا صالحا لكل زمان ومكان لأنه يحقق رغبة الجماهير دون غبن ولا لبس ولا غموض في نطاق إنسانية ترعى حقوق القاعدة الجماهيرية قبل مصالح الطبقات الإجتماعية الثرية وهكذا حدد الإسلام منذ أربعة عشر قرنا معالم هذه العدالة في بساطة كان لها السبق الى وضع لبنات البنية الإجتماعية

التي حاولت شتى الايديولوجيات ترصيصها عبثا فإذا اخذنا كمثال لذلك النظرية الماركسية لاحظنا أنها ترتكز خاصة على مبادىء ثلاثة هي :

1) ضمان الحد الحيوى الأدنى للعامل.

2) التسوية الطبقية (أى المساواة بين طبقات المجتمع).

3) اعتبار عمل العامل بمثابة رأس المال الحقيقي، كما وصفه (كارل ماركس) في كتابه (رأس المال العمل) (Capital travail)

وقد صحت عن الرسول عليه السلام أحاديث تعتبر الدعامة الأساسية للعدالة الإجتماعية (ولا نقول الإشتراكية الإسلامية ولو تجوزا) وهي قوله عليه السلام :

1) أنا خصيم من لم يؤد أجرة الأجير قبل أن يجف عرقه.

2) من أكل أجرة الأجير هبط عمله ستين سنة.

3) إن في المال لحقا سوى الزكاة (أى يوخذ من الغنى ويرد على الفقير دون افقار الأول حتى يقع نوع من التسوية بين الطرفين لتكتمل عناصر التوازن في المجتمع).

وقد أكد عمر بن الخطاب في آخر حياته قائلا : «لو استقبلت ما استدبرت لرفعت الفقراء إلى درجة الأغنياء».

أما فكرة (كارل ماركس) فيكفى أن نؤكد أن ابن خلدون أشار إلى ذلك في فصل خاص من مقدمته عنونه (باب الكسب رأس المال) حيث أوضح أنه يقصد بالكسب العمل لأن ما يورث يسمى رزقا لا كسبا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن النصوص التشريعية تتكامل في الإسلام فإذا كان القرآن قد أدرج بين الأصناف الثمانية التي لها حتى التمتع بالصدقة أى بالزكاة - المساكين وهم الذين لهم قوت سنة فإنه يعتبر أن توفر القوت لا يكفى وحده لأن على المواطن المعوز تحملات أخرى تخص المسكن والملبس والدواء وتعليم الاطفال ولا يمكن أن نعتبر هذا الفيض بمثابة تشجيع على الكل لأن مقتضيات الأحاديث المتكاملة تلزم المومن الذى لا ينسى في هذه الحالة ما قاله عليه السلام من أن الاحتطاب لتوفير العيش أفضل للمومن من التسول ولذلك أكد صاحب (فتوح الشام) أن الجباة لم يجدوا في أحد الأعوام بافريقية في عهده من ادعى استحقاق الزكاة التي اضطر المسئولون إلى ارجاع حصيلاتها لبيت مال دار الخلافة ببغداد.

وتحقيقا لهذا الترابط بين النصوص في التشريع الإسلامي يجب الجمع - كما يقول علماء الحديث - بين أطراف الحديث والتحرى في (أسباب النزول) أى أسباب وحيثيات القانون (كما يقال اليوم) مما يكشف عن نية المشرع وما اشترطه لتطبيق نص التشريع فإذا أخذنا من بين الأمثلة فكرة (إقامة الحدود) لا حظنا في حد السرقة أن هنالك عشر صور لا يجب فيها الحد المقصور على ما يسمى (سرقة) بحيث تخرج تسعة أنواع من هذا المضمون كالنهب والغصب والاختلاس مع اعتبار كامل الاغراء كشرط للحد فإذا ما عرض رب المتاع متاعه إلى السرقة فإن الحد ينتفى وهذه صورة لمبدأ عام هو أن الحد القانوني لا يقام إلا عند توفر الاطار العام الذي وضعه المشرع فالموظف الصغير الذى لا تتاح له فرصة العمل إلا بمقابل دون ما يستحق من أجر فإن القائم على تشغيله يشارك في المسؤولية بسبب تعريضه لارتكاب الجنحة أو الجريرة ولذلك أسقط الخليفة عمر بن الخطاب حد السرقة عام المجاعة.

ولنتعرض في هذا المجال ثلاث قضايا تعتبر من صميم ما يتبلور فيه الفكر الإسلامي في خصوص حقوق الإنسان وهي قضايا المرأة والحرية وحق العمل :

فالقرآن يعترف للمرأة المسلمة بكفايات وحقوق غير

مشروطة ولا مقيدة في كل مظاهر التصرف والتدبير خاصة في ميدانى الاقتصاد والأحوال الشخصية.

فللمرأة اذن حق الارث والهبة والوصية والتملك والحيازة وامضاء العقود والتعرض أمام القضاء والتصرف الكامل في أموالها. وللمرأة أن تسهم في أية شركة مالية مع زوجها بشرط أن لا يؤدى ذلك إلى خلل في البيت. كما تتمتع بحق الإختيار الحر لشريكها في الحياة حتى ولو كانت بكرا دون البلوغ أو لتجديد زواجها عند الترمل (وهذا الحق الأخير لم تحصل عليه المرأة الاوربية الا في عهد متأخر) لذلك لاحظ (كوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) (الطبعة الفرنسية ص 428 ـ 436) «أن الإسلام رفع قدر المرأة فكانت بادرته هي الأولى من نوعها بين الديانات كما كان الوضع القانوني للمرأة في نظر القرآن ومفسريه أفضل من الذى ناب المرأة الأوربية» على أن الإسلام يخص المرأة وحدها بحقوق في خصوص الحياة الزوجية والمنزلية والعائلية كالأمومة واذا كانت أهلية المرأة محدودة نوعا ما في بعض النشاطات حيث تحظر عليها مثلا بعض المذاهب الفقهية الجلوس على كرسى القضاء فإن هؤلاء يعللون ذلك لا بنقص ذاتى لدى المرأة ولكن يفضلون الرجل عليها لرقة مشاعرها وانسياق عواطفها مما يتنافى أحيانا مع مقتضيات التشرد في الأحكام والنساء شقائق الرجال واذا كان القرآن قد منح الرجل ضعف حصة المرأة في الإرث فالسبب الأوحد هو التحملات الاستثنائية التي ألزمها الرجال دون النساء بل لفائدة النساء حيث أوجب على الرجل الفقير النفقة على زوجته الغنية. وهذا هو مفهوم الفكرة القرآنية **(الرجال قوامون على النساء)**.

أما الحرية فإن مداها غير محدود في الإسلام ولكن في نطاق رعاية حرية الآخرين والحرية الأصلية لدى الفرد تتنافى مع كل أصناف الاسترقاق الذى لا ينصب مفهومه إلا على أسارى الحرب فلذلك وضع الإسلام مبدا جوهريا لخصه الخليفة عمر بن الخطاب في مقولته المشهورة «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟» فكل رق خارج هذا المفهوم يعتبر غير مشروع ولذلك لم يعترف كثير من الأيمة بالتسرى بالإماء في العصور الأخيرة بعد أن أصبح سوق النخاسة المورد الأكبر للرق على أن الإسلام حاول تصفية الوضع الجاهلى سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها بتشجيع العتق واعتباره من أجل الكفارات فتناقصت بذلك أعداد العبيد كما يعرفهم المشرع الإسلامي. وقد أبى عليه السلام أن يواجه في هذا المجال بعنف تيارا كان يجرف بأرقى الأمم والشعوب آنذاك كالفرس والأغارقة والرومان فعمل منذ أربعة عشر قرنا على امتصاص واستنفاد جرثومة هذا الداء الذي مازال أكثر من ثلث الدول العصرية اليوم يرفض الإنضمام الى الاتفاق الأممي الهادف الى أبطاله واستئصال شافته.

أما العمل فإن الإسلام يوليه الأولوية ويعلق على حسن ممارسته كمال بل صحة كثير من الشعائر الدينية. فالعمل عبادة وكل حركة تستهدف تنشيط الحياة في إطار الكرامة هي جزء مما أشار إليه الحق تعالى في القرآن الكريم **«وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»**، وقوله : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون)** وقد قال عليه السلام (إن الله يحب المومن المحترف) (الطبراني) كما أجاب من سأله عن أفضل الطرق لكسب القوت مؤكدا أنه عمل اليد والتجارة النزيهة (مسند ابن حنبل والبزاز والطبراني).

ومن جملة اوجه هذا العمل السعي لاخذ العلم فهو أيضا أفضل من العبادة نفسها (أحاديث البزار والطبراني) لأن عالما واحدا أشد على الشيطان من ألف عابد (الطبراني) وقد رفع الإسلام رجال العلم إلى أسمى الدرجات عندما اعتبرهم ورثة للأنبياء (الترمذى وأبي داود).

تلك فذلكة مركزة لا نزعم أننا أجعلنا فيها كل معطيات الفكر الإسلامي حول حقوق الإنسان ولكنها مجرد معالم وصور تنير السبيل بنماذج موضوعية في الحياة.

كتاب جديد للاستاذ عبد الله كنون:

تفسير سور المفصل من القرآن الكريم

• • تعززت المكتبة القرآنية المغربية بصدور سفر قيم أضاف به الأستاذ عبد الله كنون لبنة جديدة في البناء الثقافي والادبي الذي شاده للأمة عن (تفسير سور المفصل من القرآن الكريم) يقع في 430 صفحة من الحجم الكبير.



ويمكن أن نقول عن الكتاب الجديد للأستاذ كنون في كلمة ـ اختصارا ـ إن هذا أول تفسير للمفصل في القرآن الكريم. وكما يقول المؤلف : (لا أعرف أن هناك تفسيرا قاصرا على سور المفصل فيكون هذا أول تفسير مستقل له. إن اقتصرت عليه. وانفراده بهذه المزية يجعل لنا عذرا في تفرده واستقلاله

((دعوة الحق)) تعرض الكتاب في احد أعدادها القامة • •

السنة الثانية

من القرن الخامس عشر الهجري

للأستاذ عبد اللطيف أحمد خالص

استقبل المسلمون في العالم أجمع الطلعة البهية لشهر محرم الحرام مفتتحين. بحول الله. السنة الثانية من القرن الخامس عشر الهجري. وهي مناسبة سعيدة يحق للمسلمين أن يفتخروا بها أيما افتخار ويعتزوا بحلولها بكامل السرور والاستبشار ويحتفوا بها غاية الاحتفاء. ويتبادلوا أجمل باقات التهاني وأصدق آيات الأماني بالعزة والهناء والسعادة والرخاء.

ان السنة الهجرية الجديدة فرصة عزيزة تذكر المسلمين أجمعين بحدث الهجرة العظيم الذي تحقق فيه النصر المبين لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. وتم فيه الفتح المكين للنبي والجماعة المومنة التي صدق أفرادها القليلون برسالة الإسلام الخالدة التي حملت دين الله إلى خلقه. ورجعت بالبشرية جمعاء إلى المنهل الروحي الصافي بعدما أعرض الناس عن ملة إبراهيم. ونأوا عنها بجانبهم. وترددوا في وهدة الشرك والضلالة والغواية. وانغمروا في متاهات العبودية للأوثان. وخضوع للإنسان بدلا من الخضوع للملك الديان.

لقد كانت الهجرة النبوية انطلاقا وثابا للدعوة المحمدية خرجت بها عن الحدود الضيقة التي فرضها على أصحابها الخصوم والأعداء. وفتحت لها آفاقا واسعة للانتشار والسريان. وأبعادا شاسعة في المكان والزمان. وقد اغتنم النبي وصحبه هذه الفرصة ليطلقوا لأنفسهم العنان. ويسيروا باتئاد وامعان. لنشر الإسلام والايمان مهتمين بغزو قلوب وعقول العرب والعجم قبل الاهتمام بغزو الأقطار والأمم.

وأعتقد أن المسلمين. حسب مبلغي من العلم. هم الأمة الوحيدة بين أتباع الديانات الأخرى السابقة للإسلام. التي بدأت تؤرخ حياتها بحدث عظيم كحدث الهجرة الذي يرمز إلى مقاصد نبيلة وغايات جميلة. والذي ينطوي على مثل عليا. وقيم سامية. ولعل أهم هذه المقاصد والغايات. وأنبل هذه القيم والمثل أن حدث الهجرة يمثل الانطلاق والانتشار. ويجسم الانعتاق والازدهار. ذلك أن تاريخ المسلمين لاينطلق من ولادة أو وفاة أو معركة حربية أو أي حدث عادي ولكنه يبتدىء من حدث متحرك يتجلى فيه الصمود والتصدي في أجمل مظهر وأنصع صورة. كما

يتمثل فيه الانطلاق والتحدي؛ والحقيقة أن الخليفة عمر بن الخطاب كان ملهما في اختيار الهجرة بداية لتاريخ حياة الأمة الإسلامية، كما كان ملهما ذلك الذي فكر أو دعا أول مرة للاحتفاء بهذه المناسبة لأن فيها، حثا للمسلمين على اقتفاء آثار الأنصار والمهاجرين، وتحريضا لهمم المسلمين على التفتح والتحرر، وترغيبهم في الاستماتة والدفاع، وشحذ عزائمهم للنضال الصامت المتواصل، والعمل المستمر الذي يجمع بين الدهاء والدعاء، والأسرار والاختفاء، وتجنب الدعايات والضوضاء، والاقبال على التنظيم المحكم في صمت وأناة، ووضع الخطط الحكيمة قبل الاقدام على الخطوات الحليمة، والتسلح بالتأمل والتدبر قبل القيام بعمل قد لا يخلو من تسرع وتهور.

إن الاحتفاء بالهجرة لا يعني الإعتزاز بالنصر والتمكن اللذين حققهما الله للإسلام والمسلمين في حدث الهجرة فحسب ولكنه يعني، أولا، التمعن في الأسباب التي أدت إلى هذا النصر كما يعني دراسة الطرق والكيفيات التي تم فيها الفتح، ان الاحتفاء بالهجرة يقتضي من المسلمين أن يتدبروا مليا كيف وضع النبي صلى الله عليه وسلم الخطوات تلو الخطوات لتحقيق الهجرة، وكيف كان يستقبل أهل يثرب وهو في مكة، وكيف كان يحدثهم ويقنعهم، وكيف كان يرسل الوفود والبعثات، والأفراد والجماعات الى يثرب، وما هي الأعمال التي قام بها المسلمون الأولون الذين دخلوا يثرب سواء كانوا من أهلها وسكانها أو كانوا من المقبلين عليها من مكة وشعابها، وكيف أعد هؤلاء المسلمون استقبال رسول الله بتلك الحفاوة العظيمة، والمهرجانات الكبيرة التي رغم ما طبعها من تطوع وروح تلقائية، لم تكن تخلو من تنظيم وأحكام وتدبير وتفكير، ان الفكر الممعن في دراسة حدث الهجرة يتوصل، إذا كان حسن النية سليم الطوية، إلى نتائج باهرة واعتبارات زاهرة بدايتها موقف جماعة المسلمين الذين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبقاء في مكة ليسهروا على مصالح المسلمين المقيمين بها بعد هجرته والذين هاجروا بقلوبهم وعقولهم وشعورهم مع رسول الله وان ظلوا في مكة بأجسامهم وأشخاصهم ونهايتها العواقب التي عرفتها هذه المسيرة المظفرة، والمعاملات التي عامل بها النبي جماهير المسلمين وغيرهم من الذين استقبلوه بحماس لا نظير له، والعلاقات التي ربطت بين المهاجرين والأنصار، والاتصالات التي نسجت بين المسلمين وغيرهم، ولعل من أعظم هؤلاء الرجال الأقوياء الذين تسلموا الأمانة من يد النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب الذي فدى النبي بروحه، وكاد أن يكون الضحية الأولى بعد الهجرة. وقد كان علي الرجل الشجاع المقدام كما كان المدبر المفكر بامعان وأحكام لم يدفعه الغلو في المحبة الى فرض مصاحبة النبي، بل قدر المسؤولية الملقاة على عاتقه حق قدرها وظل الحارس الأمين بسيفه وقلبه، وعقله وجسمه، للرسالة الإسلامية في مهدها، والمدافع القوي عن ابن عمه لو اقتضى الحال ذلك، وماذا عساه يفعل وقد أصبح مطوقا بالحفاظ على رسالة الإسلام ومناطا، كما صار حاميا للجماعة التي لم يكن من نصيبها الهجرة آنذاك وبتأييدها محاطا ؟ وان من أهم الدروس والعبر التي ينبغي أن يخلفها في نفوس المسلمين حادث الهجرة موقف أبي بكر رضي الله عنه، فقد صاحب النبي في هذه الهجرة رغم علمه علم اليقين بالأخطار المحدقة بها، وآثر أن يكون رفيق رسول الله في سفره رغم أنه كان يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة قبل ذلك؛ وكان هذا الأخير يطلب منه الانتظار حتى يجد له رفيقا يؤنسه في الطريق؛ وقد ابتسم له الحظ فكان رفيق محمد الذى كان خلال مراحل السفر يهدىء من روعه ويبعث في روحه الاطمئنان قائلا له : «لا تحزن إن الله معنا».

قد يطول بي الحديث والكلام لو أردت استيعاب ما في الهجرة من عبر وأحكام؛ واني أعتقد اعتقادا جازما بأن الوقت قد حان ليقوم المسلمون بدراسة حدث الهجرة دراسة مستوفية لجميع مراحل الهجرة بداية من أسبابها والدواعي التي استلزمتها. ومرورا بالخطوات والأشواط التي قطعتها الهجرة قبل انطلاقها مع اعتبار التنظيم المحكم الذى مهد لها. والضبط الدقيق المدبر بكل امعان واتقان قبل الاقدام على تنفيذ الخطة. ونهاية بالاستقبال الحار الذى لقيه النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المدينة. والترحاب التلقائي الكبير الذي خص به النبي. والحفاوة البالغة التي وجدها لدى سكان يثرب الذين كانوا يتنافسون للحظوة بايواء النبي صلى الله عليه وسلم. ويتسابقون. فيما بينهم. ليكون مبوى الموكب المحمدي عند من أسعده الله منهم؛ ومع ذلك فقد أبى محمد المهاجر الا أن يستغل الفرصة ليترك القلوب معلقة بالوحي. والوجوه مشرئبة لما سيقع معطيا بعمله هذا الدليل على أن ما يأتي به محمد بن عبد الله إنما هو وحي يوحى. وليس تسلطا على حكم. ولا رغبة في الخصول على صدارة قوم. ولا رياسة قريش. ولا قيادة قبائل العرب. وإن غايته القصوى هي دعوة الناس «ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة» وقد واصل الموكب النبوي طريقه وسط جماهير يثرب التي كانت تهلل. وتكبر. وتردد نشيد الاستقبال المعروف :

طلع البدر علينـــــا من ثنيات الـــــوداع
وجب الشكر علينـــا ما دعا للـــــه داع

ورسول الله مفعم القلب من السرور بما يرى، مبتهج الصدر بما يسمع متهلل الوجه لما يشاهد. مرتاح الضمير لما حقق الله للمسلمين من نصر وتمكين وفتح مبين حتى إذا بلغ حماس الجماهير أوجه. وكثر الحاح المستقبلين للتوقف. واشتدت رغبة بعضهم في التشرف بايواء النبي لم يجز هذا الأخير في الأمر، وإنما خاطبهم عن [illegible] التي كان يمتطيها قائلا : «دعوها فإنها مامورة» وهكذا استمرت الناقة في سيرها إلى أن وصلت إلى المكان الذى أوحي به الله إليها التوقف فيه.

إن الهجرة جديرة بالاعتبار والتقدير. حرية بالابتكار والتفكير لأنها لا تمثل حدثا عابرا يندرج ضمن الأحداث التاريخية العادية ولكنها حدث يدعو المسلمين إلى النشاط والتحرك. ويحفزهم على حسن التنظيم وامعان النظر في الأوضاع التي يعيشونها. وتدعوهم إلى نفض غبار التكاسل والتراخي. وتأمرهم بادخال التغييرات اللازمة لاصلاح أحوالهم. والخروج بهم من ورطة الجمود والركود إلى حلبة الانطلاق والانعتاق. وتغرس فيهم روح التنقل من حال إلى حال بدلا من الإنقياد للأمر الواقع والإمتثال. وتنفخ في نفوسهم الاستعداد للتصدي والتحدي بدلا من قبول الانصياع والتردي. وتزرع في الأمة الإسلامية الطموح إلى التغيير والاصلاح عوضا عن الرضا بابقاء ما كان على ما كان.

وأعتقد. خالصا. أن الأمة الإسلامية اليوم في حاجة ماسة إلى الإحتفاء بهذه الذكرى لاحياء. المعاني السامية التي تزخر بها. والمثل العليا التي تنطوي عليها؛ فقد ران على قلوب أبناء المسلمين طلاء الغشاوة. وغشيتهم موجة التراخي والتقهقر. وخلف من بينهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إذا لم يتدبروا حالتهم السيئة. ويجمعوا أمرهم لتغيير أوضاعهم لأن «الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

وإذا كان من دواعي الإستبشار والإرتياح أن نرى اليوم بعض الحركات الإسلامية تنبثق هنا وهناك تدعو إلى الإصلاح والتغيير. فإننا لا نملك إلا التأسف والتحسر لما نشاهد من انتشار أعمال التخريب والتشريد. وأفعال الابادة والتقتيل. وعمليات الاثارة والبلبلة التي يتسم بها نشاط

عض الجماعات الاسلامية التي لا تستطيع وصف الأعمال
تي يقوم بها أعضاؤها أو يدعون لها بشيء آخر غير
تطرف المؤذي الذي يؤدي بهذه الجماعات الى محاربة
مسلمين، وتفريق صفوفهم، وتشتيت شملهم بدل القيام
أعمال اصلاحية تبدأ بالتجمع لا بالتصدع، وتقوم على
لاقناع بالعنف لا بمجادلة الناس بالتي هي أحسن لا على
لإقناع بالعنف والتعسف.

ومما يحز في النفس أن بعض الفئات الضالة أخذت
جعل لنفسها شعارات كاذبة ظاهرها من قبله الرحمة
باطنها من قبله العذاب يقوم بعضها على كتاب أخضر
ينما يدعو البعض الآخر إلى تعصب ديني أعمى أساسه
تشبع بمذاهب متطرفة كتب لها الخزي في ماضي حياة
أمة الإسلامية وحاضرها، أو التشبع لنظريات متعصبة
ليها التشبث بتقاليد ودعوات تجاوز عنها الدهر، أو
زوع لأهواء وتيارات شاذة لم يقع عليها اجماع الأمة
سلامية لا في القرون الأولى للدعوة المحمدية ولا في
عصور التي تلتها حتى إذا أصاب المسلمون ما أصابهم في
عهود الأخيرة من انحطاط وانحدار قام أصحاب هذه
تيارات والأهواء يدعون لها بشدة ويجبرون الناس على
اعها ظنا منهم أنها السبيل الفريد لإصلاح أحوال
سلمين، والطريق الوحيد للنهوض بالأمة الإسلامية.

وقد رأينا ما آل اليه أمر المسلمين اليوم بسبب هذه
عوات المتطرفة والحملات العصبية التي قوضت دعائم
ظمة القائمة في عدد من البلدان الإسلامية، وتسببت في
ق المزيد من الاضطرابات والقلاقل والفوضى في كثير
باقي الأقطار الإسلامية الأخرى. وان المسلم الحق
حسر لما يرى اليوم في ايران ومصر وتونس وغيرها من
د الإسلام التي كان الأولى أن يسود فيها السلام والوئام
ن النزاع والخصام.

إن اصلاح أحوال الأمة الإسلامية لا يتحقق ولن يتحقق بزرع الخلافات وبث التفرقة في صفوف المسلمين، وبواسطة التهديد، والوعيد، والتقتيل، والتشريد، وأحكام الشطط والتعذيب والظلم والعدوان وأعمال الخزي والخذلان لأن القاسطين سواء كانوا حكاما أو محكومين كانوا لجهنم حطبا لأن «كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه» كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم.

وأعتقد أن الوقت قد حان لتدارك أوضاع الأمة الإسلامية واحلال الصفاء والإخاء بين المومنين واصلاح ذات البين بين المسلمين بطرق سليمة ووسائل حكيمة أساسها تدارس الوضعية الراهنة في العالم الإسلامي بين قادة هذا العالم وعلمائه وحكامه وزعمائه في لقاءات علمية، وندوات دينية، ومؤتمرات اسلامية يسودها الجدل العلمي، وتبادل الرأي بكل تجرد ونزاهة وجدارها ارساء دعائم الأخوة الاسلامية، وتعاطف المسلمين فيما بينهم وربط قواعد الاتصال بينهم وبين غيرهم من أقطار المعمور، والترفع عن النزاعات السياسية، ونبذ المذاهب الأجنبية الهدامة سواء منها الاشتراكية أو الرأسمالية أو غيرها. ذلك أن التعلق بالعقيدة الإسلامية التي أوحى الله بها أولى للمسلمين من التشبث بالعقائد الدنيوية التي ابتدعتها عقول بشرية ظنت أنها وجدت السبيل لنجاة الإنسانية من جميع المصاعب التي تتخبط فيها، والمشاكل اليومية التي تواجهها مع أنها لم تزد الطين الا بلة والمشاكل البشرية الا تعقيدا.

وان من أغرب الأمور أن يحاول المسلمون اليوم اصلاح دنياهم بافساد دينهم، وتحسين طرق معيشتهم بتشويه عقيدتهم الإسلامية، ورفع مستوى حياتهم بالاعراض عن ملتهم، والدفاع عن قومياتهم بتقويض دعائم أمتهم، وكأنهم يجهلون تاريخهم وحضارتهم اللذين يشهدان شهادة صدق وعيان ويؤكدان بكل وضوح وايمان، أن ما أصاب المسلمين من كوارث ونكبات، وما تعرضوا له من مصائب

وويلات لم يكن ليصيبهم لولا ما دخل الإسلام من مذاهب فاسدة وملل ومعتقدات منبوذة ونحل أراد بها المسلمون السابقون اصلاح أمور دينهم فأفسدوه وأفسدوا دنياهم بها. وتركوها لنا نحن اللاحقين تزرع الأحقاد فينا، وتمزق شملنا حتى أصبح يطبق علينا بحق قول الشاعر العربي المسلم :
نرقع دنيانا بتمزيق ديننـــا

فلا ديننا يبقى ولا ما نرقـــع

فماذا أصاب المسلمين اليوم وهم يعلمون علم اليقين بأن آخر هذه الأمة لن يصلح الا بما صلح بها اولها ؟ وهل الأمر يتعلق بأزمة أساسية حادة يجتازها المجتمع الإسلامي تتجاوز مصير الأنظمة والأمم ؟ وما هي الحلول الكفيلة برد أمور المسلمين إلى نصابها ؟

لقد استبشر المسلمون عندما انعقد أول مؤتمر اسلامي بالرباط في نهاية الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري ذلك المؤتمر الذي شارك فيه غالبية ملوك وأمراء ورؤساء الدول الإسلامية كما تابع جلساته وأشغال لجانه عدد من العلماء المسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية وغيرها وكثير من ممثلي المنظمات والهيآت والجمعيات والحركات الإسلامية داخل العالم الإسلامي وخارجه.

وقد كان احراق الصهاينة المعتدين للمسجد الأقصى بمدينة القدس الداعي الأول لانعقاد هذا المؤتمر نظرا لما أحدثه هذا الفعل الشنيع من آثار سيئة في نفوس المسلمين. وما خلفه من ضجة عارمة في صفوف المجتمع الإسلامي. وقد كان هذا المؤتمر بداية لنشاط اسلامي منظم وعمل اسلامي محكم بغية توحيد صفوف المسلمين. وجمع كلمتهم. ولم شعثهم. وبدأ. فعلا. هذا التنظيم يخطو خطواته الأولى باتخاذ مواقف موحدة في ميادين متعددة رغم تنطع بعض القادة المسلمين الذين لم يرقهم هذا العمل الإسلامي الذي «قذف» في قلوبهم الرعب ، بعد أن أتاهم من حيث لم يحتسبوا، فأحدث «القفزات» الفردية الهوجاء [illegible] العمل الجماعي. وتوالت «القذفات» العشواء الواحدة تلو الأخرى تتلمس الطريق لتوقيف هذا التيار الإسلامي وذلك بالتلويح بحل ثالث في كتاب أخضر لا يتفق والمفاهيم الإسلامية الحق ولا يتمشى ومعطيات العصر الحاضر لأنه حل يريد الرجوع بالاسلام والمسلمين إلى الوراء ولا يريد أن يعبد الله إلا على حرف ويتناسى أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان وأن المسلمين مطالبون بأن ياتوا من الدين ما استطاعوا لأن هذا «الدين يسر. ولن يشاد الدين أحد الا غلبه» كما ورد في الحديث الشريف. ولأن القرآن الكريم ينص على أن «لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي».

ان انطلاق الخطوات الأولى للمؤتمر الإسلامي من عاصمة المملكة المغربية يفرض على بلادنا السهر بكل طاقات المسؤولين المغاربة وبقية المواطنين على هذه المؤسسة وتوفير الشروط الكفيلة بنجاح مساعيها، وضمان مواصلة سيرها رغم عبث العابثين وتخمينات «المخيمنين» وقذفات «القذافين» الخاسرين؛ وسيرى هؤلاء جميعا أن استماتة المغرب وسائر الدول الإسلامية في حماية هذه المنظمة ووقايتها من السقوط في الفراغ والهذيان. والتخبط في أعمال الخزي والخذلان سيجعل من المؤتمر الإسلامي قوة سياسية، دينية ودنيوية «تتلاقى فيها آمال المسلمين وأمانيهم. وتتقابل داخلها، آراؤهم ومعانيهم. وصخرة تتحطم عليها أطماع المارقين، وأحلام المذبذبين.

لقد مر على أحداث هذه المؤسسة أزيد من عشر سنوات قطعت خلالها، خطوات موفقة أهمها لجنة القدس التي عهد الى المغرب برياستها وتوجيهها والتي حققت. هي بدورها، نتائج ايجابية نتمنى أن تتلوها - وستتلوها ولا شك - مراحل عملية لتحرير القدس الشريف، ومن هذه الأعمال الندوات والمناظرات التي عقدت في مختلف أرجاء

العالم للتعريف بالإسلام وحضارته، وبرسالة محمد بن عبد الله وعقيدته في الماضي والحاضر وآفاقها في المستقبل القريب والبعيد وأعتقد أن من أجل الأمور الموفقة التي توصلت اليها منظمة المؤتمر الإسلامي الإهتمام المتزايد الذي أولاه المسؤولون عنها للاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري بطريقة عملية هدفها البحث الجدي عن الوسائل الكفيلة بنشر الحقائق عن الإسلام، وتوطيد أركان المجتمع الإسلامي، واحلاله المكان اللائق به بين المجتمع البشري، ومساهمة المسلمين في ايجاد الحلول الناجعة لاحلال السلام والوئام في العالم وبين الأنام بعد تقريب الشقة بين المسلمين، وتمتين عرى التوافق والقربى بين الأقطار الإسلامية، وضبط طرف التعاون الاقتصادي والاجتماعي بينها، وتوضيح سبل التفاهم السياسي والديني بين مختلف المذاهب والتيارات التي تتصارع داخل العالم الإسلامي بدلا من أن تتقارب وتتكامل لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

ومما لا مراء فيه أن الإسلام يواجه اليوم تحديات مادية تتجلى في تكالب عدد من القوى الداخلية والخارجية للاجهاض على الإسلام كما تتجلى في التقلبات والتطورات التي يعرفها العالم اليوم في الميادين العلمية والإقتصادية والتقنية لم يسبق للإسلام أن واجه مثلها خلال مدة أربعة عشر قرنا التي انصرمت من عمر هذا الدين الحنيف والتي اتسمت في القرن الأخير بتضعضع معظم الدول الإسلامية التي ذاقت مرارة الإحتلال الأجنبي، وضراوة الغزو الفكري والسياسي الغريب عنها، وقساوة الإستعمار الدخيل الذي كاد أن يهدد كيان هذه الأقطار، ويقضي على وجودها «وذاتيتها» لولا أن تداركها الله بلطفه وعنايته فأخذت تقاوم في سبيل تحريرها، وتحقيق سيادتها حتى خرجت من طور الانقياد إلى القوات الأجنبية ومن وهدة التخلف والانحطاط إلى طور التمتع بالاستقلال السياسي، ومسايرة ركب الحضارة المعاصرة، ولكن هذا الإحتلال الأجنبي ترك هذه الدول ضحية غزو فكري دخيل كانت عواقبه الوخيمة - وما زالت في بعض الأقطار - أسوأ من الاستعمار لأنه تركها مرتبطة، فكريا، ولغويا، بالدول التي كانت تحتلها، وإذا أضفنا إلى هذه العوامل ما يعرفه العالم اليوم من تطورات في ميدان المواصلات ووسائل الإعلام التي تغزو سائر الأقطار والشعوب، والاتصالات المباشرة التي تيسرت بواسطة هذه الطرق والوسائل السمعية البصرية الحديثة أدرك ما يواجه العالم الإسلامي من أخطار فادحة، وما يحدق بأبنائها من كوارث ونكبات لا يعلم إلا الله وحده مداها ولا يستطيع أحد حصر مفعولها وصداها.

وإذا كنا نومن بأن التمسك بالدين في هذا القرن الخامس بعد العشر أصعب من القبض على الجمر فإننا نومن، أيضا، بأن النهضة الإسلامية التي تشهدها اليوم غالبية البلدان الإسلامية كفيلة بأن تساعد المجتمع الإسلامي على الإستمساك بعقيدته وشخصيته، والمحافظة على شعائره وذاتيته خصوصا إذا اجتمعت كلمته، وتوحدت غايته وساعدته على ذلك، الفرصة التي أتاحها للمسلمين المؤتمر الإسلامي المنطلق من المملكة المغربية.

واني أدعو بالحاح جميع المسلمين إلى التفكير بامعان وعمق في مصير العالم الإسلامي، والتأمل، بكل اخلاص وتجرد، في الكيفية التي يتعين أن يسير بها المسلمون في عالمنا المتطور المتحرك حتى يجمعوا بين الدين والدنيا ويندرجوا في ركب الحضارة الحديثة، ويأخذوا بالتقنولوجيا المعاصرة مع الحفاظ على وجودهم وكيانهم، وصيانة عقيدتهم وايمانهم، وسلامة الطابع الإسلامي لشعوبهم وأوطانهم.

وسوف لا يتأتى هذا إلا إذا تعلق المسلمون بلباب الحضارة العالمية الحديثة وأعرضوا عن قشورها كما فعل أجدادهم عندما احتكوا. بعد الفتوحات الإسلامية. بمدنيات غريبة عنهم كالحضارة الفارسية والهندية والاوروبية وغيرها إذا تفاعلوا معها فكان الأخذ والعطاء والتأثر والتأثير والتبادل والتقابل فنتج عن ذلك تطور في العقلية العربية الإسلامية استفادت منه الحضارة البشرية وبقي ساري المفعول في أرجاء المعمور إلى أن تأخر العرب والمسلمون وتقدم غيرهم.

وأعتقد اعتقادا جازما أن أول ما يجب أن يتفق عليه المسلمون اليوم هو ضبط ضرورات العصر مع مقتضيات الرسالة المحمدية. ويستوجب هذا أن تتكيف التشريعات اليومية الجاري بها العمل في الأقطار الإسلامية مع التطورات التشريعية المعمول بها في العالم على شرط أن يؤخذ من هذه الأخيرة ما هو موافق للكتاب والسنة وينبذ منها كل ما يتعارض مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. ومعنى هذا أن دساتير الدول الإسلامية يجب أن يكون أساسها القرآن والسنة لأن دستور الأمة الإسلامية. بلا منازع. هو القرآن ذلك أن كتاب الله وسنة رسوله هما الأمران اللذان تركهما لنا النبي بعده وقال لنا في شأنهما : «تركت فيكم أمرين. لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله».

أما ثاني الواجبات التي يتعين على المسلمين القيام بها وهم يحتفلون بحلول القرن الخامس عشر الهجري فهو الإعتناء بالتربية الإسلامية وجعلها الدعامة الأولى لكل نظام تربوي. فبفضل هذه التربية يستعمل المسلمون على تربية شعوبهم تربية صالحة تجعلهم غيرا على دينهم وملتهم. وقوميتهم وأمتهم. وحصنا حصينا للذود عن العقيدة الإسلامية داخل المجتمع الإسلامي وخارجه. ويعني هذا أن التربية الإسلامية يجب أن تكون مدرجة في سائر المواد التعليمية لا أن تلقن مادة مستقلة فيهملها التلاميذ والطلبة وينأون عنها بجانبها بحيث يندمج القرآن والحديث والفقه والآداب الاسلامية في البرامج وفي مختلف مستويات التعليم الأولي منه والإبتدائي والثانوي والعالي والنهائي. ويجب أن يتكفل بتلقين التربية الإسلامية وآدابها وأخلاقها وعلومها أساتذة مبرزون متوفرون على مستوى علمي جيد. وعالمون بأسرار الطرق التربوية الحديثة حتى يقربوا هذه المواد الإسلامية لأذهان الناشئة. ويحببوها لهم.

وأعتقد أن التبعة الأولى في هذا المضمار تقع على الآباء الذين يتحتم عليهم أن يفتحوا عقول أبنائهم لادراك أسرار المواد الإسلامية كما تقع على المعلمين والأساتذة الذين عليهم أن يغيروا أساليب تعليمهم لهذه المواد وأن يعطوها ما تستحق من الإهتمام والعناية والاحترام والرعاية كما يتحمل هذه المسؤولية الدينية والوطنية العلماء الذين يجب في حقهم أن يتكيفوا مع الطرق والأساليب البيداغوجية الطريفة التي تطرق الآذان بغير استئذان وتغزو العقول والألباب بدون ارتباك ولا ارتياب.

وان من أكد الواجبات على المسؤولين في الدول الإسلامية أن يهتموا بتكوين علماء دعاة تتوفر فيهم شروط التبليغ والإقناع. ومرشدين وعاة يقع الاتفاق على حسن تأهيلهم لهذه المأمورية الكبيرة بالإجماع. ويدخل في هذا المضمار أئمة المساجد وخطباء الجمعة والقضاة والعدول والوعاظ كما يندرج في هذا الإطار أعضاء المجالس العلمية والنظار والمحتسبون وغيرهم؛ ومن هذه الواجبات العدول عن التفريق بين نظامي التعليم الأصيل والعصري وجمع النظامين معا في سلك واحد يعهد اليه ولرجاله بتكوين واحد ذي منفذ واحد ومستوى واحد وشهادات واحدة.

أما الأمر الثالث الذي يتعين الإنكباب على دراسته وايجاد الحلول الملائمة له فهو الإعلام الذي ينبغي أن

يطهر من البرامج التجارية والمسلسلات الخليعة، المنافية للاخلاق الإسلامية السمحة. وليس معنى هذا أننا ندعو إلى نبذ الأشرطة والبرامج والمسلسلات الأجنبية سواء كانت فرنسية أم أميركية أم روسية أم هندية أم... أم... والرمي بالأغاني المغربية والعربية والغربية في البحر أو سلة المهملات ولكننا - ونحن نشعر الشعور الكبير بضرورة مسايرة ركب الحضارة العالمية - نطلب أن يقع الإعتناء فقط بانتقاء هذه البرامج وتصفيتها واختيار الصالح منها والعدول عن الطالح المفسد لأخلاق الأمم والشعوب والمضر بأحوالها الإجتماعية لأننا نومن أشد الإيمان بأن في بعض هذه الأشرطة والبرامج والمسلسلات والأغاني والمسرحيات مالا يتفق مع حاجاتنا ومصالحنا وأذواقنا وعاداتنا وتقاليد مجتمعاتنا الإسلامية ولأن البعض الآخر منها لم يكن معدا الا لمجتمعات الإستهلاك الاوربية والأميركية التي تجمع فيها الفسوق والعصيان وتكاثر فيها المجون والفجور والهذيان والتي غلب عليها طابع التجارة حتى أصبحت تتجر في الأعراض وتدعو إلى الاتجار بالأخلاق الفاسدة. خصوصا وأنها تعلم أن بضاعتها المزجاة تلقى رواجا كبيرا في المجتمع الدولي ونفاقا لا حد له ولا حصر.

ومن المسلم به أن برنامج الاحتفالات بدخول القرن الهجري الجديد لن يكون عاما شاملا إلا إذا أضيف إليه عمل من الأهمية بمكان ألا وهو الاهتمام الكبير بنشر الإسلام والدعوة الإسلامية في أنحاء العالم بعد وضع مخطط واضح المعالم وتقسيم القارات الأرضية الخمس إلى مناطق وعوالم تناط كل منطقة منها بعدد من الدول الإسلامية التي تقترب جغرافيا وثقافيا من سكان وشعوب هذه المنطقة وتحديد اختصاصات كل دولة اسلامية بمهمة معينة ومسؤولية متقنة.

وسوف لا يتم النجاح لهذا العمل الرامي إلى نشر بنود الإسلام وعقيدته في المعمور الا إذا بني عمل الدعوة على أسس سليمة، وطرق حكيمة تبدأ من تكوين الدعاة والمحاضرين وترجمة أمهات الكتب الإسلامية ترجمة صالحة، وتصفيتها مما عراها مع مرور السنين والأعوام من خرافات وأوهام، وتبويبها بطريقة عالمية تخضع للعقل السليم وتكييفها مع أوضاع الدول التي ستوجه إليها هذه الكتب ومقتضيات التطور العلمي والتقدم التقني الذي يعرفه العالم اليوم.

ومن البديهي أن دعوة البشرية الى اعتناق الإسلام يجب أن تكون خاضعة للمنطق ولمخطط واع وأن لا يعتريها الإرتجال والتهور كما حدث في بعض الأحيان حيث أجبر بعض الأجانب، بصفة عامة، وقادة بعض الدول الإفريقية الفقيرة، بصفة خاصة، وبعض الشخصيات المشهورة بانفعالاتها الطارئة الموقتة، بوجه أخص، أذكر منها ما حصل مع بوكاسا امبراطور افريقيا الوسطى الذى لم يعلن إسلامه الا لوجوده في ليبيا وحصوله على مساعدات مالية من حكامها الذين هم أنفسهم، ورغم كتابهم، الأخضر، في حاجة إلى من يدعوهم إلى الإسلام الصحيح الذي قال في حق معتنقيه الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام : «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» وان الامثلة لكثيرة على عمليات اعتناق الإسلام هاته التي لا يمكن أن يعرفها المرء بشيء أكثر من تعريفها بعمليات خرقاء تضر بالإسلام والمسلمين أكثر مما تنفع الإيمان والمومنين.

وخلاصة القول فإن الأعمال التي يتعين على المسلمين فرادى وجماعات، شعوبا ومنظمات، القيام بها لنشر الإسلام، وتعزيز مكانته في نفوس العالمين، واصلاح أحوال المسلمين تتلخص، حسب الأهمية، في النقط التي يمكن أن نجملها فيما يلي :

أولا - جعل القرآن دستور الأمة الإسلامية مع تكييف التشريعات الجاري بها العمل في الأقطار الإسلامية حتى تتفق مقتضيات العصر مع مقتضيات الشرع القابل لكل

تطور والصالح لكل زمان ومكان، ما دامت روح العقيدة بخير ومادام الجوهر لم يمس.

ثانيا ـ اصلاح سائر أنظمة التعليم في جميع الدول الإسلامية بمختلف أنواعه سواء منها التعليم التربوي أو التقني وبمختلف مستوياته الأولى منها الابتدائي والثانوي والجامعي والنهائي وذلك بادخال المواد الإسلامية في كل البرامج التربوية والتعليمية من المحفوظات، والمحادثة والإنشاء إلى الفلسفة والآداب والعلوم الإنسانية والقانونية والبحث العلمي والأدبي ويقطع دابر التفرقة الموجودة اليوم بين المواد التربوية ومادة التربية الإسلامية والفصل القائم الآن بين التعليم العصري والتعليم الأصيل. وسوف لا يتم هذا على أكمل وجه إلا إذا تكون المعلم الصالح، والأستاذ المتكامل، والإمام المتيقظ والواعظ الواعي والخطيب المتبصر.

ثالثا ـ الإهتمام الكامل بالإعلام من اذاعة وتلفزة وسينما وصحافة وصور ثابتة وغيرها حتى تجمع، كلها، بين دواعي الأخلاق الإسلامية والضرورات التي يفرضها العمل الفني والتقني والالتزامات المتصلة بوسائل المرح والترفيه والتثقيف والأخبار. ويزخر العالم اليوم بعدد من البرامج والأغاني الاذاعية لا يوجد بها أثر للفجور والفسوق والمجون والعقوق كما تزخر الدنيا بأشرطة وبرامج وأغان مصورة ومسلسلات تفوق حلقات بعضها عدد خمسمائة لاذكر فيها ولا صور للدعارة والمجون ولا العهارة والجنون مع احتفاظها بالطابع الفني الرفيع واخراجها في الشكل التقني البديع.

رابعا ـ اعداد مخطط محكم مع توزيع جغرافي محتم وتنسيق بين الدول الاسلامية وثيق وتوجيه من المؤتمر الإسلامي دقيق يرمي لنشر الدعوة المحمدية في الآفاق وتنظيم حملات متواصلة تحظى من الجميع بالتأييد والاتفاق بعد أن يعد لها الأشخاص الذين ستناط بهم هذه المهمة. وتطبع المؤلفات الإسلامية سواء باللغة العربية أو اللغات الأجنبية المطلوبة كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه بعد افراغ المذاهب المختلفة المتعددة في قالب موحد حسب ما هو موجود في الكتب الفقهية بأصنافها الأمهات المطولات منها، والمختصرات في الأصول والفروع، والشروح، والحواشي، والتعاليق، والطرر، والنوازل، والوثائق، والقواعد.

لقد عرضت بعض الإقتراحات التي أرى ضرورة الاعتناء بدراستها، والإهتمام بالشروع في تطبيقها وتنفيذها، جماعيا وفرديا، من طرف الشعوب الإسلامية.

وأظن أن هذه الإقتراحات تدخل في اللباب الذي يتعين التمسك به؛ وهي أولى من الإهتمام بالجزئيات والسطحيات كاعلان الجمعة يوم عطلة في العالم الإسلامي مع أن الدين لا يطلب منا أن نعطل يوم الجمعة بل ان القرآن صريح في أن الجمعة أي يوم العروبة يوم عمل بدليل قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلواة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع، ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون». بل اذهب إلى أبعد من هذا فأقول بأن اعتبار الجمعة يوم عطلة قد يؤدي ببعض المسلمين إلى التخلي عن الصلاة في هذا اليوم لأن غالبيتهم وأنا منهم ـ سيغتنمون فرصة العطلة للتفرغ وقضاء اليوم خارج بلدتهم ومكان اقامتهم أو للسفر إلى بلدة أو مدينة أخرى. ونظرا للتسامح واليسر اللذين يطبعان الإسلام، والتخفيف الذي يطرأ على بعض أركان الإسلام لرفع العنت والعسر والنص بوضوح تام على «أن لا جمعة على مسافر» فإني أخشى، شخصيا، أن يضعف الإقبال على صلاة الجمعة، وعدم التمتع بقراءة القرآن بطريقة جماعية أو فردية حسبما هو عليه الحال في

بعض الاقطار الإسلامية. والاستمتاع بخطبتي الجمعة اللتين لا تخلوان من تذكير بقواعد الإسلام وأخلاقه، ودعوة لتدبر معانيه وتعليماته. وكيف ما كان الأمر فإن هذه القضية جزئية، ولا تتصل بعمق الموضوع، ولا يتعين أن تشغل بال المسلمين إلى درجة قد تلهيهم عن الاستمساك بما هو أهم وأجدر بالاعتناء، وما قلناه عن عطلة الجمعة نقوله عن توحيد الأهلة وغيرها من القضايا التي تتعلق بمصير الإسلام والمسلمين، بدون افتراء، والتي لا تكتسي، في الوقت الحاضر، أهمية قصوى وخطورة عظمى ووحدة كبرى رغم أهميتها.

إن انسلاخ أربعة عشر قرنا من عمر الإسلام لم تزد هذا الدين الحنيف الا رسوخا وانتشارا. وإن دخول السنة الثانية من القرن الخامس عشر الهجري لن تزيد المسلمين الا تطورا وازدهارا. فليحتفلوا بحلول طلعتها البهية أعظم احتفال وليستبشروا بتجلي غرتها السنية أيما استبشار، وليعتبروا تاريخ الأمة الإسلامية أكبر اعتبار، وليعدوا العدة للحاضر والمستقبل بكل طمأنينة واستقرار. فإن الخير كل الخير في ربط الحاضر بالماضي ومواصلة الخطى لبناء مستقبل وضاح بسام، وليهنأوا بهذه المناسبة السعيدة وليدعوا الله أن يعيدها عليهم وعلى البشرية جمعاء بالعزة والرخاء، والسعادة والهناء، والمنعة والسراء.

عبد اللطيف أحمد خالص

العدد الممتاز
الخاص بعيد العرش المجيد

•• تهيب مجلة ((دعوة الحق)) بالسادة الكتاب والباحثين ورجال الفكر والثقافة إلى موافاتها - مشكورين - بإنتاجهم للعدد الممتاز الذي سيصدر بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لجلوس جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش أجداده المنعمين رضوان الله عليهم.

تفضل ((دعوة الحق)) أن تصلها المقالات الخاصة بهذا العدد في أقرب وقت ••

قراءة جديدة في
تاريخ طنجة

-1-

للأستاذ الحسن السايح

إذا كانت جبال الريف تمتد عبر جبل طارق الذي هو مضيق قديم غمرته المياه وآخر ممر لغرب الأطلس لا يفصل المجموعة الجبلية لشمال إفريقيا. والسلسلة الجبلية الأوربية إلا بفاصل ضيق لأن سلسلة جبال (البيتيس) امتداد للريف المغربي بالأندلس. وإذا كانت وحدة النبات والأشجار والحيوانات في جبل طارق وجبال طنجة واحدة. فإن إفريقيا وأوربا كانتا وحدة قبل تغير في الأرض لعوامل جيولوجيا ناتجة عن براكين اهتزت كثيرا لملتقى بين البحرين.

وإذا فقد كانت أوربا جزءا من المغرب وعن المغرب عبر الإنسان الإفريقي الى أوربا. ليعمرها أول الأمر ولكن زلزالا هز هذه الأرض هزا. ففصل أوربا عن افريقيا. ويذكر المؤرخون اليونانيون القدماء عن الجزر (ازلاند) التي ربما كان موقعها قرب أساطير هرقل - ومن يدري فلعل الناس يكتشف المزيد من عجائبه وفي القرآن الكريم يذكر المفسرون لدى كلامهم عن الاسكندر المقدوني وعن الشمس التي تغرب في عين حمئة أنها بأرض المغرب قرب طنجة.

تمتد السهول والنجاد بين المحيط الأطلسي وسفح الأطلس. تمتد في الشمال بين طنجة وفاس في جهة الغرب وهي أقل بروزا وهضابها تحيط بالسهول المتكونة من المجروفات. وهذه السهول في القسم الغربي هي الطريق الرئيسية التي تشق البلاد عرضا والتي وصلت فيها الجيوش الغازية من الشرق إلى الساحل الأطلسي هذه الطرق المعابرة وسط سهل نهر سبو وأحد روافد واد (اناون) Innaouen

كانت في المغرب القديم عواصم سياسية ساحلية وداخلية تعتبر طنجة من أهمها. بطنجة (ثغر) عرفه الفنيقيون أثناء عبورهم للساحل الأطلسي سواء المغربي أو أثناء عبورهم للبوغاز إلى الأندلس. وما تزال طنجة تحتفظ بآثار فينيقية كمستعمرات تجارية لأن الفنيقيين كانوا أصحاب اقتصاد تجاري.

توجد وثائق انتروبولوجية تمكننا من معرفة الإنسان الأول الذي عاش في طنجة دون أن تعثر على الآلات التي استعملها وذلك في العصر الحجري المتوسط ويمكن أن نضع بقايا العظام المكتشفة سنة 1939 بطنجة في مغارة

(العالية) على بعد 13 كلم في الجنوب الغربي للمدينة.
بالنسبة إلى التطور البشري لإنسان Neanderthal (نياندرتال) إن لم تكن أقدم منه اعتبارا لبعض الخصائص التشريحية التي تقربه من Sinanthrope (سينتروب)
فوجود النياردليين في إفريقيا الشمالية أمر ثابت بالنسبة لغرب إفريقيا. غير أننا نجهل مصيرها بعد العصر الحجري المتوسط والعصر الحجري الأعلى المسمى باسان مشتى العربي... فما مصير هذا الجنس ؟ انه من العسير معرفة حقب مدنية الإنسان المغربي فيما قبل التاريخ وعلم الجيولوجيا وعلم البليتولوجيا يساعدان حقا على تصور معطيات العصر دون تدقيق. لأن غالب مراكز التدقيق سطحية ولذلك فإن علم آثار ما قبل التاريخ لا يرتكز بين هذه السطحية على علم طبقات الصخور وتصنيف المستويات المتتابعة.

وتدل الحفيريات الأمريكية في طنجة على أنه يوجد آثار وشظايا ترجع إلى العصر (اللفلوازي) Le vallosien أي الإنسان الراجعة إلى العصر الموستيري وان مدنية هذا العصر استمرت إلى العصر الروماني.

واجتاز حنبعل البوغاز إلى قادس وهزم جيش اسبانيا (حوالي قرنين قبل الميلاد) ونازل الرومان. وبعد هزيمته حاول أخوه (عزربعل نجدته. ولكن (شيبون) استعان بسيفاكس والاغليد مسينسا للقضاء على عزربعل) فانهزمت قرطاج وانتهت الحروب البونيقية بانتصار الرومان في عصر الرومانيين كان بوخوس الأول مخلصا للالتزاماته مع روما وظل وفيا لصديقه (سيلا) فكان يبعث إلى (روما) بالوحوش الغازية من إفريقيا. وكان قد ثار على (سيلا) وأنصاره القائد (سرتوريوس) فاستولى على -(Tingi (1 وبذلك قسم موريطانيا إلى غربية يملكها (بوغود) وشرقية يملكها (بوخوس) في سنة 70م تقريبا.

وفي عهد اكتافيوس كانت موريطانيا منفصلة والممالك الأخرى وأسمى مستعمرات جديدة منها (زيليس) هي أصيلة بين طنجة والعرائش وكمبسترس قرب وزان على واد سبو.

ولكن موريطانيا كلها أصبحت تحت حكم يوبا الثاني الذي تلقى تربيته بروما وتزوج بكليوباطرة سيلني فكان تابعا لحكمها وبنى في شرشال قيصارية على هيئة المدن الرومانية حيث التماثيل وتمثال (أبولو) الكبير. واتينا. ودينزوس وافروديت واغسطس.
وكان يوبا يحسن اليونانية واللاتينية والبونيقية وله خزانة مهمة وتآليف كثيرة منها ـ Libyca (ليبكا)... ونظرا لتبعيته لروما فقد ثارت عليه قبائل كدالة.

وبعد وفاة (يوبا الثاني) سنة 23 خلفه ابنه بطليموس الذي أوعز (كاليكولا) باغتياله بعد اخلاصه في مقاومة الثائرين وألحق (فاليفولا) بمملكته موريطانيا التي قسمها (كلوديوس) إلى مقاطعتين = موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية يفصلهما نهر ملوية.

وأصبحت طنجة مدينة رومانية نخرج منها طريقا إلى وليلي. ومشيا إلى (سلا) أي من الميناء الشمالي إلى ميناء جنوبي. وبقي الريف والجنوب غير خاضعين للنفوذ الروماني.

كانت موريطانيا الطنجية تحت وكيل الامبراطور وهو من الشخصيات الساهرة على النظام يتمتع بسلطة واسعة للمحافظة على الأمن وتحت تصرفه قوة كبرى من الجند الإضافي . وله نفوذ لا يخوض فيه إلا سلطة الامبراطور. (كان هذا الولي يوظف الضرائب ويشرف على المؤسسات والأشغال العامة ويحكم بين الناس ويراقب البلديات.

ويظهر أن وليلي كانت مقر وكيل الامبراطور

الاعتيادية وذلك طنجة ليطمئن من ثورة القبائل التي كان يخلع على قوادهم المعطف الروماني وتجري عليهم الجرايات.

كانت في طنجة بلدية رومانية والبلديات ذات أصناف متعددة منها ما هو في المستعمرات Colonia وهي مؤسسات للرومانيين. ويتمتع سكانها بنفس الحقوق التي يتمتع بها الرومانيون. ومنها municipia وهي مشبهة بالمدينة الأم مقلدة لأنظمتها فمجلسها البلدي ordo-decurionume يقوم مقام مجلس الشيوخ. والحاكمان البلديان مقام القناصل ينتخبان لمدة عام ويجلسان على كرسي عاجي ويلبسان حلة بيضاء ذات حشاية أرجوانية ويخفران بجنديين يحملان أعواد دون فأس. وعلى الخزينة وكيلان ماليان. وعضوان للطرق والأسواق وتوزيع الحنطة والاشراف على الألعاب. وتجري على المواطنين قانونا وسطا لا حق فيه للمواطنة الكاملة للرومانيين. ولا يخضع الناس لنظام واحد فكانت روما تقتصر على تركية قواد البربر الوراثيين حيث يخلع عليهم المعطف والحلة الحمراء، وعصا عاجية وتسميهم ولاة أو أمراء وربما اتخذوا لأنفسهم لقب ملك ريكولي Reguli

ويحتفظون طورا ببعض النظم القرطاجنية ولقب (الشافط) وأصلها Suffète أي القاضي.

وكان من أعمال البلديات في عهد سيبتيموس تعبيد الطريق بين طنجة وسلا ووليلي وعقبة العربي (على بعد 23 كلم من مكناس) والطريق مكونة من طبقات كثيرة متراكمة. من الصفا الكبيرة والملاط والحصى. وحجارات متفاوتة الحجم. والصفائح تكون قرب المدن فقط وأحيانا يضاف الرمل الغليظ وربما الاسمنت المخلوط بالرمل أو المزيج بالحجارة الصلبة وعرضها متران وأحيانا تصل إلى ستة أمتار وأحيانا يغطون الأرض الهشة بالحجارة المنحوتة والجسور التي ترفع أحيانا إلى عدة أمتار بالقبو العقود والحنايا. قرب الطريق انصاب لتبيان المسافات ومعلومات عن الاباطرة والبلديات والصعوبات المتغلبة عليها في بناء الجسور.

وكانت لمدينة طنجة ساحة عمومية وهي بطحاء مستطيلة الشكل تحيط بها أرتجة تفضي إلى المعابد والمحلات الإدارية (قاعة المجلس البلدي. وقاعة الاقتراع وقاعة الخطباء) والمباني الخاصة بأصحاب الشكايات ورجال الأعمال. فالساحة ميدان الحياة العامة.

وفي الميدان يلقي الحكام الخطب ويجرون المناقصة. وبها يصوت المواطنون ويتاجر التجار. ويقضون أوقات الفراغ.

وبه قاعة الاجتماع ذات القنيات. منصة للخطباء وهي مزينة بالتماثيل. وبها مكاتب ومراحض ومتكآت.

وظهرت المسيحية في المغرب واضطرت ان تهادن السلطة الرومانية فسامحت للمسيحيين الانضمام إلى الجيش وفي عهد (ديوقليسيا نوس) الذي اضطهد المسيحيين والمانوسيين وركز مراقبا الديانات القومية في موريطانيا الطنجية ورمى بعصا القيادة وكان بطنجة وقال (اني مسيحي واني أعمل في صف الجيش) وهكذا اثار على السلطة الرومانية لينظم للمسيحيين وقد استولى جمال إفريقيا على قلب ملك الوندال وملك القوط فاستفاد من الثورات البربرية الموريطانية الطنجية المزمنة وارهاب الدوناسيين. والشوق إلى استقلال إفريقيا فجاء جنسريك واستقر في طنجة وسبتة سنة 429 وبذلك انتصر الوندال.

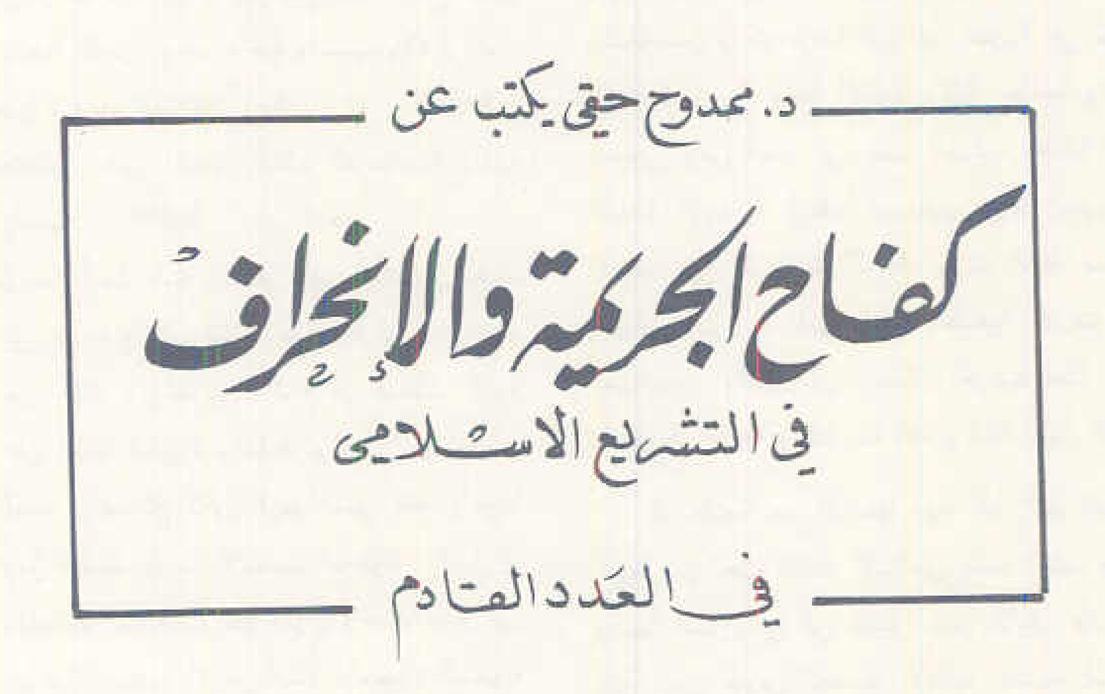
ان طنجة عبر تاريخها سواء أثناء أيام الفنيقيين أو الرومانيين تحت النظام الإسلامي ظلت تستمد قيمتها من وضعها الستراتيجي في مضيق جبل طارق. فكانت دائما تقوم بدور حارس الخطوط الأمامية بالنسبة للمغرب. ثم كانت طنجة أكبر مدينة في موريطانيا الغربية حسب

التقسيم الروماني للمغرب، وظلت عاصمة حتى إلى عصر الثورة على الملك الافليد (بوغود) وهو من الأقيال المغاربة.

وعندما فتح العرب المغرب كانوا يخوضون حروب التحرير فانتزعوا المغرب من الرومان وغيروا التنظيم (الجيوسياسي) للمغرب فإذا كان الرومانيين قسموا المغرب إلى مقاطعات متأثرين بالنظام الإداري الروماني فإن العرب اخضعوا التقسيم لنظام القبائل متأثرين بأنظمتهم القبلية. وهي توافق تماما طبيعة المغرب السياسية لأن البربر كانوا يعيشون في النظام القبلي ولهم نفس الخصائص القبلية العربية بالعرب يمنيين وقحطانيين. والبربر (زناتيين وصنهاجيين) وقد وقع في عهد حسان بن النعمان (البربر) و (العرب) على وثيقة الوحدة السلالية التي ما تزال موجودة بين أيدينا.

كانت المدن والضياع من طرابلس إلى طنجة كأنها ظل واحد في قرى متصلة وجاء الإسلام لأن الكاهنة (داهية) خربت ذلك لتقف في وجد الزحف الإسلامي. وأول فاتح عربي وصل إلى طنجة هو عقبة بن نافع في ولايته الثانية سنة 62 وكان معه القائد البربري كسيلة اليرنسي الأوربي وهو من المسيحيين الذين أسلموا على يد خلفه عقبة ابن المهاجر دينار ورد لعقبة اعتباره على يد زيد بن معاوية في ثانية إلى المغرب فاعتقل ابن المهاجر وفتح المغرب سنة 62 مضطغنا على كسيلة. ودخل طنجة استنزل ملكها يليان الغماري وهو من النصارى الذين نصحوا عقبة بعدم الدخول لمحاربة المسيحيين في الأندلس والتوجه إلى سوس. كما أن طارق كان عاملا بطنجة عندما أمره موسى بن زهير أن يغزو الأندلس وعبر من قصر المجاز إلى الجزيرة لمساعدة يليان الغماري الذي شجع العرب على غزو الأندلس انتقاما من ردريك الذي انتهك حرمته.

(يتبع)





للأستاذ الشاعر محمد الحلوي

كالأطلس الجبار، أو كالمارد … وقفت وقوف المغربي الصامد

تملي على التاريخ أروع قصة … لنضال شعب مستميت ذائد

وعلى روابيها أسود أقسمت … أن لاتدنسها ذئاب الحاقد

ربضت وأيديها تشد بقوة … فوق الهضاب على الزناد الحاصد

الموت يكمن للعدى في زحفها … مثل الصواعق والشهاب الراصد

والفجر يطلع من ملاحمها التي … كتبت روائعها الشعب ماجد

وقفت على ربواتها وكأنها … منحوتة منها، وقوف العابد !

حتى إذا اقتحم العدو عرينها … ورمى معاقلها بجيش حاشد

فتحت مخازن نارها وصدورها … واستقبلت بالموت الأم وافد

وسقته كاسات يغص بنارها … وحميمها المصبوب حلق الوارد

حشدوا لها أقوى العتاد وعبأوا لسقوطها الموهوم جهد الجاهد

حتى إذا أوهى النطاح قرونهم … واستصعبوا ضرب الحديد البارد !

ولوا على أعقابهم ونسورنا … في الجو تمطرهم بموت قاصد

لا سام يرعبهم إذا مايمموا … أهدافهم مثل القضاء الواعد

ومتى تخوفت النسور فلم تطر … في الجو خوفا من رصاصة صائد ؟!



يا يومهـا والشمس در شعاعهـا   ذهبا على ذهب الكثيب المائـد

دوت مدافعها فزلزلت الربـى   وأضاءت الصحـرا بنـور واقـد

وتفجـرت برك الجحيـم كأنهـا   سيل من اللهب المطل الصاعـد

وتلألأت الله أكبـر صيحـة   معصورة بفم وقلـب واحـد !

فإذا الرمال مصارع مخضوبـة   بدم الأشاوس والرعيل الرائـد

وإذا البطولة في معالم كلتـة   حدث على الايمان أوفى شاهـد

لم تشهد الصحراء يوما مثلـه   في حربها للأجنبـي البائـد

أبطال كلتـة مشعـل يزهو بـه   جيل المسيرة ماجدا عن ماجـد

كم من شهيـد كان يأمل عـودة   ليضم طفليه لحضن الوالـد !

ووحيدة في بيتها مهمومـة   تبكي أساها في انتظار العائد

فجعت بمصرعه وكـان حياتهـا   فقضـى الفقيد على حياة الفاقـد !

عهدا لمن سقطوا النحيا بعدهـم   ومضوا على درب الجهاد الخالـد

عهدا بأن نبقى على خطواتهـم   ونسير كالجندي خلف القائـد

في وحدة كبرى وشعب لم يكـن   يوما إذا حق الجهاد بقاعـد

لم يحتمل ضيم الغزاة ولا هـوت   أقدامـه إلا استقـام بساعـد

ما الموت إلا أن يعيش وفي ثـرى   صحرائه ظل لجـار حاسـد !!

محمد الحلوي

مع شعراء المغرب في أرض الحجاز الحبيبة

(3)

للأستاذ سعيد أعراب

أما العصر السعدي، فقد برزت فيه الاحتفالات بالمولد النبوي بصورة أبهى وأروع. (1) ومجد الشعراء هذه المناسبة، وقالوا فيها القصائد الطوال. وكلها حنين إلى البقاع المقدسة، وتغن بأرض الحجاز الحبيبة، وإفاضة في مدح الجناب النبوي؛ ومن هؤلاء الشعراء :

1 ـ أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الحسني. (2) وكان ممن يقدمهم المنصور السعدي للانشاد بهذه المناسبات، ومن قصائده في هذا الصدد ـ قوله :

أرقت، وشاقتني البروق اللوامع
وذكرى خليط هيجته المرابع
مرابع عفتها الروامس والسما
تراق من الأشواق فيها المدامع
كأن لم تكن من قبل قدما أو أهلا
إذ السلك منظوم وشملي جامع
تذكرني عهد الأجارع واللوى
وأين اللوى مني وأين الأجارع
فهل لهم نحو الحمى من تلفت
تدافعني أظعانهم وأدافع
وهل حفظوا عهدي كحفظي عهودهم
أم انبت وصل فالليالي قواطع
وهل رقصت بالمأزمين قلاصهم
ولاحت لجمع حيث تغشى المجامع
وهل قوموا نحو العقيق صدورهم
ولاح لهم برق من الجو لامع
تخبر عن دار الرسول وقربها
عراص بها للوحي فاضت ينابع
معاهد روح القدس يغشى ربوعها
فوحي السما ماض إليها وراجع
ديار بها حل الحبا سيد الورى
وهب على الاشراك منها زعازع (3)

---

1) انظر وصف هذه الاحتفالات في مختصر مناهل الصفا ج 2 / 221 ـ 213.
2) انظر ترجمته في درة الحجال 3 / 140 ـ 142.
3) انظرها كاملة في مختصر مناهل الصفا 2 / 263 ـ 264.

وهي طويلة، تنيف أبياتها على السبعين.

2 ـ أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي (4) أحد وزراء المنصور، ومن صدور الأدباء في عصره، كان أديبا بارعا، وشاعرا مجيدا...

ومن قصائده ـ يتحرق شوقا إلى البقاع المقدسة :

أسرار وجدك من جفونك تعلم
ولسان دمعك عن هواك مترجم
دمع وسقم والسهاد وصفرة
كل على عقد الصبابة يرسم
أطبقت أحشائي على نار الجوى
فمنازل الصبر بها تتهدم
نار البعاد على خفاء مكانها
أحرق من نار العذاب وألم
برق بأقصى المشرقين وماؤه
من مقلتي بالمغربين به دم
رفقا على قلبي الذي ذهبت به
تلك النواحي في النوى تتحكم
هن القسي لرمي أهداف المنى
أوتارها الحد أو نحن الاسهم
(وإذا المطى بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال تحرم) (5)
بلغت بنا شمس الرسالة والهدى
سيف الالوهية الذي لا يكهم (6)

3 ـ أبو عبد الله محمد بن علي الهوزالي (7)، شاعر البلاط السعدي، له قصائد في مدح الجناب النبوي، منها قوله :

يا حبذا ريح أتاك نسيمها
ولديه من أخبارهم مكتومها
ودعاه من سلع بريق لامع
فانصب من نثر الدموع نظيمها
فاحتب به نفحات رملة عالج
بشذا عريب باللوى تخييمها
ينبيك عن مسراه فجر باسم
بحديث أشواق شواك أليمها
يا ساكنا تلعات جرعاء الحمى
فربى العذيب ظعينها ومقيمها
من لي إلى تلك المعالم عودة
تشفى سموما في حشاي سمومها
وتنيخ بالبطحا فيحطم كل ما
حطمت عليهن النفوس حطيمها
وأصب في تلك الجمار مدامعا
تطفى لظى جحم الفؤاد جحيمها
وتعرفت عرفاتها وحراؤها
شوقي وزمزم والصفا وسمومها (8)

4 ـ أبو الحسن علي بن منصور الشيظمي (9) من قواد المنصور، جمع إلى الأدب والشعر البطولة والشجاعة...

---

4) انظر ترجمته في درة الحجال 2 / 190 ـ 201، وريحانة الالباص 148 ـ 161.
5) البيت لأبي نواس ضمنه الشاعر هذه القصيدة، وادخل عليها تغييرا في قافيته.
6) انظر القصيدة كاملة في مختصر مناهل الصفا 2 / 233 ـ 235.
7) انظر ترجمته في درة الحجال 2 / 233.
8) انظرها كاملة في مختصر مناهل الصفا 2 / 236 ـ 238.
9) انظر ترجمته في درة الحجال 3 / 258 ـ 259، وروضة الآس 173 ـ 180.

ومن قصائده ـ يحن الى طيبة وأعلام مكة :

من بعد أهل قبا وأهل كـــــداء
شوقي يزيد ومثل ذاك دانـــــي
ولي الشفا في قربهم وهـم جـلا
ما في الخواطر من صدا وصـــداء
ونسيم طيبة أرضهم يا لو سـرى
نحوى لاطفا حرقة الأحشـــاء
ولو انه جر على جرعاء الحمــى
وعلى العروض الذيل في الاسـراء
لأراح أرواحا قد أفناها الهـوى
لم يبق منها الحب غير ذمـــاء
وتقر عينا بالعقيق جـرت علـى
سكانه لو يعلمون بكائـــــي
لكنه بعد المزار فأيـن مــن
تلك المعاهد ساكـن الحمـــراء
بانوا وهـاج الشوق ذكر ربوعهم
ذات السنا والنور والضياء (10)

5 ـ أبو علي الحسن بن الحسن المسفيوي (11)
الأديب البليغ، أحد كتاب الانشاء بديوان المنصور السعدي، قال فيه ابن القاضي نظمه جيد.

ومن قصائده ـ يهفو الى مغاني المصطفى، ويذكر تلك المعاهد والديار :

أجاد القطر من غاد وســـار
على تلك المعاهد والديـــار
فكم لي وقفة فيها اشتياقـــا
وزند الوجد في الاحشـاء وار
إذا كفكفت من عبارات دمعي
يهيجها اشتعال من أوار
وكم لي في حماها من ليـــال
يفوت ضياؤهـا وضح النهـــار
جلوت بها وجه الحسن تزهـى
كزهر الروض بل زهر الـدرارى
٥ ٥ ٥
لعلي أن أحل ديـار عـــز
مغاني المصطفى مثوى الفخـار
ديار حلها خير البرايـــا
وخير الخلق من باد وقار (12)

6 ـ أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي، (13) الوزير الشاعر، صاحب القلم الأعلى، الوارد في البلاغة والبراعة المنهل الأحلى، له القصائد الغر في مدح الجناب النبوي، منها قوله :

باكر صبوحا بالحمى والعقيـــق
بين هوى داع وشوق غريـــق
وأسرع الى تلك المغاني التـــي
غادرتني رهـن أسى لا أفيـــق
وخط في بيدائهـا أحرفـــا
تندى بأنفاس العبير العبيـــق
لا تتخذ غيـر الدمـوع لهـا
نقطا وثق منهم بعهد وثيـــق
٥ ٥ ٥
كم اشتكى في الحب وقع النـوى
فهل إلى تخلص من طريـــق

10) انظرها كاملة في مختصر مناهل الصفا 2 / 277 ـ 281.
11) درة الحجال 1 / 240 ـ 241، وانظر في ترجمته كذلك روضة الآس : 163 ـ 173.
12) انظرها كاملة في مختصر مناهل الصفا 2 / 272 ـ 273.
13) انظر ترجمته في درة الحجال 3 / 129، وريحانة الالبا : 176 ـ 178، وروضة الآس : 112.

حسبي عزيز الجار او في الحمى

ومرجع الآمال عند المضيق

ومودع الأسرار خير الورى

ونكتة الكون ونعم الشفيق (14)

وقال من قصيدة أخرى :

دار الحمى ادنفت جسمي ذكراك

فانعشي بشذا رياك مضناك

وحمله صبا في طي هيبتها

نشر لدى الصبح يغشي سر ليلاك

ويا محجبة خلف الستور أما

يدنو المزار لكي يحظى بلقياك

٥ ٥ ٥

لله أنت متى يطوى النوى ومتى

يلوح لي برق نجد من ثناياك

ويا سفينة قصدي للديار متى

يقول عزمي : باسم الله مجراك (15)

ومن عيون شعره، قصيدته النونية التي يقول فيها :

هم سلبوني الصبر والصبر من شأني

وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني

وهم اخفروا في مهجتي ذمم الهوى

فلم يثنهم عن سفكها حبي الجاني

لئن اترعوا من قهوة البين اكؤسي

فشوقهم اضحى سميري وندماني

وان غادرتني بالعراء حمولهم

كفى أن قلبي جاهد اثر اظعان

قف العيس واسأل ربعهم أية مضوا

اللجزع ساروا مدلجين أم البان

وها باكروا بالسفح من جانب اللوى

ملاعب آدام هناك وغزلان

وأين استقلوا هل بهضب تهامة

أناخوا المطايا أم على كثب نعمان

٥ ٥ ٥

أحن الى تلك المعاهد انها

معاهد راحاتي وروحي وريحاني

وأهفوا مع الأشواق للوطن الذي

به صح لي أنسي الهني وسلواني

وأصبوا الى أعلام مكة شائقا

إذا لاح برق من شمام وثهلان (16)

وهي طويلة في نحو أحد عشر ومائة بيت، كلها غرر ودرر، وقد قرظها أبو العباس المقري وقال : انها القصيدة الفريدة التي بذت ببلاغتها «اليتيمة» و «الخريدة» (17).

---

14) انظرها كاملة في مختصر مناهل الصفا 2 / 266 ـ 267.

15) نفس المرجع ج 2 / 302 ـ 304.

16) انظرها كاملة في روضة الآس : 120 ـ 125، والنفح ج 5 / 23 ـ 37.

17) انظر النفح 5 / 13.

إهتمامات المرأة المسلمة المعاصرة
تحت المجهر القرآني

للأستاذ العزلي الزكاري

= مدخل =

الموضوع الذي سنعالجه شائك ومعقد، ولذلك يتطلب منا وقفة متزنة، ونفسا عميقا، وصدرا رحبا، حتى نتمكن من تحليله بأناة وروية وموضوعية، مجردة عن المؤثرات العاطفية والإحساسات النفسية والاندفاعات العصبية، وبهذه المنهجية نستطيع استقطاب جوانبه الأساسية وإبرازه واضحا كل الوضوح.

وهذا ما حاولته في هذه الدراسة التي أرجو أن تكون مساهمة متواضعة في بلورة موقف الإسلام من المرأة منذ ألف وأربعمائة سنة، ذلك الموقف الرائع الذي لم تمله حركة نسوية، ولا تجمعات شعبية ولا نداءات جماهرية ولا شعارات حزبية، وإنما نبع من عناية ربانية بالمرأة، ووقوف بجانبها، وحدب عليها، وأخذ بيدها، لانتشالها من الأوضاع المزرية التي كانت مفروضة عليها، ومطوقة بسلاسلها، ومقيدة بأغلالها.

وفي إطار هذا الجهد المتواضع لا مناص من تسليط بعض الأضواء على وضعية المرأة في المجتمعات التي سبقت أو واكبت الدعوة المحمدية لتكتمل الصورة أمامنا بجميع ألوانها وظلالها، وتتوفر لدينا عوامل المقارنة بين أحوالها في العصور التي سبقت الإسلام وبين الوضع المشرف الذي أنزلها فيه ديننا الخالد الذي جاء في نهاية المطاف لتصحيح المفاهيم البشرية الخاطئة في جميع المجالات وعلى كل المستويات.

ومن الصعب جدا معالجة موضوع حساس كهذا دون اللجوء إلى الوثائق والمراجع، ومن غير التعرض لبعض التفاصيل التي تزخر بها المؤلفات في هذا المجال. وإن كنت شخصيا أتعمد في كتاباتي كلها إغفال النصوص وأحاول جهد المستطاع عدم ادراجها في صلب الموضوع حرفيا، رفقا بالقارىء أو السامع، ودفعا للملل، وحرصا على التجديد. وسأجتهد في الاختصار والتصرف في النص دون الاخلال بالأهم والاوثق.

وقبل كل شيء أؤكد أن المرأة كانت وستظل الشطر الثاني في حياة الرجل، وستبقى الينبوع الفياض الذي يمد شرايين الأمة بالاكسير الضروري لمواصلة المسيرة. ولا يستطيع الرجل - مهما أوتي من قوة ومواهب ومدارك - القيام بدورها في اسعاد الأسرة وابعاد شبح الشقاء عن المجتمع، إذ هي التي تتوفر على العنصر الفعال والمؤثر والحيوي في بناء صرح المجتمع الرفيع الذي يتطلع إليه

مصلحون، كما أنها لا تقوى على مجابهة ضرورات الحياة
ومتطلباتها القاسية، والتفرغ لأداء رسالتها النبيلة، إن لم
كن الرجل بجانبها وأمامها ومن خلفها.

= من المســؤول =

وإذا كانت المرأة قد تعرضت في أمة من الأمم أو
رة من فترات التاريخ لاهدار كرامتها، وتقليص ظلها
نحيتها عن ميدانها، وحصر مهماتها في دائرة ضيقة واطار
طحي، فالذنب ـ في نظري على الأقل ـ ذنبها قبل كل
د، بتنازلها عن رسالتها وفسحها المجال أمام من استأثر
ا واتخذها أداة طيعة لتلبية رغباته، واشباع نزواته، وفرض
جيهاته.

وليس معنى هذا أننا ندعوها للعناد ونطالبها بالتمرد،
ما قصدنا أن من حقها أن تبرز شخصيتها ولا تتساهل في
طاول على اختصاصاتها التي منحها الله اياها، وبذلك
تفظ كل من الرجل والمرأة بدوره المؤهل له في الحياة،
ع التوازن المطلوب لمواصلة النوع البشري في وئام
سجام.

فلو اتخذت المرأة موقفا وسطا منذ البداية، فأفهمت
قها عدم استعدادها للتنازل عن دورها، ولئن توقف
جل عند الحد الذي يجب أن يقف عنده، لما أمكن لأي
ما التصرف فيما ليس من مهماته، فالحق سبحانه وتعالى
دهما ليكونا عنصرين متكاملين في الحياة، باستثناء
ـ الحالات التي تختص بها الأنثى دون الرجل، وبعضها
ر الذي هو من مميزات الذكورة، وعندي أنه لو اتجه
عنصر الوجهة التي أعده الله لها، ووقف كل منهما عند
د تكوينه الفسيولوجي لاستقامت الحياة على وجهها
يح وكما أرادتها الحكمة الربانية.

ويتضح من هذا أن الحياة المثلى للأسرة والمجتمع لا مناص من أن تتوفر فيها جهود العنصرين، ولا بد من تعاون الفصيلتين، لضمان الإستقرار المنشود، ولا مفر لكل منهما من القيام بالواجب في محيط تكوينه ودائرة اختصاصه، والا عم الخلل، وتعطلت المواهب، وتعثرت الخطوات، واكتنف السير البشري نوع من الشلل في كثير من الميادين، وهذا هو الواقع المشاهد في مسيرات التاريخ الإنساني، عند ما تختل الموازين وتتعطل المواهب.

المرأة هي الضحية :

وإن نحن أمعنا النظر بتجرد عن كل المؤثرات نجد أن الحيف الذي تعرضت له المرأة في بعض المجتمعات كانت نتيجة جهل واضح، وثمرة ظلم صارخ، وعدم فهم صريح لدورها في الحياة من جانب شقيقها، ونعتبر هذا السلوك يحمل بين طياته أفدح الخسائر لسعادة الرجل والمرأة معا، وهكذا يتحمل المجتمع تبعات هذا السلوك ومضاعفاته التي تتعارض كل التعارض وتتناقض كل التناقض مع الحكمة الالهية التي جعلت من الجنسين النواة المزدوجة للحياة المثلى.

وهنا أتساءل : ما هو السر في أن المرأة لم تحاول التطاول على الرجل، وما هي العوامل التي جعلتها تضعف وحدها في مرحلة الإنحطاط الفكري عندهما معا ؟

لعل هذه التساؤلات والاستفهامات تدور بخلد البعض، وهي واردة في هذا المقام مادام التأخر لم يرحم أحدا منهما، وعلى كل حال فهذه التساؤلات تحتاج إلى الأجوبة المقنعة التي من شأنها أن تضع النقط على الحروف كما يقولون.

وفي تصوري أن هذا كان ممكنا لولا أن الله تعالى ـ لحكمة نجهلها ـ خصها بالرقة والنعومة والحنان، وهي مزايا

تتعارض مع السيطرة والتطاول والعنف، ولا تتناسب مطلقا مع مزاولة المهام الشاقة والأعمال المضنية. بالإضافة إلى عوامل أخرى لها دورها الفعال في هذا المجال، وتتلخص في الأعراض التي هي من خصائص الأنوثة، والتي من شأنها أن تحول بينها وبين المهام في فترات منتظمة، وتعوقها في مراحل أخرى عن القيام بأي مجهود عدة شهور متواصلة. ولعل ذلك من جملة الحكم الربانية المنضوية تحت قوله تعالى ((**الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**)).

ولكي نختصر الجدل فيمن كان له الحق في تحويل التيار لصالحه، يمكننا الإعتراف بأن المرأة كانت الضحية في عهود الإنحطاط البشري. وإذا استثنينا بعض الومضات فلا عبرة بها ما دامت فلتة من فلتات التاريخ، وحتى نتصور الأوضاع المزرية التي عاشتها المرأة قبل الإسلام علينا أن نفسح المجال للحقائق التي يحدثنا عنها التاريخ.

على الهامش

وهنا أجد نفسي مضطرا لفتح قوسين كي أوضح ما يتبادر إلى أذهان البعض من أنني منحاز للعنصر النسوي ومندفع في نصرته إلى أبعد الحدود، كما حدث عندما نشرت مقالا بتاريخ محرم 1398 موافق دجنبر 1977 بمجلة «الاعتصام» فقد صارحني أخ عزيز بأنني بالغت في اعطاء المرأة من الحقوق فوق اللازم، ومنحتها من الإمتيازات أكثر مما هي مؤهلة له.

أقول ـ ونحن نعالج الموضوع نفسه ـ أن المرأة شقيقتنا قبل كل شيء، بل لا تعدو أن تكون أما، أو أختا، أو زوجة، أو بنتا، أو مومنة، فمن أوجب الواجبات علينا أن نضعها في الإطار الذي ارتضاه لها الإسلام. ولا أرى غضاضة من الاعتراف بتقصيرنا في حقها إن كان هناك أي تقصير.

وبهذه الموضوعية وهذا الإنصاف يمكننا أن نتفاهم وإياها على اقتسام المسؤليات وتحديد المهمات، وهو الموقف الوحيد الذي يكفل لنا السير معا وفي خط مستقيم لا عوج فيه ولا أمتا.

هذه الملاحظة كان لا بد منها لتصحيح المفاهيم التي تظهر كشبح يتخوف منه البعض فيما يخص دعوة المرأة المومنة للمساهمة في نهضة الأمة الإسلامية، ومشاركتها الفعالة والعملية في الميادين المؤهلة لها فسيولوجيا والتي يدعوها ديننا الحنيف للمساهمة فيها بنصيب وافر لتحقيق الغد المشرق الذي يتطلع اليه المومنون.

التاريخ يتكلم

ولنعد إلى موضوعنا لنعالجه بوضوح وروية وعلى ضوء الحقائق التي يرويها التاريخ النزيه. فقد جاء في كتاب ((الإسلام والحضارة العربية)) ما نصه بتصرف بسيط

((كان العرب يئدون بناتهم، ويجمعون في عش الزوجية بين الأختين، ويطلقون النساء، حتى إذا قرب انقضاء عدتهن راجعوهن، لا عن حاجة أو محبة، وإنما لتطويل وتوسيع مدة الإنتظار للاضرار بهن. وكان الواحد منهم يطلق امرأته ويتزوج ويقول : كنت لاعبا !.

((وإذا مات الرجل منهم كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء تزوجها بعضهم، وإن شاءوا زوجوها وأخذوا مهرها. بل كان شائعا عندهم أنه إذا مات الرجل قام أكبر أولاده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها. فإن لم يكن له حاجة فيها تزوجها بعض إخوته.

((وهنا ما تصدى لمحاربته الإسلام فقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن**)) النساء : 19. كما أبطل تطاول الأبناء على أزواج الآباء بقوله

الأزلي الخالد ((ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف، إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا)) النساء : 22)).

واسترسل مؤلف الكتاب في سرد بعض الممارسات لمخجلة والحالات الفظيعة التي كانت شائعة عندهم. ولمن راد الإطلاع عليها أن يقرأ الصفحة 132 من الكتاب لمذكور وسيرى بشاعة الأوضاع الإجتماعية التي كانت سائدة إذ ذاك. ثم قال المؤلف : ((وكان الرومان يتصرفون ع المرأة تصرفات لا تمت إلى الاخلاق والعدالة الإجتماعية بصلة. بحيث يتمتع الروماني بحقه في قتل زوجته. بالإضافة إلى شيوع الطلاق بكثرة في الجمهورية الرومانية.

ولنستمع إلى ما جاء في كتاب ((روح الدين الإسلامي)) باختصار :

((فأبناء أثينة ـ وهم أكثر الأمم القديمة حضارة ـ جعلوا المرأة ـ من سقط المتاع ـ فكانت تباع وتشترى في لأسواق. وقد سموها رجسا من عمل الشيطان. وحرموا عليها كل شيء سوى تدبير المنزل وتربية الأطفال.

وجاء في شرائع الهند : أن الوباء والموت والجحيم والشم والأفاعي والنار خير من المرأة)) ولم تكن التوراة أكثر رحمة بالمرأة من شرائع الهند. فقد جاء فيها (درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا. ولأعرف الشر نه جهالة والحماقة أنها جنون. فوجدت أمر من الموت لمرأة التي هي شباك. وقلبها اشراك ويدها قيود. رجلا واحدا من ألف وجدت. أما المرأة فبين كل أولئك لم أجد).

((أما في فرنسا فقد عقد سنة 586 ميلادية اجتماع في بعض ولاياتها دار فيه البحث عن المرأة أتعد انسانا أم غير إنسان ؟ وكان ختام البحث أن قرر المجمع أن المرأة إنسان. ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل.

أما في انكلترا فقد أصدر الملك هنرى الثامن امرا بتحريم مطالعة الكتاب المقدس على النساء. كما أن النساء كن طبقا للقانون الإنجليزي العام حوالي سنة 1850م غير معدودات من المواطنين ولم يكن لهن حقوق شخصية. ولا حق لهن في تملك ملابسهن. ولا في الأموال التي يكسبنها بعرق جبينهن.

((وكانت المرأة عند شعوب أوربا وغيرها تعد من الحيوان الأعجم. أو من الشيطان الرجيم. وكان الزواج عند كثير من الشعوب ضربا من استرقاق الرجال للنساء)).

إلى هنا نتوقف عن سرد هذه الأوضاع الحالكة. فقد سمعنا ما يكفي لمعرفة ما كانت عليه المرأة من ظلم واضطهاد في العديد من بقاع الدنيا. وبقي علينا أن نوضح العناية التي أولاها اياها الإسلام. والأسس العملية التي بنى عليها انعتاقها من هذه العبودية. والحقوق التي منحها حتى تعيش عزيزة مكرمة في ظل مجتمع رفيع.

الإسلام يتحدث

وأول ما يطالعنا في هذا المجال المساواة في المسؤوليات والتبعات. واعتبار العمل الصالح هو الذي يترتب عليه الجزاء والنعيم **((ومن يعمل من الصالحات من ذكر وأنثى وهو مومن، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا))** النساء : 124.

وتتجلى هذه المساواة في أسمى مظاهرها باعطاء المرأة المسلمة حق التصرف الكامل في ممتلكاتها. واتخاذ القرار الحاسم في أخطر المواقف. فمبايعتها للرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام توكد دورها العملي ومشاركتها الفعلية في الحياة السياسية للدولة الإسلامية. وهو ما قرره القرآن العظيم وأمر به رسوله الكريم **((يا أيها النبيء إذا جاء المومنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا،**

ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف، فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم)) الممتحنة : 12.

وقد بايعن الرسول فعلا. وبذلك تساوت المرأة والرجل في مجال الولاء للإسلام. والدفاع عن العقيدة. والمساهمة في بناء صرح المجتمع المسلم. ولم يبق أي عائق ولا يقوم أي حاجز دون مساهمتها في الحياة العامة وداخل إطار الحشمة والفضيلة والوقار.

ومن المظاهر التي تسترعى الانتباه وتستحق الإهتمام عناية الله بها عناية فائقة. فقد جعل القاسم المشترك بين الرجل والمرأة يتمثل في الولاية بينهما، واعطاهما متساويا في تكوين المجتمع الإسلامي. وحملها المسؤولية المشتركة في النشاط الاجتماعي العام. ولنصغ باسماعنا إلى الخالق تبارك وتعالى يخاطبنا **((والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله))** التوبة : 71.

ثم هل في استطاعة غير الله أن يجعل من الزوج والزوجة في طبيعة تكوينهما وحدة متكاملة. وها هو الخالق جلت قدرته يؤكد هذه الوحدة ((ومن آياته **أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون))** الروم : 21.

وهذه الآية الكريمة تشتمل على ثلاثة عناصر فيما يخص المساواة. فالوحدة تتمثل في ((**خلق لكم من أنفسكم أزواجا**)) والسكينة أبرز ما في الأسرة من جمال وتتجلى في ((**لتسكنوا اليها**)) والمودة والرحمة هما الاطار الذهبي الذي يحيط بالاسرة المومنة ويبرز في **((وجعل بينكم مودة ورحمة))**.

ولنفسح المجال لموقف رسولنا من المرأة لنلمس ما سبغ عليها من أردية العناية والرعاية. وما أحاطها به من هالة الأكبار. فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنهم أنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله من أحق بحسن صحبتى ؟ قال : أمك. قال ثم من ؟ قال : أمك. قال ثم من ؟ قال : أمك. قال ثم من ؟ قال أبوك.

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((الجنة تحت أقدام الأمهات)) وقوله ((استوصوا بالنساء خيرا)) وقوله عليه الصلاة والسلام : **((أكمل المومنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم))**.

وعن سعيد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **((نظرك إلى ابنتك حسنة تكتب لك، فأبدأ بالإناث فإن الله يرق لهن))** وعن سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال : **((كرامة العيال كفارة الكبائر والطاف البنات زيادة في الحسنات والدرجات))**.

تلك بعض العطاءات الالهية والإشراقات الربانية اسبغها الله على المرأة المسلمة. وهذه نماذج من عناية الرسول الكريم بها. ولو طبقها المسلمون تطبيقا عمليا كما طبقها السلف الصالح لعاشت الأسر المومنة والمجتمعات الإسلامية في سلام ووئام. ولراحت تبنى وتشيد صروح الحضارة في تعاون وانسجام. وليس هذا كل ما في الإسلام من رعاية لها. فسيأتي في مواضيع أخرى ما أحاطها به من عناية.

النظريات المشبوهة :

ومن الغريب والعجيب أن يكون موقف الإسلام في هذا الباب واضحا جليا، ثم تبرز بعض النظريات المشبوهة - أو المغرضة على أصح تعبير - مستهجنة ماجاء به ديننا في معالجة بعض الأوضاع الخاصة بالحياة الاجتماعية للأسرة المسلمة فيما يخص : الارث - القوامة - الطلاق - تعدد الزوجات - التبرج.

وهذه هي الاهتمامات التي تشغل بال المسلمة المعاصرة. وسأتناولها بالتحليل والتمحيص وبمنتهى الصراحة وكامل التجرد من العواطف النفسية والانفعالات العصبية. تأدية لواجبنا الديني. في الوقوف أمام التحديات التي يجهل الكثير منا مصدرها ومرماها. تلك التحديات التي كان من نتائجها ان ارتفعت أصوات بعض الجاهلات والمخدوعات رافضة في وقاحة ضمير. وصفاقة وجه، وخروج عن الاجماع. الانصياع لأحكام الإسلام. مع أن موقف الإسلام واضح في تلك المسائل كل الوضوح وفي صالح المجتمع النظيف.

الارث :

فقضية الارث أشبعها علماؤنا وفقهاؤنا والمصلحون منا درسا وتمحيصا. وقد تبين أن موقف الإسلام منها في منتهى العدالة الاجتماعية. وفي صالح المرأة بالخصوص التي يدعي المغرضون والدساسون انها مهضومة الحق في هذا المجال.

صحيح أن الذكر أعطاه الله ضعف الأنثى في الارث. ولكنه ألقى على عاتقه مسؤوليات مادية ضخمة وجسيمة وثقيلة في مقابل هذا الحق. كالمهر، واعداد بيت الزوجية. ونفقات الزوجة والأولاد من مسكن ومأكل وملبس وعلاج وتعليم. كما طوقه بواجب الانفاق على والديه. وفي الوقت نفسه أعفى المرأة من هذه الالتزامات حتى وان كانت غنية وزوجها من الفقراء. اللهم ان رضيت بمساعدته في التكاليف عن طواعية واختيار **«فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا»** النساء : 4.

وبعملية حسابية بسيطة بين التكاليف المالية الباهظة الملقاة على عاتق الرجل مدى حياته. وموازنتها - بما يمكن أو لا يمكن - على مدار عمره كله أن يناله من نصيب في الارث تتضح الأمور إذ الأعمار بيد خالقها ولا يعرف أحد من السابق ومن اللاحق حتى نحدد عائدة الوارث. واعتقد انه بتلك العملية الحسابية نجد الرجل هو الخاسر. والمرأة هي الفائزة بحصة الأسد.

القوامة :

ومن هذه الزاوية ندرك المعنى البعيد والعميق للقوامة التي أقرها القران الكريم **«الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم»** النساء : 34.

ولئن كان التفضيل وقع بين رسل الله فكيف يمكننا نحن أن نمتعض منه بيننا **«تلك الرسل، فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلم الله، ورفع بعضهم درجات»** البقرة : 253.

على أن التفضيل فيما أفهم ليس تنقيصا من قدر الآخر. وإنما هو حسب المهمات الملقاة على عاتق المفضل. وأحسن ما يقال في هذا الباب ما قرره ابن كثير في تفسيره : (ليس مقام التفضيل إليكم. وإنما هو إلى الله عز وجل. وعليكم الانقياد والتسليم له والايمان به).

وفيما يخص القوامة نستمع إلى الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه ((الفلسفة القرآنية)) يقول : ((فحق القوامة مستمد من التفوق الطبيعي في استعداد الرجل. ومستمد كذلك من نهوضه بأعباء الحياة والتكاليف البيتية. فهو أقدر

من المرأة على كفاح الحياة. ولو كانت مثله في القدرة العقلية والجسدية، لأنها تنصرف عن هذا الكفاح قسرا في فترة الحمل والرضاعة. وهو الكفيل بتدبير معاشها وتوفير الوقت لها في المنزل لتربية الأبناء وتيسير أسباب الراحة والطمأنينة البيتية)).

وأرى شخصيا أن هذا ((القوامة)) لم تكن سطوة ولا تطاولا، وإنما هي رياسة عائلية لامناص منها اذ لا يتصور مجتمع - صغر أو كبر - لا يتوفر على من يشرف عليه ويرعى مصالحه ويدافع عن حقوقه. وإلا كانت أمور هذا المجتمع فوضوية.

والقوامة نفسها لا تنفي التعاون ولا تقف في وجه التشاور. وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في التشاور وهو إمام المومنين. فكان عليه الصلاة والسلام يطبق الأمر الالهي ((وشاورهم في الأمر)) في الحالات التي لم ينزل فيها وحي قاطع. ومما يؤكد وجوب التشاور بين الزوج وزوجته رغما عن قوامته قوله تعالى : **((فإن أرادا - أي الأم والأب - فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما))** البقرة ، 233.

فالقوامة في العرف الإسلامي ليست سطوة كما يحاول المغرضون والمدسوسون أن يصوروها للسذج، وإنما هي في الحقيقة والواقع رياسة معنوية لا تقف أبدا في وجه التعاون ووضع شؤون الأسرة المسلمة على بساط البحث النزيه والمناقشة الهادئة للوصول إلى الحل الذي يرضى الطرفين. ويوطد أركان الحياة الزوجية. ويحصن الأسرة المسلمة من التفكك والتفتت والإنهيار.

الطـــلاق

وننتقل إلى مشكل الطلاق الذي كثر اللغط حوله وتعالت بعض الأصوات الكريهة في دنيا الإسلام إما عن حسن نية أو للدس والخديعة ودغدغة عواطف المرأة المسلمة - بأبطاله والغائه. ونحن كمسلمين لا بد من أن نقف هنا وقفة كافية لاعطاء الموضوع ما هو أهل له من عناية، ودحض مفتريات الهدامين. ولا نهاب من أن نقول كلمة حق من شأنها أن تقطع السنة الخراصين الذين يتطاولون على أحكام الله وحدوده.

يدعى البعض أن الطلاق سلاح في يد الرجل. وسأحاول الرد على هذه الفرية معتمدا على أرقى النظريات الفقهية وأجلاها. ومما لا شك فيه أن الحياة الزوجية لا تخلو من أزمات عابرة. ولو استخدم كل رجل حقه في الطلاق عند أي مشكل عائلي - كما يتوهم المتوهمون - لما بقيت امرأة في عصمة زوجها، ولما وجد رجل بجانب زوجته. ومن المشاهد الملموس أن التنافر الذي يحدث عادة داخل الأسرة سرعان ما يقع التغلب عليه كما يقرره الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية رحمه الله.

والإسلام عالج الموضوع علاجا حكيما. فقد سبقت آية كريمة تنص على : المودة والسكينة والرحمة. ومتى استحضر المتخاصمان هذه المعاني الرفيعة التي اسبغها الخالق سبحانه على الزوجين تكسر سلاح الطلاق وتوارى الشيطان الرجيم الذي يستغل الظروف العابرة لتفكيك عرى الوحدة الزوجية. وصدق الله العظيم الذي يوجه الرجل إلى التدبر والتعقل والاتزان **((ولا تنسوا الفضل بينكم، إن الله بما تعملون بصير))** البقرة ، 237.

على أن الإسلام وضع بين أيدينا حلولا أخرى لأي نزاع فيما لو تعذر التغلب عليه بالمودة والسكينة والرحمة

والفضل. قال تعالى : **((واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن، فإن أطعنكم فلاتبغوا عليهن سبيلا، إن الله كان عليا كبيرا))** النساء : 34.

وهنا تجب وقفة أخرى لرفع أي التباس يستغله أعداء الدين فيما يخص ((واضربوهن)) فالضرب في هذا الباب ليس معناه الاذاية. وإنما هو نوع من التأديب الذي يمارسه الآباء والأمهات مع أولادهم. ثم أنه جاء كآخر حل يمكن الإلتجاء إليه. وإذا كان الوالدان لا يمارسان العنف في تأديب الأولاد. فالحق سبحانه وتعالى ارحم بعباده من الآباء والأمهات، ولا يرضى في هذا الباب الا بالرحمة التي هي من أسمائه الحسنى. ثم أنه في تشريعه هذا يخاطب المومن الذي لا يتبادر إلى الذهن أنه يلجأ لهذه الوسيلة بعنف. بل المفروض فيه أن لا يستعملها اطلاقا أو عند الضرورة القصوى. وفي تصورنا أنه يتخذها كترهيب وتخويف فقط. حيث يتمثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر حياته ((استوصوا بالنساء خيرا)) على أن هذا النوع من التأديب جاء كترهيب للزوجة المستعصية التي وصفها القرآن الكريم بالناشزة.

وإن نحن نظرنا إلى التأديب بمنظار المصلحة العامة للأسرة مع بعض الناشزات اللائي لا يكرهن التأديب ولا يتأففن منه كما هو مقرر عند الأطباء النفسانيين الذين اثبتوا هذه الحالة المرضية بالنسبة لبعض النساء، نراه أفضل من الطلاق على كل حال. على أن المشرع الحكيم عندما يعالج موضوعا من هذا القبيل إنما يعالج حالة المجتمعات التي يعلم سبحانه انها تتوفر حتما على نوع من الشذوذ الذي لا يؤثر فيه ولا يردعه إلا التأديب المادي.

ثم أن النشوز ليس مقتصرا على المرأة وحدها. فالرجل ينتابه هو الآخر هذا الداء. وقد أشار إليه الحق سبحانه في كتابه الحكيم فقال : **((وإن امراة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا، والصلح خير، وأحضرت الأنفس الشح، وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا))** النساء : 128.

. ولا بد من التركيز هنا على ((وإن تحسنوا وتتقوا)) فلو التزم كل منهما بمبدأ الإحسان والتقوى لاستطاعا محو كل خلاف. وبالإضافة إلى ذلك فإن المرأة تتوفر على الحنان والرقة والتسامح والوداعة. وهي وسائل شديدة الاثر عميقة المفعول في أن تعيد للأسرة هناءها وصفاءها وجوها العائلي. مما يحول دون اللجوء إلى اتخاذ موقف آخر. أو إجراء محتمل !

وكدليل قاطع وحاسم على أن الله تعالى لا يرضى لعباده المومنين إلا الخير والصلاح. فقد أسعف المتخاصمين بأسلوب جديد لحل المشاكل الزوجية فقال : **((وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها، أن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما، إن الله كان عليما خبيرا))** النساء : 35.

وهو أسلوب حكيم لحل النزاعات. وكثيرا ما يكون من عوامل الإستقرار. ولعلنا على اقتناع بأن تدخل شخصين مومنين ومن الأسرتين في نزاع عائلي صرف من شأنه أن يقضي نهائيا وفي أكثر الحالات على الخلاف الزوجي الطارىء والذي لا يكون في الغالب الأغلب الا بسيطا وعابرا.

وفي حالة استخدام كل الحلول واستنفاد جميع الوسائل التي وضعها القرآن الكريم بين أيدينا. وعندما يتطور النزاع تطورا خطيرا يصل إلى الباب المسدود. يقع اللجوء إلى الحل الذي يريح الزوجين معا من هذا الجحيم.

وهو الحل الذي وصفه الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام بقوله ((أبغض الحلال إلى الله الطلاق)).

وهنا وضع الإسلام بين يدي الزوجة وسيلتين للخلاص :

الأولى : أن تفدي نفسها بالمال ((**ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا، إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به، تلك حدود الله فلا تعتدوها**)) البقرة : 227.

الثانية : اللجوء إلى العدالة الإسلامية بعد إثبات الأضرار التي ألحقها بها زوجها. وفي هذه الحالة يتولى القاضي الشرعي تخليصها بالطلاق طبقا لمذهب أمامنا مالك رحمه الله.

على أنني لا أرى - من باب الإحتياط - مانعا يمنع المرأة أو البنت قبل اعطاء موافقتها على الزواج من أن تشترط شروطا يقبلها الزوج وتسجل في عقدة النكاح. ويمكن أن يكون من ضمن تحفظاتها أن تمتلك حق تطليق نفسها. إذا ما ثبت ضرره لها. وبهذا تحتاط لنفسها وتجعل زوجها إن كان من القساة يقدر تبعات هذا الشرط وعواقبه السلبية على الحياة الزوجية.

ولا يغيب عنا ونحن نعالج موضوعا خطيرا ودقيقا أن نلفت الأنظار إلى أن الإسلام أقر مبدأ الطلاق كآخر حل. ولكنه أهاب بالزوج أن يتريث ويتعقل ويرحم كما أسلفنا. ولعل من جملة الأسرار الكامنة وراء العدة أن يراجع الطرفان مواقفهما ليعودا إلى دفء الحياة الزوجية. وأعطاهما فسحة أخرى عقب التطليقة الثانية لاستعراض تلك المواقف من جديد واستذكار ((الفضل بينهما)) حتى إذا ما وصلا إلى نهاية المطاف كانت العشرة مستحيلة أو شبه مستحيلة. فوقعت الفرقة الأخيرة التي لا رجعة بعدها إلا بشروط شرعية لا تحقق الحياة الزوجية [illegible] نادرا.

وللاستيناس نشير إلى موقف الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام من أزواجه أمهات المومنين رضوان الله عليهن وهو يطبق قول الله تعالى بمنحهن حق الإختيار واتخاذ القرار ((**يا أيها النبيء قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها، فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة، فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما**)) الاحزاب : 28 - 29. وصدق الله العظيم الذي يحثنا على اتباع الرسول والاقتداء به ((**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**)) الأحزاب : 21.

فها هو الحق سبحانه يأمر نبيه بالسراح الجميل، ويعد المحسنات بالأجر العظيم. ومن هنا نفهم أن الطلاق في الإسلام لابد وأن يتم سراحا جميلا. لا ضرر فيه ولا ضغينة. ولا عبث فيه ولا لحب التذوق المرذول. وحتى نزداد اطلاعا على عناية الله بالمرأة واهتمامه بها وهي في خلاف مع شريك حياتها نستمع إلى هذه التوجيهات الربانية التي يصدرها الى الرجال ((**فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**)) البقرة 229 - وقوله ((**وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين**)) البقرة : 241.

بعد كل هذه الحلول والنصائح والتوجيهات يطغى بعض الرجال ويأبى هذا البعض الالتزام بما سنه الشارع الحكيم في هذا الباب. فيستعملون الطلاق لاشباع غرائزهم الوضيعة. أو لالحاق الضرر بزوجاتهم. فهذا النوع من الشذوذ لا يسلم منه أي مجتمع. ورغما عن قلته فلا يسعنا الا أن نكله إلى الله القادر على الانتقام منه في الدنيا والآخرة.

وهنا أتساءل : هل تفضل المرأة أن يذهب الزوجان إلى المحاكم كلما حدث خلاف بينهما ليفضحا أسرار الزوجية وأعراض العائلة ؟ ولعل الجواب المنطقي والأفضل والأحسن هو الإلتجاء إلى الأحكام التي قررها الإسلام بدءا من الموعظة وانتهاء بالفراق. وآخر الدواء هو الكي كما يقال.

ومن الطريف أن الغربيين الذين كانوا بالأمس القريب يعيبون على الإسلام مبدأ الطلاق، قد وجدوا في نهاية المطاف أنه الحل الوحيد للمشاكل الزوجية في مجتمعاتهم. فقد اخذوا في كثير من دولهم مبدأ الطلاق كأنجع الحلول وأفضلها بالنسبة للمرأة والرجل والمجتمع. ولعل أكثريتنا اطلعت على ماتم في هذا المجال من تشريعات عند بعض الأمم المسيحية المعاصرة. وهكذا يستحسنون اليوم ما كانوا يعيبونه على الإسلام بالأمس. وبالإضافة إلى التوجيهات الالهية الرامية إلى تقليص ظل الطلاق والمحافظة على وشائج القربى وتمتين أواصر الالفة. فإن الفقه الإسلامي فسح المجال لأبطاله في عدة حالات وظروف. كما نص على صيغ وألفاظ لا يصح بها الطلاق. وهذه مسائل فقهية مهمة جدا ومتشعبة للغاية كلها في صالح تماسك الأسرة. والدخول في تفصيلاتها وتفريعاتها وتعقيداتها يتطلب وقتا طويلا وشرحا مستفيضا. وعلى من يريد الإستقراء والتوسع أن يعود إليها في مظانها من كتب الفقه.

وأحسن ما ننهي به حديثنا في موضوع الطلاق، وأجمل ما نتوج به اهتمام الإسلام بالمرأة. هو الإشارة إلى أن الله تعالى شرفها فأفردها بسورة كاملة في كتابه الكريم. وهو تشريف وأي تشريف لم ينله شقيقها الرجل. ثم أن النبي عليه الصلاة والسلام يحث المومنين على التسابق في تكريم النساء فيقول ((أكمل المومنين إيمانا أحسنهم خلقا. وخياركم خياركم لنسائهم)).

تعدد الزوجــات

وقبل معالجة موضوعنا الرابع وهو تعدد الزوجات. استسمح السيدات والأوانس في مطالبتهن بضبط أعصابهن والتحكم في عواطفهن. والسيطرة على انفعالاتهن. ذلك أن موضوعنا له علاقة وشيجة وعميقة بالعاطفة والغيرة وحب الإستئثار. وكل بحث هادف وموضوعي لا يتحقق الغرض المطلوب منه الا بأبعاده عن الميول والغرائز. ولا مناص من أخضاعه إلى العقل والمنطق. وما دمنا ننشد الحقيقة ونحاول تسليط الأضواء الكاشفة على هذا الموضوع الشائك. فلا مناص من أن نبعد عنا الإنفعالات النفسية. وبذلك تتضح الصورة وتظهر الحقيقة.

إن الإسلام لم يكن هو الذي وضع مبدأ التعدد. وإنما وجد الناس منغمسين في وحله حتى الأذقان. فمنهم من كان يتوفر على ما فوق العشر زوجات. ومنهم من كان يجمع بين الأختين في عصمته. فجاء الإسلام بالحل الوسط وهذب من هذه العلاقة في حدود الضرورة.

ومن الثابت تاريخيا أنه كان شائعا في الأمم الغابرة بما فيهم العرب وأهل أوربا. الاستمتاع بعدد غير محدد من النساء. وأمام هذه الفوضى في العشرة الزوجية وهذا الغلو في الإستمتاع أتى الإسلام بتشريع عادل وفي نطاق الضرورة التي سنتعرض لها بتفصيل.

نحن في هذا الوضع أمام ظاهرة فسيولوجية لاجدال فيها. بالنسبة للمرأة والرجل معا. فالمرأة تختلف في تكوينها الجسمي اختلافا واضحا عن شقيقها. إذ هي معرضة للعادة الشهرية بانتظام. ومعدة للحمل والنفاس عدة مرات. وهذه الأوضاع تحتم انعزالها عن الملابسة.

ثم أنها غالبا ما تضعف غريزتها الجنسية بشكل ملموس بعد سن اليأس. بل منهن من تنزل عندها هذه

الغريزة إلى درجة الصفر كما يقرر الاطباء المختصون. بالإضافة إلى أنها - في الغالب - تتحكم في غريزتها أكثر من الرجل. كما نشاهد في كثيرات ممن فقدن أزواجهن لسبب أو آخر. وامتنعن عن الزواج من جديد. وإن كان هناك من شذوذ فلا يعتد به أمام القاعدة العامة.

ولا بد من أن ندخل في الحساب عنصرا له ارتباط وثيق بحكمة تشريع التعدد. وهو أن حطب الحروب دائما هم الرجال. وكل حرب مرت أو ستمر الا وتخلف مآت الآلاف من الزوجات المحرومات أما ممن يقوم بأودهن. أو من دفء الزوجية. أو منهما معا. والنتيجة المنطقية لهذه الأوضاع أن تقضى الأرملة بقية حياتها في هم وغم وهي تشاهد زميلاتها وبنات مجتمعها يجمعهن عش الزوجية. الا نتصور أنه من باب التكافل الإجتماعي مديد العون والرعاية والإنقاذ لمثل هذه البائسات المحرومات ؟.

ثم أن الرجل - ولا ندري حكمة الله في ذلك - لا يتحكم في غريزته بالقدر الموازي لتحكم المرأة. وهو يحتفظ بهذه الحيوية طول حياته تقريبا. بل يقوى على الاخصاب والانجاب حتى في مرحلة الشيخوخة. ولعل هذا هو السر في أنه يختار - دون وعي - شريكة حياته أصغر سنا منه بكثير وفي غالب الأحيان.

بالإضافة إلى هذه المسلمات نجد أمامنا وضعا آخر له علاقة بالموضوع وهو العقم. والرجال كما هو معروف حريصون على الذرية لعدة أسباب لا علاقة لها بموضوعنا. وبالرغم من أن العقم ليس بسمة خاصة بالمرأة. فالتصور العام والموروث منذ القدم أنه من مميزاتها. والمسلمون الواعون والمومنون الصادقون لا مناص لهم من التصديق بما جاء في كتاب الله من حسم لأي تصور خاطىء في هذا المجال. فقد قال تعالى وهو أصدق القائلين : **((له ملك السموات والأرض، يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانا وأناثا، ويجعل من يشاء عقيما، إنه عليم قدير))** الشورى : 49 - 50.

وعلى ضوء هذه الآية الكريمة والحاسمة تكون حجة رغبة الرجل في الذرية ملغاة من قاموس التعدد. فما دامت الحكمة الالهية قضت بحرمانه من العقب فلن يتحقق مرغوبه بأي وجه من الوجوه **((وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم، وأنتم لا تعلمون))** البقرة 216.

وإن نحن تعمقنا في البحث ونظرنا إلى المسألة بمنظار القرآن. نجد أمام الرجل الراغب في التعدد عقبة كأداء لا يستطيع تدليلها إلا من زوده خالقه بطاقة خاصة. ذلك أن القرآن الكريم صريح كل الصراحة في إباحة التعدد. ولكنه لم يأمر به كقاعدة عامة وأساسية. وإنما أباحه للضرورة ولظروف استثنائية. ومع هذه الإباحة اشترط فيه شرطا معجزا في أغلب الأحيان. وهو تحقيق العدالة بين الزوجات. وعدم الميل إلى البعض منهن دون البعض. اللهم فيما لا يملك. والمومن الملتزم بتعاليم الدين لا يسمح له ضميره بالتعدد الا عند الضرورة الملحة. وبعد أن يكون واثقا كل الوثوق ومقتنعا تمام الإقتناع بأنه على استعداد نفسي لتحقيق العدالة التي قررها كتاب الله.

ويبرز هنا سؤال مهم وهو ما الأفضل للمرأة ؟ أتكون بجانبها ضرة شرعية تشاطرها السراء والضراء وتتحمل واياها واجبات الأسرة. أم ينصرف زوجها الى الخليلات اللائي يضحكن من غفلتها وغباوتها. كما هو مشاهد في العديد من المجتمعات التي لا تدين بالإسلام ؟.

ومن الطريف في هذا الباب أن الغربيين الذين اتخذوا مبدأ التعدد في الإسلام ذريعة لحملاتهم الشرسة ضد هذا الدين الحنيف. يعترف عقلاؤهم اليوم بأن الكثرة

الساحقة من رجالهم المتزوجين يعيشون بين أحضان العاهرات، ومنهم من يخلف أولادا غير شرعيين يعيشون دون اعتراف قانوني بالإنتماء الأبوي.

ومن اعترافات عقلائهم بهذه الحقائق التي سارت بذكرها الركبان نشم رائحة التطلع إلى تطبيق المبدأ الإسلامي للحد من موجة انحراف الأزواج وتنكرهم لأسرهم الشرعية. ولعل تنطعهم لا يسمح بالإفصاح عن هذه الرغبة حيث سبق أن نددوا بالإسلام في هذا الموضوع.

وتأكيدا لما سبق يكون من المفيد أن تطلع المرأة المسلمة على ما جاء في كتاب ((الاسلام والحضارة العربية)) قال المؤلف (ولقد توسع كتاب فرنسا في ـ كتاب الخليلة الشرعية ـ وأصدروا فتاوى من الرجال والنساء ذهب فيها أكثرهم إلى وضع تشريع جديد في هذا الشأن والغاء المادة التي تعاقب من يتزوج من اثنتين، وكلهم مجمعون على أن هذا موجود في الغرب بالفعل. وإن لم تعترف به القوانين الموضوعة. وانه قل أن يسلم أحد المتزوجين من اتخاذ خليلات يزنى بهن. وان التعدد وايلاد أولاد شرعيين أشرف وأنفع من السفاح وما يعقبه من الأمراض السرية الوبيلة التي تنتشر انتشارا هائلا).

من هذه التحليلات والنظريات والوقائع ندرك أن الإسلام كان حكيما كل الحكمة في معالجة أوضاع مهمة من حياة الأسرة النظيفة. حيث راعى في تشريعه عدة جوانب لو تدبرها الناس وتعمقوا في فهم مراميها وأبعادها لوجدوها أفضل حل لكثير من المشاكل التي تتخبط فيها المجتمعات المعاصرة.

ولا يعزب عن البال ان التعدد ما كان ولن يكون الا في حدود ضيقة. ومع اباحته شرعا فإننا نلاحظ أن ظله آخذ في التقلص لعوامل التثقيف الشعبي. والتوعية الإجتماعية. وتعقد الأوضاع المادية بالنسبة للأوساط الضعيفة والمتوسطة. ونحن كمسلمين لا نستهجن فقط تلك الأصوات المبحوحة التي تنادى بأبطاله. بل نتحداها ونقف بشجاعة في وجه كل مدسوس يتطاول على أحكام الله وتشريعاته. لأننا من الذين يقولون لكل ما جاء به القرآن (سمعنا وأطعنا).

وأعود مرة أخرى إلى حق المرأة المسلمة في أن تشترط على خطيبها عدم الزواج عليها. والا ملكت حق تطليق نفسها. وبهذا الشرط وبما وضع الشارع من حلول أشرنا إليها سابقا. نجد أن مسألة التعدد ليست بهذا التهويل الذي يثيره أعداء الإسلام بالضرب على وتر عواطف المرأة المسلمة بغية الدفع بها إلى التمرد على تعاليم دينها الذي هو عصمتها من الذئاب البشرية.

التبــرج

ونأتي الآن على الموضوع الخامس والأخير في حديثنا وهو التبرج. وكلنا يعلم الوضع الذي عليه الأكثرية من النساء والفتيات من التهتك والاستخفاف بالفضيلة في جل أطراف الدنيا. بدعوى الحرية والتفتح والتقدم والإستمتاع بالحياة. وهي دعاوى باطلة لا يؤيدها منطق سليم. ولا يساندها خلق رفيع. ولا يباركها دين حق. وإنما هي مبررات الذين يلهثون وراء المتعة ولو جاءت على مذبح الفضيلة وتحققت على حساب العفة. على أن وراء هؤلاء، وأولئك من خطط للربح المادي من وراء تهافت المرأة على مبيعاتهم بحجة التجديد والأناقة. وهناك أيضا ـ وهو الخطير ـ من برمج وصمم لافساد المرأة بتبرجها وتعرية مفاتنها مما يعد ثورة خطيرة على الأخلاق.

ومما يؤكد الأصرار على افساد أخلاق المجتمعات والعمل على انحلالها وتفككها التركيز على تعرية جسد المرأة بالخصوص لفسح المجال أمام الإنحلال والميوعة

واثارة الفتنة. والا فكيف نفسر احجام الموجهين لهذه الموجة عن دعوة الرجل لتعرية جسده والكشف عن صدره وظهره وذراعيه وفخذيه كما تفعل الكثيرات ممن انخدعن لهم. ولماذا لم يعدوا الملابس المناسبة لتعرية أجسام الرجال ؟ ولعل أحسن جواب أن جسم الرجل لا يساعدهم على التخريب الذي يهدفون اليه. إن لم يكن مثار سخرية واستهزاء وضحك !

وأكاد أقسم بأن غرضهم الأول والأخير يتجلى بصورة أوضح في أنهم يعتبرون المرأة وسيلة للمتعة رغم ما يزعمونه زورا وبهتانا من الدفاع عنها واحترام عواطفها وصيانة حقوقها. إذ لو كانوا صادقين في دعواهم لأحاطوها بسياج الحشمة والوقار. ولما شجعوها على هذه الميوعة التي تتنافى مع كل القيم النبيلة والرفيعة. واني لصريح كل الصراحة في أن أتساءل ما هي منفعة المرأة. وما هي عائداتها من غشيانها الحفلات المختلطة والأعراس الصاخبة والإحتكاك فيهما مع من هب ودب. وقد كشفت عن نحرها وصدرها وظهرها. ثم مخاصرتها في نهاية المطاف لرجل غريب في رقصة لا يباركها الا ابليس اللعين. ولا يصفق لها الا من فقد الغيرة الدينية والشهامة العربية والنخوة الإسلامية. وتساوت عنده الفضيلة والرذيلة.

وأتساءل مرة ثانية عن الأصابع الخفية التي تحرك خيوط هذه المؤامرة الخطيرة والأدمغة التي توجد من وراء ستار هذا الطابور من عصابات الملحدين وإعداء الديانات السماوية والرسالات الالهية التي ما جاءت الا للدعوة للأخلاق الرفيعة. ويقينا مني واعتقادا جازما بأن الصهيونية العالمية من وراء كل الخزايا، واني لانزه المرأة العاقلة بصفة عامة والمسلمة بوجه خاص عن الإنصياع لهذه التيارات المخربة. ومن أن تبتذل إلى هذا الحد وتنزل إلى هذا الدرك متحدية تعليمات الله وتوجيهات الرسول الكريم القائل : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) ولن يستطيع احد في هذه الدنيا اقناعنا بان الوضع الذي تعيشه الاكثرية من النساء يرضي عنه الله تبارك وتعالى ويباركه رسولنا الأعظم عليه الصلاة والسلام ((أولئك يدعون الى النار. والله يدعوا الى الجنة والمغفرة بأذنه. ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون)) البقرة : 221.

ربما يتبادر إلى بعض الأذهان المريضة والنفوس المدخولة أن الإسلام يتعارض مع الحرية الفردية ويقف في وجه التطور. وهو تصور خاطىء يبطله ما سنوضحه باسهاب. ومن الجائز كذلك أن يدعي المغرضون ويزعم الدساسون الذين يحاولون بشتى الوسائل نسف القيم الرفيعة أن هذا موقف المتزمتين الذين يحولون بين المرأة ومتع الدنيا. والمتخلفين الذين غشيهم ضباب الجهل فحجب عنهم متطلبات الحياة العصرية. وذلك ما سننسفه من الأساس فيما يأتي من بيانات وتوضيحات وحقائق ناصعة ومواقف مشرقة في حياة المرأة المسلمة وهي تسير في ركاب شريعة الله وتشق طريقها في معترك الحياة العامة دون تنازلها عن الحشمة والوقار. بل لم يزدها هذا الموقف النبيل الا سموا ورفعة واحتراما وتقديرا.

وأول ما يجب الإستماع إليه أمر الله للمومنات بستر اجسامهن ((**يا أيها النبيء قل لأزواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن. ذلك أدنى أن يعرفن فلا يوذين. وكان الله غفورا رحيما**)) الأحزاب : 59

فمن منطوق هذه الآية الكريمة أصبح لزاما على المرأة المومنة ستر بدنها عن أعين الغرباء. والا كانت متحدية لأمر الله. ومتطاولة على حدود الله. وللتحديد والتوضيح نستمع إلى الحق سبحانه وتعالى وهو يخاطب المسلمات ((**وقل للمومنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن. ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر**

منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن، أو آبائهن، أو آباء بعولتهن، أو أبنائهن، أو أبناء بعولتهن، أو إخوانهن، أو بني اخوانهن، أو بني أخواتهن، أو نسائهن، أو ما ملكت إيمانهن، أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا الى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون)) النور : 31.

وقد حددت هذه الآية الكريمة أنواع وأصناف الرجال الذين يسمح للمرأة المسلمة أن تظهر أمامهم في زينتها، وحذرتها من التحليل لإبراز الزينة. وإذا كان هذا بالنسبة للزينة فما بالك بالكشف عن نحرها وصدرها وذراعيها وساقيها وكامل جسمها تقريبا في المسابح والشواطىء، وهل يتصور عاقل امرأة مومنة بربها إيمانا صادقا يسمح لها ضميرها ويطاوعها وجدانها بالخروج عن نطاق هذه الأوامر الربانية فتخالط الغرباء وتزاحم السفهاء وهي متبرجة تبرج الجاهلية الأولى ؟ ظنا من بعضهن أنهن يحسن صنعا، وصدق المولى الكريم عندما يقول في محكم كتابه ((وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)) البقرة : 11.

والشيء الذي ينبغي أن لا يغيب عن أذهان المومنين والمومنات في هذا الموضوع الخطير هو قول تعالى ((وما كان لمومن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)) الاحزاب : 36.

فهذا أمر الله ولا خيار لنا فيه مطلقا. ولا يسعنا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا وإلا تعرضنا لعقابه عاجله أو آجله «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» النور 63.

ومن خطل الرأي أن يتوهم المسلمون والمسلمات أنهم تسامحوا في حدود الله دون أن تصيبهم فتنة أو عذاب، فذلك وهم في وهم وسراب في سراب. إذ الحقيقة أن المسلمين في أكثريتهم تعرضوا ولا يزالون عرضة للفتن والمحن. وهل من فتنة أخطر من الاستعمار الأجنبي الذي شتت شملهم. وهل من محنة أكثر من هذا التمزق الذي هم فيه. وهل من عذاب أكبر من هذا التيه الذي يعانون منه الأمرين. وهل من كارثة تفوق محنة فلسطين وضياع بيت المقدس. وهل من خراب ودمار يوازي مايتعرض له العراق وإيران من حرب بين المسلمين نسمع الكثير عن ضحاياها والفظائع من خراب منشآتها والدمار لحضارتها وقواتها.

وما هذه الفتن إلا من النذر عسى أن نتوب إلى الله ونعود إلى رحاب الإسلام الصحيح. والله تعالى يمهل ولا يهمل. ولا يمكن بحال أن تعطل حدود الله وتداس شريعته دون أن يترتب عليها عقاب. وصدق الله العظيم : «وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه» الطلاق : 1.

ويدعي المتشائمون والذين لم يتذوقوا الإسلام على حقيقته أن هذه موجة يصعب مواجهتها. وأنا كمومن بالله ومومن بأن الله في عون المسلمين ان احسنوا الظن به وأمنوا بقدرته. في استطاعتهم أن ياتوا بالمعجزات في هذا الميدان وغيره. وكما قضى هذا الدين على كل مظاهر الانحراف في العقيدة والسلوك ابان صدر الإسلام. يستطيع بكل سهولة أن يجتث هذه الخلاعة من جذورها ان صحت عزيمة المسلمين والمسلمات على العودة إلى المنبع الإسلامي الصافي وعزموا على السير قدما في رحاب الله. والله تعالى قادر على كل شيء ولا يعجزه أمر في الأرض ولا في السماء.

الإسلام وحدة متكاملة

والذي يجب أن لايغيب عن أذهاننا أن الإسلام وحدة متكاملة لاتقبل الانفصام. وأن تعاليم الدين يجب أن تطبق كما خططها القرآن. ومن خطل الرأي أن يأخذ المسلم ببعضها ويتنكر للبعض الآخر بدعوى أن التيار جارف. فالالتزام في موضوع السلوك الإسلامي من أوجب الواجبات وأخطر المسؤوليات. ولو التزم كل واحد بواجباته الدينية دون التفات إلى ما يمارسه غيره لتقلص المنكرات ولتطهر المجتمع الإسلامي مما يتعرض له دينه من انتقادات الأعداء الذين يتخذون من انحرافاتنا مطية لمهاجمة الإسلام الذي لايدله في تلك الانحرافات. وإنما هي نتيجة المدنية الغربية المادية الصرفة التي يتذمر منها حتى أصحابها ويتخوفون من مضاعفاتها. وفي معرض الالتزام الشخصي بالاستقامة يقول الحق سبحانه وتعالى : **«ياأيها الذين امنوا عليكم أنفسكم، لايضركم من ضل إذا اهتديتم، إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون» المائدة : 107.**

على أن الإسلام لم يحرم المرأة من المتع البريئة ولا يمانع في غشيانها للأماكن النظيفة دون تبرج. ولا غضاضة عليها في الاستمتاع بالسباحة في الشواطىء كوسيلة للمتعة والرياضة والاستعداد للطوارىء. إلا أن مسابحها يجب - في إطار الإسلام - أن تكون خاصة بها. وليس هذا بالشيء الصعب ولا البعيد التحقيق. وكمثال عملي لذلك نعلم جميعا أن مدينة تطوان تتوفر على منطقة خاصة بسباحة السيدات في مصطاف وادي مرتيل. ولقد شاهدت مرارا وتكرارا عددا من الاسبان كانوا يبعثون بنسائهم وبناتهم للسباحة مع المسلمات ويذهبون هم لمنطقة الرجال. ومع الأسف الشديد أخذ بعض المسؤولين بالتتابع ينتقصون من أطراف تلك المنطقة عاما بعد عام حتى أصبحت ضيقة وبعيدة عن مراكز المصطافين. مما يحمل المومنات المحتشمات أتعابا كثيرة ومشقة عظيمة. ولا تفسير لهذه الظاهرة الغريبة في نظري سوى أن تكون مقدمة لمحو هذه المنطقة من خريطة ذلك الشاطىء الجميل. وعندئذ تعم البلوى التي نشاهدها جميعا في أنحاء الدنيا والتي يصفق لها إبليس تصفيقا أصم الآذان. وصدق الله العظيم : **«ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم، ولهم عذاب الحريق» البروج : 10.**

ولو التزمنا جميعا بتعاليم الإسلام لأصبح لزاما على كل مدينة شاطئية في دنيا المسلمين أن تقتدي بتطوان الرائدة ان كان الهدف هو المتعة البريئة. اما ان كان الغرض هو الاختلاط بالعلوج ومبارزة الخالق تعالى بالعصيان فذلك شيء آخر. ولا نستطيع في هذا الباب الا أن نكل الأمر الى الله الذي في استطاعته أن يهدي الضالين. وكل مانخشاه هو أن يعم غضب الله الجميع مصداقا لقوله تعالى : **«واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة. واعلموا أن الله شديد العقاب» الانفال : 25 وقد أكد ذلك رسول الله الذي لاينطق عن الهوى في جوابه لمن سأله : انهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم اذا كثر الخبث.**

والذي يجب ابرازه بصورة أوضح هو أن الإسلام لم يلزم المرأة المسلمة بالانزواء عن مجتمعنا والابتعاد عن المساهمة في كل ما يعلي شأنها وشأن أمتها ودولتها ودينها. بل أنه يطالبها بالتعلم والعمل ويحفزها إلى المساهمة الفعالة في ميادين الحياة العامة. شريطة الالتزام بالحشمة والوقار والتسلح بسلاح الإيمان العميق الذي يحول بينها وبين الميوعة والانخداع بدسائس أعداء الإسلام.

ولكي نقطع ألسنة الخراصين الذين يلمزون الإسلام بما هو بريء منه لامناص من الاتيان بنماذج للمواقف

المشرفة التي وقفتها المراة المسلمة وهي غير متبرجة ولا مستهترة. وإنما أتت بالمعجزات مع الالتزام بتعاليم الله وسنة رسوله. مستحضرة في جميع خطواتها قول الله : «**فلا وربك لايومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**» النساء : 65.

= مواقف بطولية =

والحق أقول أنني أقف مشدوها أمام المواقف البطولية والخالدة التي وقفتها أختنا المسلمة في كثير من المجالات. وأشعر كلما تخيلتها تصول وتجول بفخر واعتزاز. ويهتز كياني من سلوكها وتضحيتها ونكران ذاتها في سبيل إسعاد أسرتها الصغيرة وعائلتها الكبيرة ومصالح وطنها العليا.

فهي كزوجة تحرص كل الحرص على توفير أسباب السعادة والهناء والاستقرار لزوجها وأبنائها. فترعى حقوق الزوج كل الرعاية. وتهتم بشؤون البيت كامل الاهتمام. ولنصخ باسماعنا إلى قصة سيدتنا فاطمة الزهراء بنت الرسول الأكرم وزوجة سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهي تطلب من أبيها خادما من الأسرى فيرفض الرسول طلبها ويوصيها بمباشرة مهامها كزوجة مثالية. فتنصاع راضية وتعطي أروع الأمثلة في سبيل أسرتها.

ونشاهد المرأة المسلمة في جولاتها ضمن اطار المجتمع تعمل ماوسعها الجهد للمساهمة في تخفيف وطأة البؤس والشقاء عن المساكين والفقراء. وتؤثر المحرومين والمعوزين عن نفسها حيث تجوع ليشبع المحتاج مما يرتفع بها إلى منزلة الملائكة الاطهار. وهذا نموذج حي من هذه الأمثلة الرائعة في ميدان التكامل الاجتماعي.

يروي التاريخ الصادق ان سيدتنا عائشة رضي الله عنها جاءها من ابن الزبير مال يقدر بمائة ألف درهم فوزعته حينا على المحتاجين. وبعد الغروب طلبت افطارها وكانت صائمة فلم تجد ماتفطر عليه. فهل وصل التكافل الاجتماعي مثل هذا المستوى الرفيع من الايثار والحرمان ونكران الذات عند غير المسلمات.

وقد بلغت هذه السيدة الجليلة وزميلاتها أمهات المومنين رضوان الله عليهن من القناعة مبلغا لم تصله امرأة ولن تصله إلا في ظل ديننا الحنيف. ولنستمع إليها وهي تتحدث في سكون وهدوء واطمئنان ورضى : كنا نعد الهلال والهلال والهلال وما يوقد في بيوت رسول الله نار. فتسأل عما كان يقوتهم. فتجيب : إنما هو التمر والماء.

فبهذه الأخلاق الرفيعة ارتفعن إلى المستوى السامي اللائق بمكانة الرسول الأعظم. وانها لصورة رائعة من صور نكران الذات في سبيل المثل العليا التي سلكها عليه الصلاة والسلام ليجعل من أمهات المومنين القدوة الحسنة للمرأة المسلمة في مشاطرة زوجها السراء والضراء. مع العلم بأنه كان في استطاعتهن حياة البذخ والترف مما أفاض الله على رسوله من أنواع الخيرات. ولكنه آثر بها عامة المسلمين. وهذا ضرب من التضحية الاجتماعية ونوع من الايثار الرائع الذي خلقه وغذاه الايمان الصادق والصحيح في نفوس المومنات.

وتأبى هذه السيدة الجليلة إلا أن تساهم بجهادها في سبيل الله يوم أحد. فقد كانت تنقل القربة على ظهرها الشريف لسقي المجاهدين. وتصوروا معي زوجة رسول الله وأم المومنين في ساحة الوغى تسقي العطشى داخل خطوط القتال. الأمر الذي يؤكد أن دور المرأة المسلمة لاينحصر في شؤون الأسرة والحقل الاجتماعي. وإنما هي مدعوة عند الضرورة إلى واجبات الدفاع عن الوطن والعقيدة.

وفي محيط الأسرة لاتنام سيدتنا عائشة حتى يطمئن قلبها على رسول الله. حتى إذا ما افتقدته تحسسته في الظلام لتجده ساجدا لله. بل كانت تلمس أطرافه خشية أن

يكون قد رفع. وهنا يتجلى الوفاء الكامل والعناية الكبرى بشريك الحياة.

وتلك خديجة أم المومنين رضوان الله عليها. فقد كانت لها مواقف صادقة بجانب الرسول عليه الصلاة والسلام. فقد صدقته منذ اللحظة الأولى للوحي. وآزرته في دعوته عندما تنكر له المشركون. وأسعفته بالمال والعطف والحنان والتشجيع لمواصلة الدعوة إلى الله. وهذا من دواعي الفخر والاعتزاز بالنسبة للمسلمة في الماضي والحاضر والمستقبل. إذ كانت المرأة أول من آمن برسول الله.

وهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها تحمل الطعام والاخبار إلى الرسول ورفيقه في الهجرة، معرضة نفسها للأخطار ومسترخصة وروحها في سبيل العقيدة الإسلامية. وليس في استطاعة فتاة صغيرة القيام بهذا الدور البطولي الرائع لو لم تكن العقيدة الدينية قد حولتها إلى فارس مغوار لايهاب الموت. وفدائي مقدام لا يقيم وزنا للأخطار في سبيل الواجب المقدس.

ونائلة زوج عثمان رضي الله عنهما التي وقفت موقفا بطوليا رائعا في لحظة مريعة يوم اقتحم الخوارج بيت عثمان. فدافعت عنه رضوان الله عليها دفاع الزوجة الوفية حتى قطعت أصابعها.

وسمية زوجة ياسر أم عمار التي أسلمت روحها إلى الله في سبيل عقيدة الإسلام رغبة في الجنة التي وعد بها رسول الله صلىالله عليه وسلم حين قال : **(صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة).**

ولا ننسى نسيبة بنت كعب التي تتلقى الطعنات في ظهرها ذودا عن رسول الله وقد أحاط به المشركون من كل جانب.

ويحكي لنا التاريخ قصة بطولية لفتاة مسلمة، وهي أمية بنت قيس الغفارية التي بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ابنة أربعة عشر عاما. ولم يمض على بيعتها ثلاث سنوات حتى خرجت مع النبي إلى خيبر. وقد روت بنفسها هذه القصة قائلة : **أتيت رسول الله في نسوة من بني غفار فقلنا : يارسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهتك، فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا. فقال الرسول : على بركة الله.**

ويحدثنا التاريخ الإسلامي المشرق أيضا عن نسيبة بنت كعب المازنية التي خرجت مع جيش المسلمين يوم أحد. ومما يذكر المؤرخون أنها ذهبت تصول وتجول بين يدي رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم : **«ما التفت يمينا وشمالا الا وأنا أراها تقاتل دوني».**

وفي الميدان العلمي والديني كان للمرأة المسلمة فيه القدح المعلى. فهذه أم المومنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها يحدث عنها أبو موسى الأشعري بفخر فيقول : ما اشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة الا وجدنا عندها علما به.

وتروى كتب السيرة والتاريخ أن أم سلمة أسماء بنت يزيد السكن الأنصارية أنها بايعت النبي صلى الله عليه وسلم عند مقدمه إلى المدينة. وتلقت عنه الكثير من العلم. وتخرج عليها كثير من التابعين. وحضرت موقعة اليرموك تسقى الظماء، وتداوي الجرحى. فلما جد الجد أخذت عمود خيمتها وانغمرت في الصفوف فصرعت به تسعة من الروم. فبخ بخ لهذه الشهامة والشجاعة والفداء.

ومثل هذه البطلات من السيدات والأوانس في تاريخ الإسلام كثير وكثير جدا. وما أتينا بهذه الأمثلة إلا كنماذج للمرأة المسلمة التي اقتحمت كل ميدان في حشمة ووقار ودون تبرج وميوعة. وهي لوحات لامعة وبراقة في تاريخ

المرأة المومنة بربها والملتزمة بتعاليم دينها. وهي حجة قاطعة على أن الإسلام لا يمانع مساهمتها في جميع المجالات بما فيها الميدان الحربي. والشرط الوحيد لاسهاماتها هو الالتزام بتعاليم الدين والوقوف عند حدوده، إذ لا يتحقق أي نجاح حقيقي إلا في ظله الوريف.

ومن المؤكد أن المرأة المسلمة لم تقف تلك المواقف البطولية ولم تقتحم المعارك الجهادية إلا بعد أن غمر قلبها الايمان بالله، وامتلأ فؤادها بنور الإسلام. وما كان في استطاعتها أن تساهم بهذا القدر الممتاز لولا هذا الدين الذي كان وسيظل الينبوع الفياض للفضائل والابداعات.

مقارنة

وعرضنا لأوضاع المرأة قبل الإسلام، وما أصبحت عليه بعد أن غمر قلبها النور المحمدي، يفسح المجال أمام الملاحظ المنصف للمقارنة بين الوضعين، فيخرج بالنتيجة الحتمية والباهرة ان المرأة المسلمة الملتزمة لحدود الله والتي لاتتأفف من أحكام ربها، ولا تتقزز من تعاليم نبيها، تستطيع أن تكون أما مثالية، وزوجة وفية، وفتاة بارة، ومواطنة من الدرجة الأولى، وفوق ذلك فدائية من الصنف الممتاز.

والمرأة المغربية المسلمة قد تطورت تطورا ملموسا، وساهمت بنصيب ملحوظ في العديد من الميادين النافعة، إلا أن بعض الطفيليات نتأت في حقلها، وان بعض الأصوات الكريهة ترتفع في بعض الأوقات من شأنها أن تسيء إلى سمعتها وتعرض مسيرتها لكثير من التحفظات. وهذا هو الدافع الحقيقي لمعالجة المواضيع السابقة بوضعها تحت المجهر القرآني الذي جاء فيه **«من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، ثم إلى ربكم ترجعون»** الجاثية : 14.

وأملي أن أكون قد وفقت في معالجة تلك الاهتمامات التي يثير حولها أعداء الإسلام ضجة مفتعلة لبلبلة الأفكار وزعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس نسائنا وبناتنا، وعسى أن تراجع بعض العقول المهزوزة مواقفها وتصحح أخطاءها على ضوء الحقائق التي بيناها والمستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، وصدق الله العظيم، القائل في كتابه الحكيم : **«قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، وما أنا عليكم بوكيل»** يونس : 108.

المراجــع

1) تفسير بن كثير للإمام اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي.
2) التفسير - الإذاعي لفضيلة الشيخ محمد المكي الناصري.
3) الإسلام عقيدة وشريعة للإمام الشيخ محمود شلتوت.
4) الإسلام والحضارة العربية للأستاذ محمد كرد علي.
5) المرأة العربية في ظلال الإسلام للأستاذ عبد الله عفيفي.
6) روح الدين الإسلامي للأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة.
7) الايمان والحياة للأستاذ يوسف القرضاوي.
8) الفلسفة القرآنية للأستاذ عباس محمود العقاد.
9) الادب النبوي للأستاذ محمد عزيز الخولي.
10) بداية المجتهد في نهاية المقتصد للأستاذ محمد بن أحمد محمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير بابن رشد الحفيد.

في المكتبة المغربية :

الأمناء بالمغرب

تأليف : الأستاذة نعيمة هراج التوزاني
عرض وتقديم : الأستاذ زين العابدين الكتاني

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

أطروحات ورسائل

2

الأمناء بالمغرب
في عهد السلطان مولاي الحسن
(1290 - 1311 / 1873 - 1894)

مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب
(نال جائزة المغرب لسنة 1977)

المؤلف
نعيمة هراج التوزاني
أستاذة محاضرة بكلية الآداب - بالرباط

مطبعة فضالة
يناير 1979

يتميز الكتاب المغربي الجديد الذي أحاول التعريف به بميزتين مهمتين هما :

- الميزة الأولى أن الكتاب لسيدة مغربية.

- والميزة الثانية أن موضوع هذا الكتاب موضوع مغربي واصيل ومهم إلى درجة الإعجاب والتنويه.

وهذا الكتاب هو العدد الثاني الصادر عن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ضمن (اطروحات ورسائل) في يناير 1979 بعنوان (الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن 1290 - 1311 / 1873 - 1894) لمؤلفته السيدة نعيمة هراج التوزاني الأستاذة المحاضرة بكلية الآداب بالرباط والحاصلة على (جائزة المغرب لسنة 1977) ضمن (مساهمتها في دراسة النظام المالي بالمغرب).

ومن هنا من هذا المنطلق. فالكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه صدر بالحجم المتوسط في إخراج لائق. ومبوب تبويبا دقيقا وطبع جميل. وورق صقيل يقع في 385 صفحة تضم بالإضافة إلى النص الفهارس التي يتميز بها عادة كل نص أكاديمي مكتمل هذا بالإضافة إلى تقديم للأستاذ حرمان عياش الذي أشرف على مناقشة هذه الرسالة الجامعية زيادة على عدد من الجداول البيانية والمصادر التي تزيد من أهمية الكتاب. وتطبعه بطابع علمي دقيق. يرتفع بمستوى مؤلفته إلى درجة علمية بارزة.

وقد جزء موضوع الكتاب إلى ما يلي :

أولا : ثلاثة أبواب ويندرج تحت كل باب فصول.

ثانيا : (تقويم عام لجهاز الأمانة) وتناول هذا الجانب الذي لا يندرج تحت الأبواب الثلاثة إلى تحديد (تركيب جهاز الأمانة) و (بعض مظاهر تعثر جهاز الأمانة) و (الامكانيات المحدودة والأهداف الطموحة) للاستفادة من الخبرة التقنية للتجار. وتحقيق جهاز الأمانة لبعض الأهداف.

ثالثا : الخاتمة وتدور حول ما استخلصته الكاتبة بخصوص موضوعها وما توصلت إليه من نتائج. وقد ركزتها في صفحتين فقط تعتبر النتيجة لموضوعها الهام.

رابعا : ملحق ويتناول إدراج (الوثائق المتعلقة بالترتيب والقبائل) و (المتعلقة بالمستفاد) و (المراسي) و (الوثائق المتنوعة) ويضم سبعة وثلاثين وثيقة وضعتها في قالبها التاريخي والعلمي الصرف. مع الإشارة إلى المصادر التي توجد بها حسب النوعية التي حددتها.

(الأمناء بالمغرب)

وإذا كان كتاب (الأمناء بالمغرب) يكتسي أهمية علمية بالغة. فإنني أرى من المفيد أن نتعرض إلى موضوعه ولو بصفة خاصة كما حددته المؤلفة أثناء الحديث عن تصميم موضوع رسالتها حيث تقول :

«خصصنا الباب الأول منه (للأزمة المالية وإطار الأمناء)، وتحدثنا فيه عن أوضاع المخزن المالية عند تولي السلطان مولاي الحسن الأول وعما كانت عليه من نقص في المداخيل. وتزايد في النفقات وعن الحل الذي كان يرتئيه السلطان للخروج من الأزمة المالية وهو تنظيم الأمانة. وبينا الاعتبارات التي كانت للمخزن في تعيين الأمناء حيث كان يختارهم من فئة اجتماعية معينة ويتبع في هذا الاختيار (عادات مخزنية) خاصة.

وفي الباب الثاني، عالجنا (الامانة المحلية) بأشكالها الثلاثة ، وهي (أمانة المراسي) و (أمانة المستفاد) و (أمانة القبائل). وبينا أن أمناء المراسي كانوا يشرفون على دخل تجارة المغرب الخارجية. ويتولون أثقل النفقات. وان مهمة (أمناء المستفاد) كانت تقوم في جمع مداخل التجارة الداخلية. وربع أملاك المخزن خاصة. وتطرقنا بعد ذلك. (الأمانة القبائل) التي أوجدها (الترتيب) الحسني. وللأهمية الخاصة التي كانت عليها بالنسبة لبقية مرافق (الأمانة المحلية).

وتعرضنا - تقول الكاتبة - في الباب الثالث (للأمانة المركزية). وخصصنا الفصل الأول منه (الامين الداخل) المكلف باستلام الأموال التي ترد على السلطان. ولخزائن الدولة التي كان مسؤولا عن ايداع الأموال بها.

أما الفصل الثاني عن (أمناء الصائر) فتحدثنا فيه عن (امين صائر العتبة) الذي كان يتولى الإنفاق على حاجيات السلطان وإدارته المرافقة له. وكذلك عن أمناء الصائر بالعواصم الثلاث) ، فاس ومراكش، ومكناس. المكلفين بالانفاق على حاشية السلطان والجيش والإدارة الموجودة بهذه العواصم. ونواحيها.

وفي فصل الثالث عن (أمانة الحسابات ومراقبة الأمناء) عالجنا الكيفيات التي تتم بها محاسبة (الأمناء). ومختلف الإجراءات المتخذة لذلك.

وانتهينا من هذا الباب بالتعرض (الأمين الأمناء) ودوره في الاشراف على جهاز الأمانة بكامله. أي الإطلاع على أعمال (الأمناء) وأموال المخزن.

وحاولنا في الاخير ان نقدم تقويما شاملا (للامانة) في مختلف مرافقها، وان نبرز السمات العامة والأساسية لتركيب هذا الجهاز المالي، كما أثرنا المشاكل التي طرحها، ومختلف العراقيل التي حالت دون الاستفادة منه، ولم تفتنا الإشارة إلى مافي هذا الجهاز من جوانب تنظيمية إيجابية.

(الأمانة .. التعريف الكامل)

ولم تكف المؤلفة أن تقف بنا عند هذا التحديد بل توقفت لتقول للقارىء انها :

«لم تر كبير جدوى في الدخول، إلا لماما، في مناقشة غيرها، ممن تعرضوا للإدارة المغربية، لكون دراساتهم لم تعرف (بالامانة) التعريف الكافي، فضلا عن أن تقوم باستنتاجات أصيلة، تجعلنا مضطرين لتبنيها أو تعديلها أو تنفيذها.

ولما كان الموضوع يتصل بالمرفق المالي من الإدارة المغربية، وهو جانب يكاد أن يكون مجهولا، وكانت جل العناصر التي أبرزناها منه، تتميز بالجدة، لم نر من المفيد الاقتصار على نقل مضمون الوثائق بتعبيرنا الخاص في جميع مراحل الموضوع.

بل رأينا من المحتم أن ندرج النصوص، في مكانها من بحثنا حتى نعزز بها وصفنا من جهة واستنتاجاتنا من جهة أخرى، لاسيما وأن الموضوع تقني إلى درجة كبيرة، وأن الأسلوب التقني للوثائق لاتغني عنه اية ترجمة مهما قصدت الوفاء بالنص.

فالرسائل السلطانية والرسائل الجوابية عنها، تتميز بالقدرة في التعبير، وفي وصف الأمور، وتقدير درجة خطورتها، وفي أساليب طرحها... ومعالجتها بحيث يؤدى اي استغناء عنها الى نقص في إدراك معطيات الموضوع ومزاياه، لذلك لم نتردد في الاستشهاد بالنصوص الأصيلة بعد التقديم الوصفي أو الاستنتاجي الضروري لها».

(مدخل للاقتصاد المغربي..)

وإذا كان موضوع (الأمانة بالمغرب) أو (مدخل للاقتصاد المغربي) قد استطاعت مؤلفاته أن تتوج مجهودها العلمي هذا بالتحديد المنهجي الذي أضفته على مختلف عناصر موضوعها، مما جمعته من وثائق، وبما سارت عليه من دأب متواصل للتعريف بكل الأسماء والمسميات التي عرفتها في هذا القطاع الاقتصادي على الأقل على الحقبة التي حددتها المؤلفة في مختلف فصول الكتاب التي أشرت إليها في الحديث السابق...

ونظرا لكون الأستاذة نعيمة هراج التوزاني قد سجلت من جهة مجهودا علميا كشفت من خلالها عن أشياء مهمة في ميدان البحث التاريخي المتعلق بمظاهر يقظة المغرب الحديث، ومن جهة أخرى أغنت كثيرا من الجوانب التي كانت في حاجة إلى الكشف والاكتمال، وهذا ما نجد الأستاذ عياش يحدده في تقديمه بكل تنويه وتقدير باعتباره المشرف على هذه الرسالة الجامعية الهامة وذلك من خلال :

أولا : ان الصعوبات المتعلقة بالوثائق المغربية (الخاصة بالموضوع) أصبحت الآن معروفة فلا حاجة إلى إطالة الكلام عنها، حسبك أن نعيمة التوزاني ذللتها كلها بما لها من استعداد لذلك، وبما زادتها تجربتها اليومية المطولة من المهارة.

ثانيا : حصلنا بفضلها على وصف شامل دقيق لجهاز الأمناء في فترة معينة بأصنافهم ومراتبهم وصلاحياتهم، ومن شأن هذا الوصف الدقيق أن يساعد في المستقبل الباحثين المهتمين بهذه

الفترة. ولذلك فيمكننا الان التمييز بكامل الوضوح مابين (الأمناء المركزيين) و (الأمناء المحليين) وفي الأمناء المركزيين يمكننا التمييز مابين امين الأمناء المشرف على الجهاز بأسره. وأمين الحسابات الذي يقوم بأعوانه بمحاسبة جميع العمليات التي يمارسها مختلف الأمناء. ثم الأمناء المكلفين اما بجمع الأموال الموجهة من الأقاليم إلى المركز وادخارها في بيت المال أو غيره من الخزائن المركزية وهذا شأن (أمين الداخل) اما بانفاق أموال الدولة على الصعيد المركزي. هذا شأن (أمين العتبة) و (أمناء الصائر) اما الأمناء المحليون فيمكننا التمييز فيهم ما بين أمناء المراسي الذي يجمعون من جهة، الأموال الناتجة من الرسوم الجمركية وينفقون من جهة أخرى تلك الأموال اما جزئيا. واما كليا لسد اما الحاجات المحلية، واما بعض المشاريع الوطنية. وبين أمناء المستفاد المكلفين بجمع الأموال الناتجة قبل كل شيء من الضرائب المفروضة على التجارة، الداخلية وبإنفاق البعض منها. وأخيرا بين أمناء القبائل المكلفين - فيما هم مكلفون به - بجمع الضرائب الواجبة على القبائل.

ثالثا : ان الباحثة لم توفق فقط إلى اكتشاف صلاحيات كل صنف من الأمناء بتفاصيلها فحسب، بل وفقت إلى اكتشاف العلاقات التي تجمع بينهما. فيمكن بذلك أن نتبع دوران الأموال التي تدخل في خزائن الدولة وتصدر منها. وبهذا تسنح الفرصة للباحثة لتوجيه عنايتها إلى المصادرة التي تنبع منها موراد الدولة المختلفة. من الحق ان هذه المصادر كانت معروفة بصفة عامة. على ان فضل الباحثة هنا يتمثل في التفاصيل الجديدة التي أتت بها في طريقة استغلال هذه المصادر. أعني مثلا ما اكتشفته عن طريق استغلال المكوس - أي الرسوم المفروضة على أبواب المدن أو على الأسواق - فلنذكر هنا أيضا اكتشافا مفيدا حصلت عليه الباحثة بتحديد بعض الألفاظ التي كنا نعلم أنها تذكر الضرائب. على اننا كنا عاجزين عن التمييز بينها لأنها تأتي عادة مجموعة في النصوص كأنها مترادفة. وفي الواقع ليست مترادفة. من هذه الكلمات كلمة الواجبات والوظائف السلطانية والكلف المخزنية. فالآن يمكننا أن نفصل بين هذه الألفاظ فنقول أن الواجبات تعني الضرائب الشرعية - أي (أعشار الغلة) و (زكاة الماشية) و (الوظائف) هي هدايا الأعياد. اما (الكلف) فهي فروض أخرى. خصوصا منها (واجب الحركة) ولوازمها. وهذا مهم جدا لفهم بعض النصوص. خصوصا منها الظهائر التي تعفي بعض الأشخاص أو بعض الجماعات من أداء (الوظائف) دون (الواجبات) مثلا.

رابعا : وفي نفس الميدان - أعني تحديد بعض الألفاظ التي بقيت سرية. فلنذكر أيضا التعابير أو الكلمات الآتية :

(بيت المال) و (القوس) و (دار عديل) - كثيرا ما يعثر الباحث على هذه الكلمات ولا يرى ما من فرق بينها. أما الباحثة الأستاذة نعمية التوزاني فبينت لنا بكامل وضوح أن (بيوت المال) هي (الخزائن الرئيسية) وكان المخزن يتوفر على بيت مال بكل عاصمة من

العواصم الثلاث ، فاس ومراكش ومكناس. كما أشرت من قبل.

اما (القوس) انما هو ملحق لبيت المال. وهذا الملحق موجود بفاس ومكناس دون العاصمة الثالثة.

وفيما يتعلق (بدار عديل) إنما كان ذلك مقر أمناء الصائر بفاس، ولا يمثل خزينة من الخزائن.

وبعد، فإنني أنهي هذا العرض بما ذهب إليه الأستاذ عياش في تقديمه للكتاب فأوضح انه يدلنا على أمرين اثنين :

أولهما : الأبحاث التاريخية التي يقام بها في كلية الآداب مستمرة في المستوى العالي الذي ارتقت إليه في الفترة الأخيرة من الأبحاث الممتازة المرموقة. فأصبح في إمكاننا ان ننافس ونناصر في هذا الميدان التاريخي الهام الجامعات الأوربية والامريكية بل أصبح من الممكن أن نكون من المرشدين في ميدان تاريخ المغرب. فالمرجو أن تتكاثف عن قريب مجموعة البحاث البارزين التي تكون منها نعيمة التوزاني.

أما الثاني : ان النساء في المغرب لايمكنهن أن تساوين رجال المغرب فقط بالقوة العقلية بل يمكنهن أن ترتقين إلى المستوى الدولي في ميدان الإنتاج الفكري. فلنا الحق أن نذكر نعيمة التوزاني كقدوة لاخواتها الطالبات واخوانها الطلبة. ونرحب بها بصفتها المرأة الأولى التي استحقت أن تسمى (مؤرخة المغرب).

وتهانينا لمؤرخة المغرب الأستاذة نعيمة بكتابها الجديد : (الأمناء بالمغرب).

زين العابدين الكتاني



من مسيرة الهجرة إلى مسيرة الصحراء

قصيدة من وحي الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، وذكرى انطلاق المسيرة الخضراء الحسنية المظفرة (٦ نونبر ١٩٧٥).

للأستاذ الشاعر محمد بن محمد العلمي

هجرة المصطفى تصيب الصميمـا، إذ غدت للأنام درسا عظيمـا

حققت للإسلام دولتـه الكبرى، وشادت لـه الكيـان الفخيمـا

علمتنا الصبر الجميل، وأحيت كل قلب يهوى السلوك القويما

واتساع الآفاق منها لقد كا ن صباحا يغشى الوجود، عميما

رمزها الحب والإخاء الذي قد صار في جوهر الضمير مقيما

وأمام التوحيد تنهار أوثا ن، وتخزي شيطانها الموهوما

والنبي الرسول كان طبيبا ماهرا، يبرىء العليل السقيما

والكؤوس التي قد اترعت من نداه حيي من صبها . وحيى النديما

فالأمين النبيل خلقا وخلقا كان برا بالمؤمنين رحيما

حيث أعطى من نفسه المثل الأعلا، فقد أصبح الجواد الحليما

وأتته البشرى بغار حراء، فتلقى الذكر المبين الحكيما

إنه الوحي من عليم خبير كان في اللوح بالسنى مرقوما

صدقته دلائل السبق فيه فهو نور لقد أنار العلوما

حفظته عناية الله دوما، وهو بالمعجزات بز الخصوما

كلما شع نوره ازداد عمقا وأعز المنطوق والمفهوما

فليغص في المحيط من شاء درا غالي القدر، في الجمان يتيمـــا
سجـد الفكـر للبيـان، ففي القـــر آن سـر يبقـى جديـدا قديمـــا !

ه ه ه

هجرة المصطفى احتساب، وتـــاج للبطــولات، نظمـت تنظيمـــا
الهمتنـي من فيضها أعـذب الشعـر، فصغـت الثنـاء درا نظيمــــا
إنها فـي الفـداء، فـي قـوة الإيمـــان تسمـو، وتتقـــن التعليمـــا
هي رمز الجهاد في كل حيـــن، فلنمارس منهاجهـــا المستقيمـــا
فأبو بكـر الـذي ضـرب الأمثـــال حقـــا قـــد كـان شهمـــا كريما
مع خير الأنام في الغار طبعــــا عـرف اللـه المقسـط القيومـــا
وفـراش الرسـول ضـم عليـــا، والفتـى لـم يكـن جبانـا نؤوما
جفنه ساهـر، وقـد غشـي النـو م فلـولا تنـوي اعتـداء أثيمـــا
نصـر اللـه عبـده، فـإذا الدعـوة منـه قـد دعمـت تدعيمـــا
يثـرب رحبـت بخيـر حبيـب، وهـي فـي البشـر تحـن الترنيما
وجـرت طيبـة بكوثـر طيـب، سلسبيـــلا تـــراه أو تـنيمـــا
طلـع البـدر في الهناء بهيـــا، ونشيـد الأنصـار كـــان رخيما
إنهـم رمـز نخـوة، ووفـــاء واتحـاد لا يقبـل التقسيمـــا
قبسـوا مـن محمـد خيـر نـور، فنـرى منهـم البـدور النجومـــا

ه ه ه

وهنـا فـرع دوحـة نحـن منهـــا وإليهـا، نفـدي المحيـا الوسيمـــا
يا شعاعـا من تلكم الشمس مرحى ! إذ توالي نبينا المعصومـــــا
يازعيـم الملـوك، ياسبط طـــه عش على هامة الثريـا سليمـــا
دم تدم دولـــة الأصالـــة والمجـــد، فحسـن الزمـان فـي أن تدومـا !
إنما النصر ميزة (الحســن الثـا نـي) الذي كان قائـدا وزعيمـــا
حرستـه عنايـة اللـه، فـــازدا د على وحـدة الحمـى تصميمـــا
فـوق ما قـد بنـي الجـدود يوالـي لصـروح مـن مجدنـا ترميمـــا
كيـف لاتخـدم المشيئـة شهمـــا كـان للمؤمنيـن دوما خديمـــا ؟!

يرتجـى المسلمـون فيـه رجـاء   بـه يـزداد صفهـم تقويمـــا
(لجنـة القـدس) أيـدت بيعـة الإجمـاع حقـا لمـن يصـون الحريمـــا
قلعة الأطلس المنيمـة هــدت   جيـش صهيـون.. كبـره المزعوما
(خط بارليـف) لـم يعـد غيـر حلم،   نحن كنا به النسور الرجومـــا
فإذا صحـت العزيمـة منـــا،   ثكـل المكـر جنـده المهزومـا
وكيان (القدس الشريف) سيبقـــى   عربيـا، فلـن يـرى مثلومـــا
صحـوة المسلميـن في كل صقـع   ليس ترضى التخديـر والتنويمـــا
وفلسطيـن، مسجدنـا الأقصـى جهـــاد يفنـي الزنيـــم اللئيمـــا
(إن (سيناء) أحيت مع (الجـــو   لان) نصرا عنـا يصـد الهمومـا
(يوم كيبور) لو درت فيـه (إســـرا   ئيـل) نحسـا، فإنهـا لـن تصومـا !

٥ ٥ ٥

وربـوع الصحـراء تبعـث بعثـا،   وربيـع الحيـاة يغشـى التخومـا
لـم ينلنـا مـن ينكـرون حقوقـا   ثابتـات لنـا ستبقـى لزومـــا
بيعـة إثـر بيعـة، إثـر أخـرى،   والدخيـــل الغـذار يجنـي الغمومـا
قسـم الأمـة العظيمـة مبـــرو   ر دوما، يحمي الكيان العظيما !!!
أنصفتنـا (لاهاي)، فالغاصـــب الجبـــار لاقى مصيـره المحتومـــا
(بالعيون) الحسناء قرت عيـــون   إذ رأت في العهد الجديد النعيمـا
قد تباهى (بالساقيـــة الحمـــــراء) (واد) نـال الوصـــال المرومـا
إنه الفرع عـاد للأصـل حتمـا،   ولجـاج الجيـران كـان عقيمـا
فالحسود الحقود يهلـك غمـــا،   وذوو الارتـزاق صـاروا هشيمـــا
كل من يجعل الأفاعي حصنـا،   ليـس يلقـى إلا الردى والسمومـا
لم يكن صاحـب الحقـــوق على رجعـة تلـك الحقـوق قطعـا ملومـا
والنـزاع المشـؤوم، منـه لقـد صـا   ر التمـادي في الاشقـاق جحيمـا
ليس من يرفع البناء، كمـا بـــا   ت يـروم التخريـب والتحطيمـا
مـن يصـن عهـده اهتـدى ولكـن نكـث العهـد فينـا محـرم تحريمـــا
وجحـود الإحســان كـان عقوقـا،   وسلوكـا للخائنيـــن ذميمـا

وإذا بيعت الضمائـــر بيعـــا، صـــار وقـــع الجـــراح فينـــا أليمـــا

مـــن يـــرم مكسب الغنائـــم غـــدرا، فليمـــت خالـــي الوفـــاض عديمـــا

وأرى (المغرب الكبير) سيجلـــو عنه بالوعيي والسمـــاح غيومـــا !

ههه

عرشنـا، شعبنـا بنيـة صـدق، بهمـا الله كان دوما عليمـا ،

هجرتـان اثنتـان كـان حمانا فيهمـا للتاريخ صنـوا حميمـا

عندنـا منهمـا اعتبـار، وذكـرى تستحق التمجيـد والتكريمـا

وصباح المسيرتيـن تجلـى، فشممنـا منـه الشذى والنسيمـا

إنه فتح مكـة صـار يحيـي صـورا منـه هاهنـا ورسومـا !

فعلى أشرف النبيئيـن صلـوا يا رفاقـي، وسلمـوا تسليمـا

وعلى الآل والصحابـة مـن هـم أوردونـا رحيقـه المختومـا

الرباط محمد بن محمد العلمي



العَهدُ الوَفيّ

للأستاذ شهاب جنبكلي

ضحك الزمان لعهده فتصدرا — واستيقظ الصبح الفتي معبرا

واسترسلت أعتابه في رفعة — تبدو كما يبدو الشروق منورا

جادت له الدنيا بغرة محتد (1) — فتضوعت مسكا يفوح معطرا

من عالم الغيب الجليل صفاته — حزما وعزما، بل أشد وأقدرا

هذي السماء تفتحت عن غبطة — وذوو العقول يرددون مفاخرا

شعب يحاكي المجد تحت لوائه — وتحدث الآيات عنه محاضرا

فصفت له الأيام بعد توحد — واستقبلت جيلا يسود وجابرا

ما أسعد الشعب الذي لا ينحني — إلا لمن أمسى وأصبح قادرا

ما أسعد الشعب الذي قد قاده — شهم همام، لا يهادن أعثرا (2)

جالت عيون القوم حتى إن بدت — علياؤه كانت أجل وأكبرا

حفظ الإله من الرزايا قائدا — للمسلمين وصابرا متصبرا

ياعين غضي، ياقلوب تهللي — فاليوم عيدي كي أجود وأفخرا

حسن الإمام بعطفه وحنانه — كالغيث يهمي حين يسعد شاكرا

حسن العقيدة في حنايا أمتي — من غربها، والشرق صار مبشرا

---

1) المحتد : الأصل.

2) الأعثر : صاحب الشر والمكروه.

حسن المفدى جده وجديده ... صرح تصدى للعتاة وأسعرا

ياحبذا وطن أعيد تراثه ... فتعانق العهد الوفي وأسفرا

وتهاطلت مزن الوفاء لعهده ... والنصر كان لذي الوفاء مقدرا

يامنقذ الإسلام من جوف الروى ... تحيا ليحيا شعبنا متحررا

ياملهم التاريخ دون هناته (4) ... باتت لك الدنيا تزف بشائرا

بانت تباشير الوجوه وعاهدت ... مولى شكورا للإله وناصرا

ومعاهد الإيمان تطمح أن ترى ... قدسا ترد، وعاهلا لن يقهرا

حمل الأمانة قائدا ينتابه ... صدق وعزم كي يبر وينصرا

فحنت إليه تهيبا من ذاته ... وتطلعا لله، حتى يظفرا

وتعاظم الشعب الطهور بقائد ... والحق للإسلام أن يتوقرا

نعمى لذي الأنساب حين أعزه ... شعب المسيرة هاديا ومكبرا

يا عين ردي، ياسماء تهللي ... فاليوم عيدي كي أجود وأشعرا

شهاب جنبكلي

في أعدادنا القادمة

الشعر الإسلامي المعاصر

نظرة في شعر عمر بهاء الدين الأميري

3) العتاه : جمع عات وهو العاصي، والخارج عن الأدب.

4) هنات : خصلات شر.

الطِّبُّ والتطبيبُ عند العَرَب

(1)

للدكتور محمد كمال شبانة

«إن مناهج العلوم الإسلامية في الطب والتشريح والعلاج ما زالت هي الأساس في التقدم العلمي، الأمر الذي يدركه كل العالم المتحضر، بينما لا يدركه ولا يدرسه بعض أبنائنا... فلماذا لا نعود إلى أصولنا الإسلامية ؟» صحيفة الأهرام (الجمعة 20 ـ 2 ـ 1981 م ص : 9).

إن من يستقصى هذا الجانب من المعرفة عند العرب يتضح له أنهم أدركوا التطبيب منذ أقدم عصور الجاهلية. فقد كانت وسائلهم في هذا تتسم بالبداوة. حينما يمزجون الطب بالكهانة. سالكين الطرق البدائية في علاج أمراضهم. حيث كان لكل قبيلة عرافها الذي كان محل الاستشارة في كل ما يلم بأحد أفرادها من علل أو شكايات.

بيد أن هؤلاء العرافين لم يكونوا حيال التصدى للأمراض على وتيرة واحدة. فقد كان البعض منهم يخلط بين الرقى والتبخير، وبين تعاطى الأدوية مع التمائم والتعاويذ. أما البعض الآخر فقد كانوا لا يزاولون الكهانة كهؤلاء، بل كانوا يمارسون العلاج لمرضاهم بالعقاقير والأعشاب التي تنتشر في بلاد العرب، أو تستورد من الخارج كالصين والهند. كما كانوا يعالجون بالفصد والكلى والحجامة إذا ما تراءى لهم أن العلة تستدعى ذلك.

وانبثق نور الدين الإسلامي... فأبطل الكهانة والمداواة بالسحر والشعوذة، ولم يسمح ـ بالتالي ـ للكهان

أن تكون منهم طبقة تمارس العلاج باسم الدين، ولكن شجع الإسلام الطب الطبيعي. وأشار النبي صلى الله عليه وسلم على صحابته وكافة المسلمين أن يستشيروا في أمراضهم الأطباء ولو كانوا على غير الدين الإسلامي؛ فقد مرض الصحابي سعد بن أبي وقاص في حجة الوداع. فعاده النبي وقال له : «إني لأرجو أن يشفيك الله حتى يضر بك قوم. وينتفع آخرون» ثم قال للحارث بن كلدة : «عالج سعدا مما ألم به» (1). وكان الحارث هذا على غير دين الإسلام. وأشار القرآن الكريم إلى قصة لقمان. واصفا إياه بالحكمة. فقال : «ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله (2).. كما قال : «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا» (3). ولا شك أن التطبيب ضرب من الحكمة. فمن أنعم الله عليه بهذه المزية جدير به أن يشكر مولاه. حيث أوتي من الخير الكثير. وما زالت كثير من القبائل العربية في العالم الإسلامي تخلع على الطبيب لفظ «الحكيم» والمغزى في غاية الوضوح.

لقد استفاد المسلمون كثيرا من الطب اليوناني. فقد نقلوا إلى العربية كتب أبقراط وجالينوس وغيرهما. كما أحاطوا علما بما كان لدى السريان من طب يوناني ممزوج ببقايا طب الكلدانيين القدماء. كما قام أطباء مدرسة جند يسابور بنقل طب اليونان إلى العرب كذلك ولكن بالصبغة الفارسية. بالإضافة إلى إطلاع العرب على طب الهنود في بغداد حينما جاء إليها أطباؤهم. فإذا وضعنا في الإعتبار أن العرب كان لديهم الاستعداد ـ بادىء ذي بدء ـ في هذه المجالات منذ الجاهلية. وأن الإسلام أضفى في هذا الشأن منهجه وأسلوبه.. أمكن القول بأن الطب في عصور الإسلام كان يعتبر خلاصة ما بلغه هذا العلم عند

الأمم المتحضرة قبل الإسلام، ولا تخفى علينا تلك المحاولات التي قام بها بعض المؤرخين والعلماء المتقدمين. حينما حاولوا جاهدين أن يحصوا الأطباء المسلمين. فألفوا صعوبة بالغة في ذلك. ومن هؤلاء ابن أبي أصيبعة في كتابه : «عيون الأنباء في طبقات الأطباء». وابن القفطي في كتابه : «تراجم الحكماء». ويذكر في هذا الصدد أنه في عهد المقتدر بالله العباسي (295 ـ 320 هـ) دعي إلى الإمتحان في بغداد تسعمائة طبيب. وهذا طبعا خلاف كبار الأطباء الذين طبقت شهرتهم الآفاق يومئذ. مما يشهد بأن الطب في الإسلام لم تشهده ـ بهذه الرعاية والعناية ـ حاضرة أخرى مثلما شهدته بغداد العباسية. ونعني بالحواضر الأخرى حواضر التاريخ القديم على مر الزمن. وهذا يتتبع القول بأن دراسة الطب في الإسلام كانت ترمز إلى احتياجات عمرانية أكثر منها احتياجات فردية. كما تشير إلى ذلك تلك الأعداد الهائلة من أطباء المسلمين وأساتذتهم. كل في ميدان اختصاصه... وهذا خلاف الأطباء النصارى الذين كانت تحتويهم الدولة الإسلامية. ويذكر في هذا أن عدد هؤلاء الأطباء من مسلمين وغيرهم في خدمة الخليفة المتوكل العباسي (232 ـ 247 هـ) قد بلغوا حوالي ستة وخمسين طبيبا في تخصصات شتى. كما كانوا على عهد سيف الدولة ما يقرب من أربعة وعشرين طبيبا قد عمر بهم قصره فقط.

لقد ألف العرب أكثر من موسوعة طبية. وأنه لم يسبقهم أحد في بعض فروع الطب. فالأطباء العرب أول من كتبوا عن مرض الجذام. وأن يوحنا بن ما سويه صاحب أول كتاب في هذا النوع من الأمراض. كما أنه

---

1) رواه الشيخان.

2) الاية : «ولقد اتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله، ومن شكر فانما يشكر لنفسه، ومن كفر فان الله غني حميد» لقمان : 12.

3) الاية : «يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وما يذكر الا أولو الألباب» البقرة : 269.

ينسب إليه سبقه غيره في تشخيص مرض الجدري والحصبة. وقد تمت ترجمة هذه المؤلفات وتلك الموسوعات إلى اللغة اللاتينية، وتداولتها أيدى الأطباء الأوربيين ريادة ومرجعا. بحيث يمكن القول بأنه لم يضارع العرب فيها أحد من علماء أوربا حتى مشارف العصور الحديثة..

وهكذا ترجم كتاب «الحاوى» للرازى سنة 1279م، وهو مؤلف ضخم، غزير المادة، غنى بالموضوعات الطبية، ولم يكن قد تسنى لمؤلفه أن ينتهى منه قبل وفاته، فاضطلع تلاميذه باتمامه كما ترجمت كتب ابن الهيثم في ذلك العصر، فأضحت مرجعا لأطباء أوربا. وقد سبق هذين الطبيبين العربيين الرئيس ابن سينا في ترجمة كتابه الشهير «القانون»، وذلك خلال القرن الثاني عشر الميلادي، ويعتبر هذا المؤلف بحق أضخم موسوعة طبية، جمعت ما استقرت عليه آراء الطب لدى الاغريق والسريان والأنباط والهنود، بل والعرب أيضا. ويعول الأطباء الأوربيون على هذا الكتاب في كثير من المسائل الصحية، وما يتصل منها بوصف الأمراض ووسائل العلاج، نظرا للأهمية البالغة التي تكتسيها هذه الموسوعة. وتذكر كتب المؤرخين في هذا الصدد أن مؤلفات الرازى وابن سينا كانت المصدر المعول عليه لدى أساتذة جامعة «لوفان» حتى أوائل القرن السابع عشر.

وغنى عن البيان ما قدمته الأندلس العربية إلى أوربا في مضمار الطب، ولا سيما في عالم الجراحة وتجبير كسور العظام. وعلى سبيل المثال في هذا الطبيب الأندلسي الشهير أبو القاسم خلف بن العباس القرطبى (ت 1107م) الذي ألف كتابه في هذا التخصص الدقيق. واسمه : «كتاب التعريف لمن عجز عن التصريف» والذي ترجم ثم طبع باللاتينية في القرن الخامس عشر. وطالما استفاد منه أصحاب هذه الصناعة. واسترشدوا في مهامهم بما جاء فيه، ولا سيما في فتح المثانة بغية استخراج الحصوات وإعادة التئامها.

لقد حاول هذا الطبيب العربي الكشف عن الأمراض التي تصيب الدم، فتؤدى به إلى الفقر (الأنيميا) أو التسمم، وله في هذا تجاربه وملاحظاته. ويعزى إليه أنه أجرى عملية جراحية بقصد منع تدفق الدم في الأوعية الدموية الكبرى. وله فضل السبق في أنواع من الخياطات للجروح. كل هذا وغيره في هذا المجال الجراحى والدموى قد ضمنه ذلك المؤلف الذي أشرنا إليه، وأودعه خلاصة تجاربه..

وفي مناسبة ذكر «الدورة الدموية» وما كان للأطباء العرب فيها من إجراء فحوص طبية، نذكر في هذا الطبيب ابن النفيس، الذي كان مشرفا على مستشفى دمشق، فقد كان من الرواد العرب الأوائل الذي شغلوا بهذا الموضوع في جسم الإنسان، ولم يتسن لعلماء أوربا أن يسهموا في هذا الأمر إلا بعد مرور حوالى أربعة قرون ! !

إنه لمن العسير أن نستقرى استقراء علميا تلك المجالات التي كان فيها لأطباء العرب جهد خلاق، أو سبق وريادة في هذه الصناعة، وانما يمكن أن نشير إلى شيء من ذلك على سبيل المثال، فمن ذلك ما أحدثوه من آراء جديدة في الطب تجافي آراء القدماء في تدبير بعض الأمراض، كنقلهم تدبير معظم الأمراض التي كانت تعالج في القديم بالأدوية الحارة إلى التدبير البارد، كمرض الفالج ومرض الاسترخاء. ويعتبر الشيخ أبو منصور صاعد بن بشر الطبيب البغدادي أول من فطن لهذه الطريقة الطبية الجديدة، وأجرى مداواة المرضى على أساسها، ونبه الأطباء إلى سلوكها، حيث قام بإجراء الفصد والترطيب لمرضاه، مانعا إياهم من الغذاء طيلة فترة العلاج، وإذ صح تقديره وتدبيره كوفيء يومئذ بإسناد رئاسة المارستان في بغداد إليه، وهو المنسوب إنشاؤه إلى الخليفة عضد الدولة.

وكان لا يسند مثل هذا المنصب يومئذ إلا لمن ضرب بسهم وافر في صناعة الطب، وبلغ فيها شأوا عظيما. وما أن حل بهذه المؤسسة الكبرى حتى أشار برفع المعاجين والأدوية الحارة.

ونسوق مثالا آخر للريادة الطبية عند العرب في بعض الفروع.... فنذكر أن المستشرفين الأوربيين أدركوا - من خلال دراساتهم الإسلامية - أن العرب كانوا أول من استخدم الكاويات في الجراحة كما هو الحال اليوم، مع اختلاف الأسلوب..
كما أنهم سبقوا إلى ربط العلاقة بين شكل الأظافر وبين مرض الصدر عند من يصابون به، ونبهوا إلى ملاحظة هذه الظاهرة.

وفي ميدان التخدير لإجراء العمليات الجراحية.. يعزى إلى الأطباء العرب أنهم استعملوا عقاقير خاصة في هذا الشأن، وأنهم سبقوا كثيرا في استخدام المرقد «البنج»، وتابعهم كثير من أطباء أوربا يومئذ في هذا، وظلت طريقتهم هي السائدة حتى تم اكتشاف الطريقة الحديثة عام 1844م، بينما كان غيرهم في أوربا يخدرون مرضاهم بالمسكرات قبيل إجراء الجراحات لهم.

هذا، ونورد الآن بعض الأسماء البارزة في النهضة الطبية عند العرب، مشيرين إلى وزن وفضل كل منهم في هذا المجال، ولاسيما في تخصصه الدقيق لهذه الصناعة. يذكر ابن أبي أصيبعة في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» مايقرب من أربعمائة طبيب مشهور، وذلك مؤشر جد هام إلى أن الطب كان من أهم العلوم التي أسهم فيها العرب بجهد وفير، وسنكتفي بالالمام بالمشاهير منهم، والذين قدموا للطب خدمات جليلة.

1 - الشيخ الرئيس ابن سينا، أشهر الأطباء العرب على الإطلاق، ولد عام 960م، وتوفي عام 1037م، من مؤلفاته كتاب «القانون» الذي يعالج فيه علم وظائف الأعضاء، وعلم الصحة العامة، وعلم معالجة الأمراض، ومن أهم مميزاته في هذا المجال وصفه الدقيق لمختلف الأمراض، وامتيازه بقوة النقد، مشيرا دائما بأن فحص أي عضو من أعضاء الجسم يتطلب الملاحظة الدقيقة.

ومن الأمراض التي تعرض لها بالتشخيص العلمي أمراض الكلي، ومرض الصفراء، وله تفرقة دقيقة طبية بين مختلف الالتهابات، كما تنسب إليه بعض الرسائل في مرض الشلل.

لقد نقلت كتب ابن سينا إلى مختلف اللغات، وظلت مرجعا هاما لأطباء العالم، وأنها اتخذت أساسا للأبحاث الطبية في جامعات فرنسا وإيطاليا على مدى ستة قرون، وقد أعيد طبعها مرات كان آخرها حتى مشارف القرن 18 الميلادي واعترافا بفضل هذا الطبيب العربي البارع فقد أطلق اسمه على كثير من المنشآت الطبية والمستشفيات العامة في العالم الإسلامي، وعلى العديد من المدرجات في كليات الطب في الجامعات الإسلامية.

2 - وربما واكب ابن سينا منزلته الشيخ أبو بكر الرازي، فهو واحد من أشهر أطباء المسلمين (850 - 932م) فقد كان يلقب بجالينوس العرب، ويقال إنه زاول مهنة الطب خمسين عاما في مدينة بغداد، وذاع صيته كأستاذ في هذه الصناعة، فقد كان يتوفر على كفاءة طبية ندر أن تتطاول إليها كفاءة طبيب غيره، وقد خلف وراءه عدة مؤلفات في هذا الميدان، ولا سيما في الحميات، والحصبة، والجدري، والتشريح، والأمراض الخاصة بالأطفال، ومن أشهر هذه المؤلفات كتابه «الحاوي»، وهو موسوعة تشتمل على ثلاثين مجلدا، تعرض فيها للموضوعات الطبية المختلفة، التي أوسعها بحثا وتشخيصا وطرق وقاية.

كما يذكر له كتابه «المنصوري» الذي تناول فيه أنواع شتى من الأمراض متحدثا عن أعراضها وتطورها وسبل علاجها. مركزا حديثه في هذا المؤلف على علم التشريح والجراحة، وأعراض البشرة، والسموم، والصحة العامة، والأغذية. وقد كانت بعض هذه الأبحاث يومئذ بكرا لم يطرقها أحد قبله. فقد اقترح - على سبيل المثال - وسائل جديدة للتداوي، ومنها مداواة الحميات باستخدام الماء البارد ضمن وسائل علاجها. وكان بهذا أول الأطباء الذين يمارسون هذا الداء بمثل هذه الوسيلة.

وللرازي كتابه «الملكي» أو «الملوكي» كما يسمونه، والذي ألفه خصيصا للملك عضد الدولة البويهي، وأتى فيه على كل ماوجده متفرقا من الأمراض، ومداواتها في كتب القدماء حتى عصره (القرن الرابع الهجري).

وينسب للرازي أنه كان يقوم بتجربة الدواء الجديد - قبل أن يشير باستعماله - في الحيوانات، للوقوف على تطوراته وآثاره في جسم الإنسان. وهذه الطريقة من الوسائل الحديثة المعمول بها في العصر الحديث لدى حقول التجارب الطبية كما هو معلوم. وكان الرازي من أوائل الكيماويين الذين عالجوا الكيمياء علاجا علميا حقيقيا، فقد عني بالتجارب والتحاليل، لا بالشعوذة والأفكار الغريبة التي كانت تروج يومئذ.

كما أن هذا الطبيب البارع كانت له اهتماماته بأحوال الطقس، ودرجات الحرارة والرطوبة والرياح، ونسب حدوثها في مختلف مواقع الأقاليم وربما كان غرضه الوقوف على التأثيرات الجوية في جسم الإنسان خاصة.

ولقد نقلت كتب الرازي إلى اللاتينية، وحيث تم طبعها خلال القرنين السادس عشر والثامن عشر، وبالتالي كانت هذه المؤلفات أساسا لكتب الطب في أوربا فترة طويلة.

3 - وتجب الإشارة - في معرض الحديث عن مشاهير الأطباء العرب - إلى الطبيب ابن ماسويه، الذي حاول جاهدا أن يتعرف على أسباب مرضى البرص خلال القرن التاسع الميلادي، وكان يسود الاعتقاد يومئذ بأن هذا المرض لعنة من الله، ولكن الأطباء العرب كانوا يعزلون ضحايا البرص في مستشفيات خاصة، وتحت اشراف ذوي الاختصاص من الأطباء ورعايتهم.

4 - ولقد كان للأندلس نصيبها البارز في مجال الطب، فمن أشهر أطبائها لسان الدين ابن الخطيب السلماني (713 - 776 هـ) وله عدة رسائل طبية، لعل أشهرها رسالة في علاج الطاعون، وطرق الوقاية منه. وقد نص فيها على اتخاذ الاحتياط حيال هذا المرض، والبعد عن لمس المرضى به أو الاختلاط بهم، أو استخدام أوانيهم أو أدواتهم. وبالإضافة إلى هذا فقد حاول ابن الخطيب الطبيب أن يحصن الناس ضد هذا الوباء، وقال : إن العدوى تفد عن طريق شخص قادم من بلاد أجنبية إدراكا منه للأخطار التي تتسبب عن العدوى المتنقلة. وهذا يعتبر من أهم الخطوات في تقدم علم الطب.

كذلك استطاع هذا الطبيب الأندلسي أن يؤلف كتابا حل فيه مشكلة الجراثيم، أو لغز العدوى وانتقال المرض، ونص على أن انتشار الأمراض يتوقف على استعداد جسم الإنسان الملازم للمريض.

ولابن الخطيب مؤلف طبي مشهور اسمه «الأصول لحفظ الصحة في الفصول» كان قد أهداه خلال مقامه الأخير بالمغرب - إلى السلطان أبي سالم المريني، فكافأه عليه بمضاعفة رواتبه، وفي ذلك إشارة إلى أهمية الكتاب في ميدان الطب والتطبيب.

5 - ومن أطباء الأندلس يذكر أبو القاسم القرطبي (ت 1107م) وهو الطبيب الذي حاول الكشف عن الأمراض

التي تصيب الدم. وإلى جانب هذا فقد أدخل تجديدات جوهرية وهامة في علم الجراحة والتشريح. كما عالج الزوائد الأنفية والقصبة الهوائية ويعزى لهذا الطبيب أنه أجرى عملية للحيلولة دون تدفق الدم في الأوعية الدموية الكبرى. كما كان متفوقا في عمليات البتر. وسبق أيضا إلى أنواع من الخياطات الجراحية. كما حاول معالجة الكسور. وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا الطبيب قد وضع خلاصة تجاربه في مؤلفه «كتاب التعريف لمن عجز عن التصريف»، وهو المرجع الذي أفادت منه أوربا لعدة قرون.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأطباء العرب عرفوا التخصص. وقد برزوا في هذا المجال. ومن الفروع التي نبغ فيها هؤلاء الأطباء طب العيون. ويقال انه علم عربي خالص. ألف فيه الطبيب حنين بن اسحاق، وعلي بن عيسى، وعمار الموصلي، وبفضل هؤلاء الأطباء ومؤلفاتهم شيدت أوربا علم طب العيون في جامعاتها. كما يذكر للأطباء العرب السبق في مجال طب الأسنان.

كذلك عرف العرب العلاج النفسي، وعالجوا مختلف الأمراض العقلية عن طريق استخدام الوسائل النفسية. ولهم في هذا مؤلفات هامة؛ وقد كتب ابن الهيثم عن اثر الموسيقى في الإنسان والحيوان. وابن الهيثم ـ فوق أنه أحد علماء الطبيعة المشهورين ـ إلا أنه كان طبيبا مشهورا. ومن نظرياته الطبية قوله بوجوب الاستعانة بالوسائل النفسية إلى جانب العقاقير. وقال : إن العلاج النفسي متمم للأدوية؛ لأنه يرفع القوى المضادة للمرض ويناصرها في التغلب عليه. وكان قد ألح ابن سينا قبله في وجوب الاهتمام بالعلاج النفسي؛ لأنه خير وسيلة لتغيير وتبديل البيئة الكئيبة التي تحيط بالمريض.

هذه إشارات عابرة ألمحنا بها إلى قمة العرب في ميدان الطب والعلاج. ولا يسع الباحث المنصف ـ إزاء هذه الحقائق التي أقر بها الأوربيون ـ إلا القول بأن النهضة الطبية عند العرب تمثل درجة عالية في سلم الحضارة الإنسانية.

تاريخ
الطب العربي

للدكتور لوسيان لوكليرك

الجزء الأول

أعادت طبعه
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية
الرباط ـ 1980

تاريخ
الطب العربي

للدكتور لوسيان لوكليرك

الجزء الثاني

أعادت طبعه
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية
الرباط ـ 1980

في ضريح جلالة المغفور له محمد الخامس

وقفة المجد

للشاعر العراقي د. باقر سماكة

وقفت وقفة إجلال وإكبـــار ... وقد رجعت إلى الماضي بأفكـاري
وقفت والذكريات الغر تغمرنـي ... كأنما أنا منها وسط أنـــوار
وقفت وقفة من يسمو الخشوع بـه ... لعالم من تراتيل وأذكــار
قد كدت أنسى به نفسي، ببارقـة ... قدسية أشرقت من هالة البـاري
وكاد يغمرني فيض منابعـه ... من كوثر الخلد يطويني بتيـار
من لي بسابغة كي أستعين بهـا ... بالشعر من شعر حسان وبشـار
من مربد البصرة الفيحاء ترفدنـي ... نوابغ خلدتها غر أخبـــار
من الرصافي من فرسان حلبتـه ... من الزهاوي فلا أرضى بأشعـاري
لكي أحيي ضريحا قد سما شرفـا ... على الذرا بمجرات وأقمـار
به استقر عظيم ثائر بطـل ... كما استقر بغمد أي بتـار
«محمد الخامس» المغوار رفعتـه ... يعنو لها كل عملاق ومغـوار
القائد اليعربي الفذ ثورتـه ... في الكون نبراس جوالين ثـوار
لازال نبراسه كالشمس منطلقـا ... يذكو فيلمح منه هديه السـاري
ما نال من عزمه نفي يؤرقـه ... على العرين، كذاك الضيغم الضـاري
حتى بمنفاه ما لانت عريكتـه ... كرابض بقيود النفـي زءار
كم جال في حلبات الروع مدرعـا ... يحاط من مدد الباري بأنصـار

وخلفه سار صيد للردى بذلـــوا نفوسهم بدم في الحرب فـــوار
من غلب ترهب الباغين سطوتهـم صالوا بجيش قوي البأس جـــرار
فعاد والفوز بعض من غنائمـــه مكللا بفخار النصر والفـــار
ورفرف العلم الخفاق مرتفعـــا في الجو من صنع أسياد وأحـــرار
وحرر المغرب المرموق جانبـــه من كل مغتصب للحق غـــدار
الخالد الذكر من ضحى بمهجتـــه لشعبه، رمز تحرير وإيثـــار
أبو المليك الذي قد سار سيرتـــه أعظم به خيرا من نسل أخيـــار
العاهل «الحسن الثاني» الذي ارتفعت علياؤه بين أوطان وأقطـــار
قد سار بالمغرب الميمون طالعـــه وحاز كأس العلا في كل مضمـــار
وفي مسيرته الخضراء ما وهنـــت خطاه، يمضي بتصميم وإصـــرار
عليه كل أماني العرب قد عقـــدت بعودة القدس (1) من فاشية العـــار
وجمع كل شتات قد أضر بــــه شعار «فرق تسد» بالأهل والجـــار
ومن يديه ترجي العرب قاطبـــة ضماد جرح شديد النزف نغـــار

٥ ٥ ٥

يا سيدي جئت من بغداد أحملهـــا عواطفا من هوى في القلب مـــوار
للأهل في المغرب الحر الشقيق هـم عون لنا عند أنواء وإعصـــار
ونحن عون لهم، شعبان ضمهمـــا شمل الإخاء لدى يسر وإعســـار
قد وحدت بيننا أهداف أمتنـــا للذود عن حرمات عند أخطـــار
وبيننا من صميم الود أعمقهـــا وشائجا منحتنا خير أثمـــار
في كل بيت ببغداد يرن صـــدى من الرباط وفيه ألف تذكـــار
ولي بمغربكم بل لي بمغربنـــا من ذكرياتي التي مرت وآثـــاري
ما يملأ النفس تحنانا ويدفعنـــي شوقا ويقدح مني زندي الـــواري
حتى كأني هنا والدار نائيـــة عني، بموطني الثاني وفي داري
عواطف الحب كالأغصان ناشـــرة ظلالها غب هطال ومـــدرار

1) إشارة إلى لجنة القدس التي يرأسها جلالة الملك.

حملتها من ضفاف الرافدين لكـم   على جناحي في ريشي بمنقـاري

والشاعر الحق مما قد يخف بـه   طير يبز سباقا سرب أطيـار

من دجلة الخير في أنفاسها عبـق   يندى عليها كطل فوق أزهـار

من الفرات الذي يجري بأعذب مـا   يحويه من سلسل رخو وهـدار

من ألف ليلتنا من كل ما نفحـت   به مباخرها، من كل معطـار

من شهريار الذي قد هام من طـرب   بشهرزاد ومن أسمار سمـار

من كل ما زوق الدنيا ونضرهـا   غضارة، من لبانات وأوطـار

يا سيدي فتقبل ما أقدمـه   وما أقدمه من غوص بحـار

كل البحور بحور الشعر تعرفـه   يختار أروع ما يحلو لمختـار

عقود أشعاره در ينظمـه   ولا ينظمه إلا بمقـدار

من قطف أشعاره زهر ينسقـه   تغار من لطفه أزهار أيـار

إليك أرفعها رمز المحبة مـن   عراق (بابل) فجر النور والنـار

فهرس مخطوطات خزانة تطوان

المملكة المغربية
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية

فهرس
مخطوطات خزانة تطوان
قسم
القرآن وعلومه

إعداد:
المهدي الدليرو   محمد بوخبزة

•• صدر عن المكتبة العامة بتطوان (فهرس مخطوطات خزانة تطوان) قسم القرآن وعلومه، من اعداد الأستاذ المهدي الدليرو مدير المكتبة، والأستاذ محمد بوخبزة رئيس قسم المخطوطات بالمكتبة ويقع الكتاب في 264 صفحة من الحجم الكبير.

.بمناسبة عقد مؤتمر القمة العربي الثاني عشر بفاس:

تحية وتقدير..

إلى ملوك ورؤساء الدول العربية نرفع هذه التحية إشادة بما ينتظر من نتائج إيجابية لصالح القضايا المصيرية للأمة العربية، وتعبيرا عن فرحة الشعب المغربي لهذا اللقاء الكريم.

للأستاذ عبد الكريم التواتي

تحيـات المغاربـة الأماجـد	ليعرب، بالصفا تزهو، تـراود
توقعها جوانحنا احتفـاء	وتشدوها في لقياكم قصائـد
ويزجيها «المثنى» لحـن ود	فيهتف شعبه: ولد ووالـد
وما الحسن المثنى غير نعمـى	على الإسلام والعرب الأماجـد
وما شعب المثنى غير حصـن	ليعرب صامد فداء رائـد
وما في المغرب الأقصى المفـدى	سوى شعب يفدي العرب صامـد
أمازيغ ويعرب دون ميـن	وما غنى بغير الضاد واحـد
ويعرب مذ قديم الدهر كانـوا	ومازيغا أشقاء الموالـد
موالد وحدتها آصـرات	وروى نبتها الدم والمقاصـد
وعرق واحد، عدنان أرسـى	رواسي آسه وبنى القواعـد
قواعد وطدتها أمنيـات	ودين محمد وعرى المشاهـد
أقاما بالإخاء صروح مجـد	وبالإيمان شادا كل خالـد
أحبتنا وإخوتنا تحايـا	عليها الحب دفاقا شواهـد
مواكبها الحنايا خافقـات	وألسنها الأواصر والمعاهـد

لكم يزجي المثنى منتهاها ... ويزجي شعبه منها الأوابد
إخاء صادقا وصفاء ود ... وإخلاصا وعونا في الشدائد
حللتم فاسكم رغدا ويمنا ... فهبت تحتفي نشوى توادد
مواكب عزة ووفود مجد ... توافدتم، فمرحى بالفرائد
ويامرحى بحلكم سماها ... ويامرحى بمؤتمر الأساود
حواضرنا بوادينا صحارنا ... شواطئنا سمانا والمناجد
تحييكم، وترتجز التهاني ... وودكم ولقياكم تناشد
وما فاس ليعرب غير حصن ... يذود عن الحمى ولها يساند
صنعة يعرب كانت، وتبقى ... ليعرب موطنا، وبهم تماجد
توارثها سراة العرب قدما ... وشعب مؤمن جلد مجاهد
رعوها مخلصين فأبرزوها ... منائر للهدى شما رواشد
و«إدريس» بها أرسى لعرب ... دعائم أسها مذ رص خالد
وآل المجتبى الحسن المثنى ... بها للضاد قد شادوا المعاهد
بها قد أثلوا للعرب مجدا ... وللأمجاد قد أرسوا قواعد
وللدين الحنيف بنوا صروحا ... بها تزهو المساجد والمعابد
فما فاس ليعرب مذ جلوها ... سوى أحنائهم وسوى القلائد
بها الأمجاد قد ألقت عصاها ... وطاب بها المقام لكل وافد
آحبتنا، حللتم خير أهل ... وخير عصابة تبني المحامد
حللتم محرمين حمى المثنى ... فمرحى بالأحباء الفراقد
لقد هلت بأربعنا شموس ... وهل اليمن موفور الروافد
فرجعت المغاني في ابتهال ... هتافات التهاني والنشائد
وغنى المغرب الأقصى اختيالا ... وزغردت المذارى والخرائد
وفدتم، والصفا يزجي صفاء ... فحققتم بجمعكم الفوائد
فوفيتم عهودا قد قطعتم ... وآمالا، شعوبكم تراود
ومؤتمرات يعرب خير مهد ... لما ترجوه يعرب من مقاصد
فمؤتمر الجزائر كان أسا ... لتمتين الروابط والمواعد
وفي بغداد أمضى العرب حلفا ... له عمان والخضرا سواعد

رباط الفتح زكى ما قصدتـــم حواريـا، وكـان لـذاك رائـد

به قامت ليعرب في البرايـا براهين الأصالة والمقالـد

وما فاس سوى الأمل المرجـى لما قد كان وطد من مشاهـد

قلوب العرب يكلأكم رضاهـا وترعى جمعكم، والله شاهـد

حمـاة العرب، أنتم في الرزايـا على إيمانكم تبنى المعاقـد

فلبوا مهطعين صريخ شعـب عليه تكالبت شهوات حاقـد

وقد كنتم مدى الأيام إلبـا على الأعدا، وكنتم خير خاضـد

أصيخوا للمعني واستجيبـوا فقد ناداكم وطن مجاهـد

فلسطين الشهيدة في شمـوخ تناضل في وفا، ترجو تناشـد

تنادى تستغيث تهيب تدعـو تحرض تلهب الأحشا تجالـد

لقد حلت بساحتها صـروف وحاق بقدسها رهق مناكـد

ولكن الأشاوس في صمـود - تؤيد في (وفا) الأمل المـراود

تؤيد (فتحها) وثبات شعـب تحدى النائبات وكل جاحـد

وتعضدها العروبة دون مـن بأجناد على الأعدا شدائـد

وقد آلوا بأن يحمى حماهـا ويحفظ مجدها ، حدث وقالـد

ويحمى القدس من رجس الأعـادى ويحمى من مؤامرة المكائـد

وتحمى الصخرة الشما، ويعلـو بها اسم الله آباد الخوالـد

وقد صدقت عزائمهم وداسـت سنابكهم مطيات المفاسـد

ولقنت الصهاين درس صـدق ستتلوه الكنائس والمساجـد

وسل سيناء والجولان عنـا وماذاق الصهاينة الملاحـد

لقد بطروا فصبحهم عـذاب وأمسوا للصقور بها موائـد

وكان الله ربك قد خزاهـم ورب الكون للعدوان خاضـد

ويعرب وحدة لغة ودينـا ويعرب أمة تهوى المحامـد

أقامت للعدالة خير صـرح وشادت للهدى أبهى المعابـد

وما كان الإله يضيع قومـا أعزوا الحق واجتنبوا المفاسـد

فطوبى ما قصدتم وائتمرتـم وطوبى للمناهج والمقاصـد

عبد الكريم التواتـي

في قبضة الأمير العربي

للأستاذ محمد بن احمد اشماعو

يعيش «رودريك» الملك القوطي، حاكم اسبانيا، أياما سوداء، فجيوشه بكثرتها وعددها تتساقط أمام جحافل القوات الإسلامية، فكأنما أفرادها المقاتلون مجرد هياكل من خشب جوفاء، وليسوا هم أولئك الأشداء الذين طالما حطموا القوات المهاجمة، واستولوا على أسلحتها وأقواتها وخيولها، وأرجعوها من حيث أتت !

والملكة «ايخلونا» تشارك اليوم زوجها مأساته، وتجلس بجانبه ساكتة، محترمة صامتة الطويل، الذي يلجم فمه طول النهار وطيلة الليل، شغله الشاغل احتساء الخمرة، الكأس تلو الكأس، وينتهي به الأمر أن ينبطح على الأرض حيث هو، ويروح في سبات عميق، انه لو حدثها، لو أفصح لها عما عنده من أخبار، وبما أعلموه من ماجريات الأحوال لتفهمت معه الموقف، ولحللت معه الأحداث، ولأوجدت الحلول الممكنة، مستخدمة في ذلك خبرتها ودهاءها، دافعة عن الأمة الاسبانية التي كادت تمحقها الأحداث الكبرى، وتعصف فيها بكل شيء، وعندئذ تتبدل الأرض غير الأرض، والناس غير الناس... لكنه يتمسك بالصمت، فتحتفظ هي لنفسها بآرائها.

انها كانت منه دائما على جفاء، لاتربطها به إلا رابطة الزواج الكاثوليكي التي لاتنفصم عراها، انهما في الحقيقة يعيشان متباعدين، كل منهما في جناحه الخاص، مع من يؤنسه ويسليه ويملأ وقته، ومن يغذي عواطفه.

استيقظت عند الصباح باكرا، وعند شروق الشمس خرجت من مخدع نومها، فإذا بها تجد زوجها قد استيقظ قبلها، وانه بادر منذ هذا الصباح إلى التسربل بلباسه الحربي الحديدي، وغطى رأسه بخوذة حديدية مطعمة بالنحاس والفضة، وتزينها من الجانبين ريشتان ذهبيتان أحداهما على اليمين، والأخرى على اليسار، وينسدل من تحت القفا شعره السبط الأشقر، ووضع على مقربة من المجن الفولاذي المحزم برسوم وتعاويذ وبصليب مجسم، مطلي بدهان الذهب، كما وضع سيفه الممتاز الذي اختاره من بين عشرات السيوف التي يمتلكها، وهو سيف ذو حد قاطع، يلمع لمعانا خاطفا، وهذا يدل عل أنه عازم كل العزم على أن يخوض ضد المسلمين معركة شخصية حاسمة، تنتهي حتما معها حياته، وتنتهي كذلك آلامه المبرحة، التي تمزق منه الفؤاد، وفي نفس الوقت يترك بعدها صفحات

في التاريخ مشرقة. تقول ان الملك القوطي ساهم في الدفاع عن مملكته وعرشه إلى أن انتهى..

وخامر شعور خاطف نفس الملكة من الأسف العميق والألم الموجع على حياة هذا الزوج التي أوشكت حياته أن تنتهي. وخالجها ندم على انها تركت هذا الرجل الجميل الرشيق القوام. الوافر الصحة. الوسيم المحيا. الأقنى الأنف. الرائع البسمة تركته يعاني الوحدة والغربة والإهمال. لقد كان عليها أن تؤنسه. وتخفف عنه وطأة الإجهاد الذي كان يعانيه. من جراء تراكم الأعمال. وحرصه على إنجازها دون تأخير. لقد كان يتناسى راحته. وحتى طعامه وشرابه. بل ينسى انه متزوج وان للزوجة عليه حقا.. هذا ما وقع بالفعل. خلال أعوام عديدة. وأثر الزواج بأسابيع فقط.

ولم يكن هذا شعورها وحدها. فقد خالجه نوع من مثل هذا الشعور كذلك. ولذلك تطلع إليها بعينين أمضهما الإنهاك المرهق والانزعاج المتواصل : فرأى أمامه إنسانة فائقة الحسن. بقوامها المعتدل البهيج. وفائقة ببياضها المشرق الجذاب وفائقة بوجهها المليح الفاتن. الذي تجمعت فيه ملاحة الأنثى الأندلسية القوطية. ونضج السنين الثلاثين. ورواء الصحة والسلامة والعافية.. عند هذا فقط أسف. أسف لضياع هذه الجوهرة الثمينة منه. وهو المقبل على الموت. لكم حزن لأنه سيترك هذا المرأة الجميلة كأنها العروس في ليلة جلوتها.. وتصورها - لحظتئذ - وهي في لباس الملكة المزخرف الثمين. وعلى رأسها تاجها المرصع النفيس. الفريد بين تيجان الملكات. ومن حولها ومن ورائها وصيفات الشرف العذراوات. البارعات الحسن. الريقات الشباب... وهي بينهن نجمة كل الأبصار معلقة بها. في اعجاب وافتتان وإجلال.

غالب نفسه المنقبضة من جهتها. وكلمها للمرة الأخيرة :

- لامفر من النزول إلى ساحة المعركة. لقد هلك قادة الجيوش وخيرة الضباط. وتناثرت أشلاء الجنود في الوهاد والبطاح والأودية. فالهزيمة واقعة. لاشك فيها.

عندى علم بكل ذلك. لقد وجدنا المسلمون في حالة من الضعف والانحلال خطيرة. وجدونا في حالة من الانهيار لم تسبق في التاريخ. ان الجنود تسابقوا إلى وضع أسلحتهم وتسليم أنفسهم. وبعض قادتهم صاروا أدلاء للأعداء الفاتحين على الطرق والمسالك... أعرف أنك ورثت هذه الحالة. ولم تكن سببها - لكننا ساهمنا في الانهزام بأخطائنا الكبرى والصغرى.

- قد يكون الأمر كذلك...

أجاب : رودريك. هذا الجواب. وهو يدرك الإشارة التي قصدتها بتلك الملاحظة. ومع ذلك تصنع البرودة. وأظهر عدم الفهم. فعقبت :

- هو ما كان. ونحن نجني ثمار انحلالنا. أن أمة القوط أخذت تضمحل. وتضمحل معها حضارتها وآدابها وفنونها.. انها اليوم تحتضر. وتخز تحت ضربات البدو الأشداء. ساكني الخيام والبيوت الحقيرة. لابد أن داء وبيلا كان ينخر جسم هذه الأمة. ولذلك لم تقو على الصمود. على المجابهة. لصد العدو عن الأراضي الاسبانية.

- مهما يكن من أمر فإني أتحمل مسؤوليتي ومسؤولية الآباء والأجداد. أن المملكة لو ازدهرت وتقدمت لكان الفضل لي. أما وقد حصل العكس فالتبعة علي. وعلي وحدي. وأنا وحدي الذي أؤدي الحساب للتاريخ. ان العرب دخلوا الأراضي الاسبانية في عهد ملكي. وهذه هي الحقيقة..

وعلا وجهه الاصفرار. إذ كان يغالب آلاما نفسية مبرحة. ولو استطاع لبكى. ولكن من أين له الدموع المبردة لنيران القلب المشتعل.

ثم زاد يقول :

ـ سأقود حامية «طليطلة» وجنود حراستي، وسأهاجم، أشفي غليل النفس بازهاق بعض الأرواح. أما مصيري فمحتوم. وأنا راض به. ومستعد له. وهو خير من أن أقع أسيرا. وداعايا «إيخلونا»...

وفتح ذراعيه ليضمها مودعا. فبادرت إليه مسرعة. ورمت بنفسها على الدرع الحديدي البارد الصلب. فسرت القشعريرة في جسدها. وأحست بتباعد جديد بينها وبينه فنفرت. واكتفت بأن شدت على كفه... ولكي لايغالبه الموقف أبعدها عنه بسرعة. وبشيء من الخشونة... ثم انطلق.

وانقلبت إلى القصر بخطى متمهلة ثقيلة. وصعدت حتى إحدى الشرفات. وأخذت تطل على مشهد التجمع العسكري الكبير. وهناك رأته ينظم الصفوف ويصدر أوامره إلى ضباط الجيش المحلي والمرتزق. والكتيبة كلها تمتاز بأن رجالها من نخبة المحاربين : ضخامة في الأجسام وارتفاع في القامات. وعرض في الاكتاف. وصرامة في الوجوه. واستعداد عظيم للعراك الدامي.

وصدح النفير فحيى الجميع العلم الكبير المزخرف. والذي علقت فيه عدة خيوط وخرق ترمز إلى معتقدات وطنية. ترجع ـ ربما ـ إلى عهود قديمة. ومن الفور تحركت الجموع. وأخذت تجد السير نحو أرض المعركة. ومن بعد الذهاب... بقيت الساحة فارغة فراغا يبعث في النفس الهول. ويثير توقعات غير محمودة.

وإلى هذا الحد فقدت الأميرة صبرها وثباتها فأجهشت بالبكاء. ودفنت وجهها في منديلها الأبيض الكبير. ومضت مهرولة إلى حجرتها الخاصة. وأطلقت لنفسها العنان. لقد تصورت نفسها من الآن بلا شأن ولا اعتبار. وأنها كشجيرة طرية في ساحة عارية. تهاجمها عاصفة عاتية. ماهي إلا لحظات حتى تتحطم وتتكسر.

تخيلت ما سيعقب الإنهزام الذي لاشك أنه واقع. تخلت جنودا جفاة يهاجمون القصر. ويتهافتون على نفائسه وذخائره. سلبا ونهبا. ثم يصطحب كل واحد منهم عند خروجه امرأة من النساء. السيدات. أو صبية من الصبايا الفتيات. لن يتركوا شيئا الا توزعوه. أو تخانقوا في سبيل اقتسامه.

وقام في نفسها خوف مريع من أن يسوقها أجلف من هؤلاء العساكر المهاجمين. ويأخذها سبية ليوقع بها المكروه. وليعاملها معاملة شنيعة. ويسلبها متاعها وحليها. ويعاملها كما يعامل الإماء والعبيد. المعاملة التي لا تليق بها. وهي سليلة الملوك المشاهير. وزوجة.. رودريك.. وريث العرش القوطي الشهير... وقطع خيط تفكيرها الغبار الذي ثار إلى عنان السماء. وصهيل الخيل القوي الذي رددت أصداءه الجبال والأودية والأنحاء المختلفة المجاورة. كما بلغ سمعها أصوات قوية جشاء كانت تغطى على صهيل الخيل. ولم تكن تدرى أن ذلك هو تكبير المسلمين. قبل خوضهم أية معركة. أنهم به يستفتحون. وبه يدخلون الفزع في قلوب الخصوم... وبه يفتون في أعضاهم. ويحلون من قوة عزائمهم.

ومرت الضحى طويلة عسيرة. وانتصف النهار. ثم زالت الشمس عن وسط السماء. وبعد ذلك أخذت في الإغدار. كل هذا. وما زالت تتبعث من بعيد أصداء الهرج والمرج والفتنة الكبرى. وما أن أصفرت الشمس حتى انكشف العراك عن انهزام مريع لجيش.. رودريك.. العتي. وعن تفرق الجنود الباقين على قيد الحياة في شوارع.. طليطلة. والتجائهم إلى أي مكان يحميهم من الفناء والدمار.

في نفس الوقت حضرت فرقة خاصة من خيرة الفرسان المسلمين أحاطت بالقصر الملكي. تحميه من كل اعتداء أو هجوم. كما منعت اقتراب أي متطفل أو جائع أو طماع. ولم يسمح بالدخول إلا لأفراد من أقرباء الملكة. الذين دخلوا تحت الحراسة ليبلغوا الأميرة خبر مقتل.. رودريك. فقال أحدهم :

لقد انتهى رودريك.. يا.. ايخلونا.. لقد أصيب في المعركة بعد صمود طويل لقد كان ثابتا كالصخرة ينزل الضربات القاسية القاتلة. ويتلقى الضربات القاصمة بثبات. وعن غفلة منه تقدم شاب من العرب الفرسان. خفيف الحركة بارع التسديد. ووجه رمحه نحو المقتل. فأصابه بجرح بليغ. فار منه الدم حارا قانيا. فغطى درعه وسال على ظهر الفرس حتى وصل إلى الأرض.. ومع ذلك تحامل.. رودريك.. على نفسه. وقصد النهر المجاور مفضلا أن يكون مرقده الأخير في قعر النهر. لئلا يمثل به ولا ينبش عليه قبره... لقد مات يا مولاتي موتة الأبطال. فليرحمه الله.

باتت ـ ايخلونا ـ ليلة من أحلك الليالي. مليئة بالشهين والنواح والتفجع المرير... وشاركتها الوصائف والقهرمانات والمقربات الحزن والبكاء والألم المقطع للقلوب.. ولم يخفف من وقع الفاجعة الا ترتيل الكاهن الموظف للعمل بالقصر خلال الصلوات اليومية. وخلال هذه المناسبات... وفعلا خفف من وطأة الحزن بترتيله العميق الجميل.

ومرت أيام الحداد. وخلالها لم يتغير أي شيء من حول الأميرة. فكل شيء بقي حيث تركه الملك الراحل. واستمر وصول الأقوات والحاجات الى القصر كما جرت بالعادة. وأخذت الأميرة وتابعاتها ينزلن إلى الحدائق. يتفسحن ويخففن عن النفوس. تحرسهن من خلف الأسوار القوة التي خصصها قائد الجيش الإسلامي لحماية القصر قبل رحيله لمواصلة فتوحاته.

وبعودته- إلى طليطلة. جاء يتفقد القصر الملكي. واستقبلته ـ على عادة النصارى ـ سيدة القصر في لباس حدادها الأسود الملائم. تعلو محياها مسحة من الوقار والجلال. ويترقرق ماء الشباب ورونقه في خديها وشفتيها الدقيقتين. وفي عينيها الجميلتين المشعتين.

وأدهشها أن القائد. قاهر الأبطال. هو هذا الشاب المتواضع الوديع النظيف الثياب الذي تغطي رأسه عمامة بيضاء. جزء منها مرسل على ظهره العريض. ولكنها لا حظت أن الشدة والبأس واضحين في الوجه ـ السمح العريض. الذي لوحته الشمس. وفي الكفين العتيدتين اللتين تشدان على أية كف أخرى بقوة وحزم. ولو كانت الكف كف غانية مثل الأميرة ـ ايخلونا ـ.

وليس معنى هذا أن القائد... عبد العزيز بن موسى بن نصير.. لم يستشعر أي شيء بحضور أميرة عريقة. سار الخبر بجمالها ودلالها في شرق الأندلس وغربها. وفي جنوبها وشمالها. ولهذا بقي أثر ما. في نفس القائد بعد مصافحة الأميرة ومحادثتها والتطلع إلى محياها المشرق.

إنها بلباقة الأميرة المتحضرة أخبرت القائد عن استعدادها للتنازل عن كل شيء وتسليم مفاتيح القصر وكل ممتلكاته في الوقت الذي يحدده. إنما هي ترغب في أن يخصص لها مكان تقضي فيه بقية أيامها مع قليل من الخدم.. وترغب أن تبقى لها ضيعة من الضيعات تسدد بمدخولها نفقات المسكن الجديد !

قال الأمير القائد :

ـ إن القصر قصرك. ومحتوياته هي من ملكك. والنفقات التي تحتاجين إليها يمكنك صرفها من مداخيلك وأملاكك. لن نحتفظ الا ببعض الأملاك التي يقتضي الأمن

العام الإحتفاظ بها.. أما أن أفترق في.. اشبيلية.. وليس هنا في ـ طليطلة ـ اطمئنى !

رف قلبها من السعادة، وامتلأت جوانحها بالشكر والحمد لهذا الرجل الشهم الكبير القلب، الذي لم يكن هو ولا رجاله من السلابين النهابين، كعادة المحاربين في كل أنحاء الدنيا. فطيلة الأيام التي مرت لم تمتد اليهم يد بسوء، مطلقا، ولم يسلبوا أي شيء هو في حوزتهم. بل أن الرجال لم يتجاوزوا أعتاب القصر الا مرة واحدة، عندما دخلوا لإخراج كل رجل قادر على حمل السلاح. وتركوا البقية من الشيوخ وكل النساء من مختلف الأعمار.

كل من في قصر مبتهج بتصرفات القائد الأكبر، الذي ترك لهم ظروف معيشتهم المعتادة. وأخذت الألسنة تلهج بالأقوال التي قالها، وتمثل الإشارات البديعة التي صدرت منه. وأدى الأمر إلى خلف الأساطير من حول هذا البطل. وربما كان للحسناوات دور في ذلك... أما الأميرة نفسها فقد تعددت أمامها أوصاف الأقارب والأباعد في حق هذا الرجل الشهم. ولم يكتم حتى الخدم إعجابهم به وقد كانوا يخدمونه خلال إقامته بـ ـ طليطلة ـ كما تكلمت الوصيفات بمثل ذلك. وهن ذوات عيون فاحصة، وآذان رهيفة، وشعور بلغ الحد الأقصى البعيد من الرقة والحذق... تحدثن عن كمال الرجل، عن بهائه الرجولي الأخاذ، وعن حضور شخصيته وتيقظه وفطنته، وتواضعه وعن تمسكه بالوقار وحسن السمت والاتزان.

عندئذ همس القلب، قلب ايخلونا.

ـ لا مضر من الواقع : زوجك رودريك مات، والحكم القوطي انتهى بموته. والعرب الآن هم القهارون المتحكمون وأولياء الأمر. ولن يزول حكمهم قريبا. لقد قيل أنهم جاءوا لينهبوا ويسلبوا ثم يعودوا من حيث أتوا. ولكن تأكد للخاص والعام أنهم جاءوا لنشر دينهم، واصلاح أحوال اسبانية. أن القوم ذوو سلوك حميد، وذوو همم عالية وإرادات طيبة... وهذا الأمير القائد خير من يمثل ذلك. أنه لم ينهب، ولم يثب وثوب الوحوش المفترسة. وإنما اتصل شريفا نبيلا. وانصرف كريما شهما. ثم أنه مارس سلطته على البلاد والناس بعفة وشهامة وأباء... أين هذا من انعزال «رودريك» ؟ ومن جفائه وخشونة طبعه. وتضايق أقربائه منه وتضايق أتباعه وخدامه... ومما زاد في الغضب عليه اطلاق أيدى حكامه في أفراد الشعب الإسباني، يستغلونهم أفظع استغلال. وذلك ما اضعف قوة الأمة أمام جحافل الفاتحين.

وبالنسبة لي أنا زوجته، لقد كنت بمثابة أرملة. فكأن رجولته مدفونة تحت الرماد. كان لا يجالس ولا يحادث، ولا يقول قوله من القولات التي تعجب النساء. فلعلني كنت في نظره مجرد قردة. التزمت بالمقومات الدينية، ولم أنسق مع المغريات كما انساق هو. إنني لم أنس قط حادثة.. فلورند، التي كانت في ظل رعايته، فحاول انتهاك عرضها. ما أقسى الذكريات...

على هذا، لماذا لا أخطب القائد عبد العزيز الأمير لنفسي ؟ لماذا لا أجعل نفسي في كنف رجولته القوية، وشهامته المعروفة ؟ انى أصارح هذا النفس بانني سحرت بمظهره الكريم الذي يملأ العين : قامة مديدة، وأكتاف عريضة، ووجه مليح منعم، تحيط به لحية سوداء قليلة الشبه باللحى عند الرجال...

هناك في اشبيلية لم تكن مجالس القائد الأمير عبد العزيز كلها حربية. فلقد كان للتسليات الفكرية والروحية بعض الأوقات، وهناك مجلس خصوصى للأمير عبد العزيز لا يشاركه فيه إلا هشام، صديقه وعزيزه ورفيق صباه، في أيام الدراسة، ومصاحبه في تنقلاته وإقاماته، ومشاركه في المعارك وقيادة المتعاركين. هذا الهشام قال لعبد العزيز :

ـ ان «ايخلونا» امرأة نادرة. انني على كثرة ما رأت عيني من النساء الحسناوات، سواء في ديار الشام أو المغرب، ومن منازل العرب أو البربر.. ما رأيت مثل هذه المرأة الفاتنة. انها أروع نموذج لجمال بنات الاسبان. وما أدراك ما جمال الاسبانيات !

ـ انها ربيبة ملك، وحاملة تاج. وسيدة قصر. وأميرة ذات صولة وجلال. انها كأنثى على درجة رفيعة ونادرة من الفتنة والجمال. تخطت سن الصبا الأرعن. وسن الفتوة المتقلب. وهي الآن في سن الشباب الناضج الحاذق الوافر الصحة المكتمل الحسن.. أظنها لا تصغرك الا قليلا ان لم تكن متساوية لك فيه.. ما قولك ! !

ـ لقد بهرتني. بهرتني في ثوب حدادها. لكن هل ترضى أن تتزوج عربيا. والعرب قد قتلوا زوجها ؟

ـ زوجها هو الذي اختار أن يذهب للقتال. مع أنه يعرف أن المعركة خاسرة. ان الذنب ذنبه. لا تتجاهل هذا يا صديقي. ثم أن المرأة هي المرأة. سواء أكانت أميرة ومن عامة الناس. تتصبر وتتصبر ثم تزيد وتتصبر.. لكن متى سنحت لها الفرصة فانها لا تفلتها. انك لو مددت إليها يدا لمدت اليك اليدين الإثنين معا. ولو تقربت منها خطوة لسارت اليك خطوات !

ـ قيل لي انها نصرانية متعصبة متشددة.

وأنت مسلم متمسك بدينك ومتشدد. والكلمة الأخيرة في المسألة لك لا لها. وسترى منك مثل ما رأينا من أوصاف يمتاز بها المسلم الصادق المخلص الصالح.. فعلى بركة الله... وكانت هذه الجلسة بين القائد الأمير عبد العزيز. وبين الصديق هشام آخر جلسات شخصين أعزبين... اذ سرعان ما تزوج عبد العزيز ايخلونا. وفي نفس اليوم تزوج هشام احدى الوصيفات الجميلات.

وانغمر الأمير القائد في أجواء عقيلته الجديدة «أم عاصم» الفاتنة. لقد وجد فيها الظرف المتناهي واللباقة الحلوة. والخبرة الزوجية العميقة والتعزيز الزوجي بلا حدود... لقد كانت سعادته بها عظيمة. وبذلك زادت صحته وفرة. واستقر باله هناءة. وتطور لباسه أناقة. وازدهى مجلسه فخامة.

ان لا ألذ على الأميرة (أم عاصم) من أن تعيش جو الفخامة. فهي تحب المائدة العامرة. ووسائل ذلك متوفرة. وتحب المجلس الفخم المريح الذي يسعد فيه الإختلاء والنجوى وأسباب ذلك لا تنقصها. وتؤمل لزوجها ولها مظاهر الملك والأبهة. وجلاله العظيم. وسوف تصل إلى هذه الغاية... فالأمير ودود سريع الإستجابة.

جاءته ـ ذات مساء ـ في لباسها الأميري القديم الثمين النادر في ثمانته. وعلى رأسها تاج فاخر جدا. لا يمكن أن يقدر بثمن. بعدما عدلوا لها شكل الصلبان التي كانت تزين جنباته. لا كرها في الصلبان مطلقا. إذ ما زال صليبها الذهبي مدسوسا بين ثيابها. ولا تنزعه الا في لحظات معينة. عندما تكون في خلوة مع زوجها المومن. مراعاة لأحاسيسه ومشاعره وخوالج سروره.. وفاجأته بأن طلبت منه أن يتوج رأسه بتاج من الذهب موروث عن الأسبقين. وذلك على عادة الملوك الأباطرة العظام. خصوصا وان صار ملكا فعليا لاسبانية. بغير مزاحم قريب. وبسطت راحتها العذبة بهذا التاج. وطلبت منه أن يضعه على رأسه فورا... وارضاء لها تناول التاج. وتمعن في صنعته الدقيقة الرائعة مليا. ثم أعاده إلى صندوقه في اعتناء. واعدا أياها أن ينظر في المسألة عند فرصة أخرى.

انه مأخوذ بهذه المرأة وسعيد. وتآلفه معها صار بلا حدود. واستقرار باله ونفسه لا يتزحزح إنما هناك ما يزعج البال. وما يزعج البال هو الأخبار التي تجيء مزعجة

من دمشق. عن التصرفات المشينة التي يمارسها الخليفة الأموي ضد والده المجاهد الكبير والقائد المحنك (موسى بن نصير).. ان الرجل يلاقي المهانة والعذاب والسجن على يد (أمير المومنين)، مع أن الخدمات التي أداها هذا الرجل للإسلام وأهله لا تقدر بثمن. ليس لها بين أعمال الرجال شبيه...

بلغ إلى علم الأميرة الحاذقة ما يلاقيه حموها. وساءها أن يتصرف الخليفة (سليمان بن عبد الملك) هذه التصرفات، ووجدت نفسها تعطف من كل قلبها على حميها البطل المغوار. الذي خلف من بعده هذا الرجل البطل المقدام النبيل. الذي هو الآن زوج لها. ونعم الزوج !

قالت له في عبارة عامرة بالصدق والإخلاص :

- إنني شرعيا وريثة العرش الإسباني. وأنت عمليا فاتح البلاد ووارث فاتحها. فالتحكم في الأمور بأيدينا. وتسييرها بإرادتنا وضميرنا.. فلماذا نعلق الأمور على هؤلاء على هؤلاء الأباعد. ونستمر في الولاء لهم. مع أنهم لا يقابلوننا الا بالاعتداء والإضرار والإهانة.. صفتي التاريخية. وصفتكم الدينية والدنيوية تخول - لنا معا - الإستقلال بالأمور كلها. وليفعلوا هناك ما يشاءون. واذا ما جاءوا فشجاعة جنودكم ونخوة جنودنا كفيلة بالوقوف الصارم في وجوههم.

- اتركينا من هذا الأمر يا (أم عاصم) ودعينا نصرف الأمور ما دمنا مكلفين بها. وعندما تنتهي مهمتنا بأمر من هذه الخليفة أو من غيره فسأنسحب. يكفينا عندئذ أن نعيش في هدوء وسلام.

- من يضمن لك ذلك ؟ يا عبد العزيز يا حبيب القلب ؟ من يضمن لك أن هؤلاء الناس الذين ترعى عهدهم سيتركوننا - أنا وأنت - نعيش في سلام ؟ أنهم حتما سيصفون الحساب معك ثم معي. ويروح هذا القصر وما فيه ومن فيه عرضة للنهب والسلب. ليس كل الناس مثلك يا عبد العزيز !

- «الله ولي الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون» صدق الله العظيم.

- أتركك في ظنك الجميل بالناس !

ومضت تلك الليلة في أحسن حال. حتى أن الأمير والأميرة حسباها من الليالي التي لم يسبق لها مثيل.

وعند الفجر قام الأمير فاستحم وتطيب. ثم توجه إلى المسجد لأداء صلاة الصبح. وأقمت الصلاة. فتقدم كالعادة ليؤم بالناس. كبر وتلا الفاتحة بترتيل وخشوع وتنغم. إذ كان مشغوفا بترتيل القرآن وتجويده والترنم به. وانتقل إلى السورة.. وهنا تقدم مبعوث خلافة دمشق. وغرز خنجره المسموم في جنب الأمير عبد العزيز فسقط في المحراب يتلوى من الألم. وينظر فزعا إلى يده. التي لا مس بها جنبه. وهي ملطخة بالدماء القانية الحارة...

وكسا العينين المفتحتين ما يشبه الضباب. وانحبس اللسان فلم يعد قادرا على الحديث مطلقا. وتمددت الرجلان إلى أقصى حد. وانبسطت الراحتان من هنا وهناك. في شبه تضرع إلى السماء. وفاضت الروح إلى بارئها !٪

الشاعر الوزير محمد ابن موسى دراسة في شعره

- 13 -

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

ثم ماذا عن القافية من حديث ؟ ان القافية في شعرنا تشكل وحدة موسيقية مع بقية وحدات البيت الموسيقية، وعلى رويها تبنى القصيدة وتنسب إليها. وله حروف تقع موقعا حسنا وتشيع جرسا حلوا في البيت كالهمزة والراء والدال واللام بعكس الثاء والخاء والذال والشين والظاء والغين فإنها تجرح الأذان لما تحتويه في نفسها من جفاف في الرنة.

ولا أعلم أن ابن موسى استعمل في شعره ـ حسب ماعندي من نصوص ـ هذه الأنواع من الحروف، مما يدل على أنه كان يتجنب الروي الذي لا يرضى عنه الذوق الشعري والحاسة الموسيقية. بالرغم من أن بعض الشعراء القدامى قد استعملوه كأبي تمام (1) مثلا في ثائيته التي يقول في مطلعها مادحا :

قف بالطلول الدراسـات علاثـا
أضحت حبال قطينهـن رثاثـا (2)

والبحتري (3) في ثائيته أيضا في هجاء (الجرجرائي) يقول في مطلعها :

طـال فـي هـذه الـسوادات لبثـي
واشتكائـي فيهـا غرامـي وبثي (4)

ومن الشعراء المحدثين من استعمل بعض هذه الحروف رويا كالشاعر العراقي (5) معروف الرصافي في قصيدته الغينية التي أرسلها وهو في الاستانة إلى محمد باقرحين أصدر جريدة البلاغ في بيروت يقول في مستهلها :

أباقـر لـم تـدع للقـوم عـذرا
بما أصدرت مـن حجج البـلاغ

---

1) مر التعريف به.
2) انظر ديوانه ص 51 ـ دار الفكر للجميع مراجعة د : محمد عزة نصر الله.
3) مر التعريف به.
4) انظر ديوانه ج 1 ص 395 تحقيق حسن كامل الصيرفي ـ دار المعارف 1963م.
5) شاعر العراق في عصره (1294 ـ 1364 = 1877 ـ 1945م) ولد ببغداد، ونشأ بالرصافة من أساتذته محمود شكري الألوسي، عين معلما بالمدرسة الملكية، انتقل إلى دمشق، ثم عين أستاذا للادب العربي في دار المعلمين بالقدس وعاد إلى بغداد وتقلب هناك في عدة وظائف. عرف شعره بالجزالة والقوة له ديوان مطبوع يضم شتى الأغراض ونتاجات نثرية انظر الزركلي (خير الدين) الاعلام ج 8 ص 184 ـ 185 ط 3 ومجلة الاديب ـ فبراير 1951م.

فقد صغت النصائح خالصات

فجاءت وهي فائقة المصاغ (6)

وكالشاعر العراقي عبد الحسين الحويزي (7) في قصيدته (هيفاء) يقول في أولها :

تبدت لنا هيف الرصافة و (الكرخ)

تميس بريعان الشبيبة والشرخ

تخايل بالابراد كبرا وتنثني

معاطفها بالدل والتيه والبذخ (8)

أن أمثال هذه الحروف قلما تقع موقعا حسنا في العمل الشعري، لكونها تكاد تخلو من الانسياب والرقة والجرس الحلو. الأمر الذي جعل شاعرنا يعزف عن استعمال الروي ذي السيء على الحالة الشعرية المتوفزة لتلقي ما يثرى توهجاتها و يخصب استعداداتها.

ولقد كان للقافية (9) دور ملحوظ في التشكيل الموسيقي عند ابن موسى. وآية ذلك أنها عملت على بلورة إحساسه الفني وجوائه النفسية عبر أضواء الرؤى المنبثقة عن التحام التجربة بالرؤية الشعرية والاداة الفنية. وعلى سبيل المثال قصيدته الرثائية في الفقيه السيد احمد الزواقي. شيخ الجماعة. وقد اختار لها حرف اللام رويا. واللام من الحروف (10) الذلقية : يعني مخرجها طرف اللسان وصفتها بين الشدة والرخوة. أدت المهمة خير أداء خصوصا بعد أن أمدها الشاعر بمد قبلها يسمى عند العروضيين (11) (ردفا) و بألف بعدها يسمى عند العروضيين أيضا (12) (وصلا) مما جعل القافية في الحقيقة تعبر عن خلجات الحزن تعبيرا صادقا يحمل في بوتقته هديرا لا يهدأ من الأنات قال :

قفا بمعاهد أمست ثكالى

كواسف من صروف الدهر بالا

ذواهل كلما خشعت لشجو

أباح الشجو للدمع انهما لا

ألا ترى معي أن (بالا) و (انهما لا) في البيتين تموج في أعماقهما الحزن وأن المد فيهما (الردف والوصل) قد تولى بلورة هذه العاطفة الشجية بما له من قدرة على كشف المكنون من العواطف.

وعلى سبيل المثال أيضا قصيدته تحت عنوان (أغنية الجمال) وقد كانت أول أمرها قطعة نثرية لجبران خليل

---

6) انظر ديوانه ج 1 ص 154 ـ ط 6 ـ 1379 هـ ـ 1959م.

7) شاعر عراقي (1287 ـ 1377 هـ = 1870 ـ 1957م) ولد في النجف الاشرف، وكان أبوه قد هاجر من (الحويزة) إلى العراق، تلمذ على ابراهيم الطباطبائي أشهر شعراء عصره، وأخذ شتى العلوم عن الشيخ هادي الطهراني، ولازم شيوخا آخرين درس عليهم العلوم الإسلامية والعربية له ديوان مطبوع، في شتى الأغراض انظر مقدمة الديوان ص 7 وما بعدها.

8) انظر ديوان ص 99 جمعه وعلق عليه حميد مجيد بعدو منشورات دار مكتبة الحياة عام 1964م.

9) اختلف في تعريف القافية وأصح الأقوال هو قول الخليل بأنها من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن وبعبارة أوضح هي الساكنان في آخر البيت مع ما بينهما من الاحرف المتحركة مع الحرف المتحرك الذي سبق الساكن الأول وقد رمزت إلى هذا التعريف بهذا الرمز مع ترك فراغ لما يمكن أن يوجد من متحرك (ـ 0 0) وذلك في مخطوطي (المعجم العروضي)، وللوقوف على التعريف السابق انظر مثلا الخطيب التبريزي (يحيى بن علي) الوافي في العروض والقوافي، تحقيق عمر يحيى وفخر الدين قباوه ص 220 وما بعدها ـ ط 1 ـ 1390 هـ 1970م.

10) يجمعها قولك (فر من لب) انظر مثلا القيسي مكي بن أبي طالب (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة) ص 115 تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات ـ دمشق 1393 ـ 1973م.

11) وهو ألف أو واو أو ياء سواكن قبل حرف الروي معه انظر التبريزي المصدر السابق ص 226.

12) هو الالف أو الواو أو الياء أو الهاء سواكن يتبعن ما قبلهن يعنى حرف الروي انظر التبريزي المصدر السابق ص 224.

جبران (13) سمعها الشاعر من إذاعة طنجة فدغدغت شعوره ثم خطها شعرا فجاءت رائعة أجمل من قطعة (14) جبران نفسها. وقد اصطفى (15) لها روي السين وهو من الحروف المهموسة (16) التي تجري مع النفس عند النطق به فتحدث جرسا خاصا في الاذن. سيما والقافية مطلقة يعنى محركة. والتحريك بالكسر يتولد عند وصل وهو الياء فيزداد بذلك جرس السين همسا حلوا بهذا المد يحمل في طياته عبر القصيدة كلها طاقة من الايحاءات النفسية المتولدة عن تكاثف الظلال الجمالية في التعبير الشعري قال :

أنا مذ كانت الحياة دليل الحب في غزوه وخمرة نفس

أنا للقلب راحة وعذاب

مستلذ يطيب وخزى كلمس

ألا ترى معي أيضا أن كلمتي (نفس) و (لمس) في البيتين تهمسان في رقة آسرة تمتد متألقة بامتداد حرف الوصل الياء المتولدة عن الكسر.

ولم يفت شاعرنا ابن موسى استعمال الروي الموصول بهاء الوصل. وهي في الواقع. تجعل القافية تزداد تألقا نغميا وأقدر على تقبل انسياب التجربة الشعرية. ولا أخفي أن هذه الهاء ولا سيما الساكنة تعجبني وتأخذ بلبي. إذ أجد فيها مغنى للبوح وواحة للراحة. ولست في هذا أنساق مع الخيال في تألقاته. كما قد يظن البعض. وإنما أبوح بما عايشته. ذلك أنني استعملت هذا الحرف غير ما مرة في شعري بعفوية ودون ما تعمل أو قصد تلبية لرغبة أكيدة. ولا أرتاب في أن ابن موسى نفسه قد راقه في بعض المواقف ست مرات في شعره ليس إلا. من ذلك قوله في مدح السلطان محمد الخامس رحمه الله وقد مر الحديث عنها.

أبى المجد إلا أن تقاد جنائبه

وتمرح في سرح المعالى نجائبه

وقوله في مدح السلطان عبد العزيز رحمه الله على لسان بعض الشرفاء العلويين :

سلا مربعا تسقى الربوع مناهله

فتربى على صوب العهاد سوائله

وقوله في مولديه :

حل ثغر الربيع عند افتراره

شنب عم وجهه بازدهاره

ورواه تجول فيه المآقى

فهي حيري في طرفه واحوراره

وقد عرفت في الشعر العربي ظاهرة (لزوم مالا يلزم) وهي التزام الشاعر حرفا أو أكثر قبل الروي. وهو ليس

---

13) جبران خليل جبران من أحفاد يوسف جبران الماروني البشعلاني اللبناني (1300 ـ 1349 هـ = 1883 ـ 1931م) من أشهر الكتاب المعاصرين المهجريين. ذو خيال خصب أصله من دمشق جاء أحد أجداده إلى بعلبك ثم إلى قرية (بشعلان) في لبنان تعلم ببيروت العربية وتثقف فيها وسافر إلى باريس وبها أخذ إجازة في فن التصوير وأقام بعد ذلك في أمريكا وتوفي بها ونقل رفاته إلى مسقط رأسه (بشرى) من كتبه (دمعة وابتسامة) و (الأرواح المتمردة) و (العواصف).

14) القطعة موجودة في المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ـ ص 340 قدم لها وأشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة ـ دار صادر.

15) قدم الشاعر لقصيدته بما يلي. (في مساء يوم الأربعاء زليخ الأنوار 1373 هـ موافق 11 نوفمبر 1953م أذاعت محطة إذاعة العربية بطنجة في برنامج (رياضة الأصابع) القطعة الآتية. ولا عجاب بمنحاها الشعري رأيت أن أنظمها في قطعة شعرية مع شيء من التغيير والبسط اقتضاهما الوزن والمناسبة والصناعة غير أني تعمدت تغيير الفقرة الثالثة بالأصل لأن طبعي لم يستسغ كون الجمال مأكولا والقلب آكلا فأبدلتها بما يظهر من المقابلة ونص القطعة المذاعة : أنا دليل الحب أنا خمرة النفس. أنا مأكل القلب. أنا وردة أفتح قلبي عند فتوة النهار إلخ) راجع القطعة في المجموعة المذكورة.

16) يجمعها قولك (سكت فحثه شخص) انظر القيسي (مكي بن أبي طالب) المصدر السابق ص 92.

بلازم. كان لها دور في إخصاب موسيقا القافية غير أنها تأتي متكلفة بينة الصنعة حين يلتزمها الشاعر في القصيدة الطويلة مما يجعله يستنفد قدرته ويقلص الظلال الجمالية فينقلب الطبع صنعة. وقد استعمله غير واحد من شعرائنا. منهم (17) الفرزدق في قوله يمدح (18) الحجاج ملتزما اللام قبل روى التاء.

لو ان طيرا كلفت مثل سيـــره

إلى واسط من إيليـاء لكلت (19)

غير أن (لزوم) مالا يلزم) ما اتخذ صورة الصرامة والصنعة البينة إلا على يد أبي العلاء المعري (20) حتى سمى قصائده التي التزم فيها مالا يلزم (اللزوميات). من ذلك قوله ملتزما الهمزة المضمومة مع الفاء.

ان الشبيبة نار ان أردت بهـــا

أمرا فبادره ان الدهر مطفئهـــا

أصاب جمري قر فانتبهـت لـــه

والنار تدفئ ضيقي حين أدفئها (21)

وحين نستقصي شعر ابن موسى باحثين عن ظاهرة (لزوم مالا يلزم) نجد أن شاعرنا لم يحفلها إلا في القليل النادر. وذلك في قطعة لاتتعدى سبعة أبيات التزم فيها حرف الراء قبل روي الباء والتزم بعد الباء هاء الوصل مما زاد القطعة جمالا موسيقيا. وهذه القطعة يستجيز فيها شيخه السيد أحمد البلغيثي سنة 1326 هـ بفاس. وقد مر الحديث عنها. يقول فيها :

أبدرا على أفق المعالي ففاخـرت

بهجته شرق البسيط مغاربـــه

ومن فض ختم المشكـلات وزانـه

كما شاء مستخفي القريض وساربه

وذلك أيضا في بعض أدوار قصيدته (مزدوجة الجناح الأخضر) كقوله. ملتزما الهمزة قبل روي اللام :

بين الرياض الغن والخمائـــــل

حيث الشذا مع النسيـم مائـــل

والهضب تبدي رقـة الشمائـــل

والطير بين هاتف وجائـــــل

حائرة في صنعة الخلاق

وكقوله ملتزما حرف الراء قبل روى الضاد :

ينفون عنه كل تحريف عـــرض

كذا انتحال المبطلين بالغـــرض

وكل تأويل به الجهـــل عـــرض

ما يفترى من في قلوبهم مـــرض

من شبه الغالين والفساق

---

(17) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي الشهير بالفرزدق (... 110 هـ - ... 728م) شاعر أموي من أهل البصرة من النبلاء، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل. كان لاينشد بين يدي الخلفاء إلا قاعدا له ديوان ضخم مطبوع توفي ببادية البصرة وقد شارف المئة. انظر الجاحظ (عمرو بن بحر) البيان والتبيين ج 1 ص 208، 209 و ص 321 وانظر ج 2 ص 181 تحقيق عبد السلام هارون - ط 1. وانظر ابن خلكان وفيات الأعيان ج 5 ص 135 وما بعدها.

(18) الحجاج بن يوسف الثقفي (40 - 95 هـ 660 - 714م) قائد من قواد الأمويين المشهورين وسفاك طاغية جبار، ولد ونشأ في الطائف كان من شرطة روح بن زنباع عبد الملك إلى أن قلده عبد الملك أمر عسكره قام بعدة حروب لصالح الأمويين إلى أن أصبح أميرا ذا حظوة انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ج 1 ص 341 وما بعدها.

(19) انظر ديوانه ص 116 - دار صادر (1386 هـ - 1966م).

(20) هو احمد بن عبد الله التنوخي المعري (363 هـ - 449 = 973 - 1057م) شاعر فيلسوف ولد ومات في معرة النعمان فقد البصر في الرابعة من عمره بسبب مرض الجدري وهو من بيت علم له دواوين شعرية منها (اللزوميات) و (سقط الزند) وله كتب من بينها (رسالة الغفران) انظر ابن خلكان ج 1 ص 94 وما بعدها.

(21) انظر اللزوميات ج 1 ص 49 - دار صادر .

وان ندرة وجود (لزوم ما يلزم) في شعر ابن موسى - حسب مالدي من نصوص - يؤكد أن حاسته الموسيقية لم تكن يروقها الاغراق في استعمال ذلك كيما يبعد عمله الشعري عن التكلف الممل، والصنعة الجافة التي تجني، بالقطع، على رقة الشعر وانسيابه، وتجعله المعنى بقول الشاعر :

إذا كنت لاتدري سوى الوزن وحده
فقل أنا وزان وما أنا شاعــــــر

والقافية بعد هذا في الشعر العربي قسمان : مطلقة ومقيدة، أما المطلقة فهي التي يكون فيها الروي متحركا يتولد عنه (وصل)، أو تلحقه هاء الوصل، أما المقيدة فهي التي يكون الروي ساكنا، فهل اهتم شاعرنا بكلا القسمين أم اقتصر على قسم واحد ؟ لقد اهتم شاعرنا بكلا القسمين إلا أن القسم الأول - يعني القافية المطلقة - احتل من اهتمامه مساحة شاسعة الأطراف على حين القسم الثاني - يعنى القافية المقيدة - احتل من اهتمامه مساحة ضيقة جدا، ومن القافية المقيدة قوله من الكامل:

أهــلا بوافــدة الهنــــــــاء
تختــــال فـــي بــرد السنــــاء

فواحــــــــة الأردان فــــــي
صبـــح المحاســــن والمســـاء

ولعل ندرة القافية المقيدة في شعر ابن موسى يرجع إلى أن هذا النوع من القافية نفسه قليل التداول في الشعر العربي إذ أنه لا يكاد يتعدى 10 ٪ (22) منه بالإضافة إلى أن القافية المطلقة - في نظري - من الناحية الصوتية تساعد الشاعر على مد الصوت سيما في الأغراض الجادة،وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل القافية المقيدة تزدهر أكثر في العصر العباسي حين انتشر الغناء فيوجد في هذا الصنف من القوافي بغيته الطيعة فليس ببعيد أن يكون ابن موسى آثر لهذا كله القافية المطلقة في كثير من المواقف الشعرية.

وإذا كان للشعر العربي قافيتان : مطلقة ومقيدة فإن له أنواعا خمسة من القوافي (23) من حيث الحركات هي :

1 - المتكاوس وهو ما جتمعت فيه أربع حركات متوالية بين ساكنين في آخرالبيت ومثاله قول العجاج، (24).

قد جبر الدين الاله فجبر (25)

فالقافية حسب التعريف الذي أشرنا إليه سالفا في الهامش، في قول العجاج هي (لاه فجبر) تبدأ من لا وألف من (الإله) إلى الراء وما بين الالف والراء أربع متحركات ورمز ذلك هو (- 0 - - - - 0).

2 - المتراكب وهو ثلاث حركات بين ساكنين في آخر البيت ومثاله قول دريد بن الصمة (26).

---

22) انظر أنيس (ابراهيم) موسيقا الشعر ص 260.

23) انظر الحديث عن هذه الأنواع عند التبريزي، الوافي في العروض والقوافي ص 218 وما بعدها وعند الشنتريني (محمد بن عبد الملك) المعيار في أوزان الأشعار ص 99 وما بعدها - ط 2 - تحقيق الدكتور رضوان الداية.

24) هو عبد الله بن رؤبة السعدي التيمي (... نحو 90 هـ = .. 708م) شاعر راجز مجيد عاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك وهو والد رؤبة الشاعر الراجز أيضا له ديوان شعر انظر ابن قتيبة الشعر والشعراء ج 2 ص 493 والمرزباني الموشح ص 636 وما بعدها.

25) مطلع أرجوزة مدح بها عمر ابن عبيد الله بن معمر (22 - 82 هـ = 642 - 701م) من القواد الشجعان على عهد عبد الملك بن مروان انظر الزبيري (مصعب) نسب قريش ص 189 طبعة مصر 1953م.

26) دريد بن الصمة الجشمي البكري (... 8 هـ - 630م) شاعر من المعمرين في الجاهلية اشتهر بالشجاعة، كان سيد بني جشم وفارسهم وغزا عدة غزوات، أدرك الإسلام ولم يسلم انظر الاصفهاني (أبو الفرج) الاغاني ج 10 ص 3 طبعة دار الكتب.

يا ليتنـــي فيهـــا جـــــذع

أخـب فيهـــا وأضــــــع (27)

فالقافية في البيت هي (ها وأضع)، ما بين الالف الساكنة والعين الساكنة ثلاث حركات. ورمز ذلك (ـ 0 ـ ـ ـ 0).

3 ـ المتدارك وهو ما اجتمعت في آخره حركتان بين ساكنين مثاله قول دريد بن الصمة في صدر البيت السابق.

ياليتنــي فيهــا جــذع

فالقافية في البيت هي (ها جذع)، ما بين الالف الساكنة والعين الساكنة حركتان ورمزه ذلك (ـ 0 ـ ـ 0) وكقول أمرىء القيس (28).

قفا نبكـي من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل (29)

فالقافية في البيت هي (حوملى) ما بين الحاء وحرف الياء الناشيء عن إشباع الحركة والمسمى الوصل حركتان ورمزه هو (ـ 0 ـ ـ 0)

4 ـ المتواتر وهو حرف متحرك بين ساكنين مثاله قول الخنساء (30).

يذكرني طلوع الشمس صخــرا

وأذكره لكل غروب شمــس (31)

فالقافية في البيت هي (الشمس)، السين بين الوصل والميم رمزها (ـ 0 ـ 0).

5 ـ المترادف هو ما اجتمع فيه في آخره ساكنان ويكون في القوافي المقيدة وقد رمزت لذلك بهذه الرموز (0 ' 0) مثاله قول حسان بن ثابت الأنصاري (32).

ما هاج حسان رسوم المشـــــام

ومظعن الحي ومبنى الخيام (33)

فالقافية في البيت (يام) رمزه (ـ 0 ' 0).

ويلحظ بعد هذا من له إحساس موسيقي ان هذه الأنواع من القوافي تتجاوب في تضاعيفها ذبذبات صوتيه تشكل نبرات إيقاعية جميلة تأتلق جمالا. وحين نستعرض شعر شاعرنا نجده قد احتوى هذه الأنواع كلها مما جعل شعره يؤلف في قوافيه تشكيلات موسيقية تضفي على

---

27) البيت في المصدر السابق ج 10 ص 3.

28) أمرؤ القيس بن حجر الكندي (نحو 130 ـ 80 ق.هـ = 497ـ595م) يماني الأصل شاعر جاهلي مشهور، زعيم الغزل المفضوح، كان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر، له ديوان صغير انظر الاصفهاني المصدر السابق ج 9 ص 77 وانظر ابن قتيبة الشعر والشعراء ج 1 ص 50 وما بعدها وانظر ابن سلام الجمحي (محم) طبقات الشعراء ص 25 وما بعدها ـ دار الفكر الجميع.

29) هو مطلع معلقته المشهورة انظر الزوزني (الحسين) شرح المعلقات السبع ص 7 ـ ط 3 ـ 1973م ـ دار البيان.

30) هي تماضر بنت عمرو من بني سليم (... ـ 24 هـ = ... 645م) من أشهر شواعر العرب أدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم، حرضت بنيها على الجهاد في حرب القادسية حتى استشهدوا فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، لها ديوان شعر أجوده في رثاء أخويها. انظر ابن قتيبة الشعر والشعراء ج 1 ص 260 وما بعدها. وانظر السيوطي (جلال الدين) شرح شواهد المغنى ص 89 ـ ط مصر 1322 هـ.

31) ورد البيت في كتاب الخنساء فصل منتخبات من شعرها ص 120 للدكتورة بنت الشاطىء ـ سلسلة نوابغ الفكر العربي ـ مارس 1957م.

32) مر التعريف به.

33) البيت بديوانه 626 دار صادر ـ بيروت 1386 هـ ـ 1966م.

البيت ألفا من الرواء الآسر الاخاذ. فمن المتكاوس قوله في مزدوجة (الجناح الأخضر).

لا يجهل الانصاف منكم خلـــق
ولا تمكم بالســـواء طـــرق

فالقافية في البيت هي (واء طرقو) رمزها (ـ 0 ـ ـ ـ ـ 0). ومن المتراكب قوله في مطلع مولديه ،

وأهل لعهد بأكناف الحمى سلفـا
لم استطب أسفا من بعده خلفـا

فالقافية في البيت هي (هي خلفا) رمزها (ـ 0 ـ ـ ـ 0). ومن المتدارك قوله من قطعة جميلة تعليقا على قصيدة العالم الشاعر ماء العينين ولد سيدي محمد العتيق وقد سبق الالماع إليها ،

على وجهها من شارة الحسن شامة
تدافع عينا بالتي هـــي أجمـل

فالقافية في البيت هي (أجملو) رمزها (ـ 0 ـ ـ 0). ومن المتواتر قوله من مولدية جميلة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ،

جاء بالمعجزات والشرك داج
تنتحيه من صبحها بانفـــلاق

فالقافية في البيت هي (لاقى) رمزها (ـ 0 ـ 0). ومن المترادف قوله من قصيدة أرسلها لصديق له ،

فاصفـح أخـي عـن عجزهـــا
وامـدد صديقـك بالدعــاء

فالقافية في البيت هي (عاء) رمزها (ـ 0 0).

وننبه بالإضافة إلى ما سلف أن المتكاوس نادر في شعره. وما ذلك إلا لأن توالي أربع حركات في القوافي قليل. وأن المترادف كذلك نادر في شعره وما ذلك إلا لكون المترادف خاص بالقوافي المقيدة وقد تحدثنا سالفا عن القوافي المقيدة بما فيه الكفاية فلا نحتاج إلى بسط الكلام عن ذلك بالبحث والتحليل.

الحلقة الأخيرة في العدد القادم

د. محمد الحبيب بلخوجة مفتي تونس

السنة وأنواع الكتب الحديثة

في عدد قادم

ملامح من حياة

الفقيه المؤرخ محمد بن أحمد العبدي الكانوني

(1938-1893 • 1357-1311)

-6-

للأستاذ محمد ابن عبد العزيز الدباغ

إن دراسة النشاط الفكري في المغرب تحتاج إلى اهتمامات كبيرة من قبل المؤرخين والأدباء والعلماء لا لتجديد تاريخ الفكر فقط وإنما لمحاولة تجديد الفكر ذاته وتجديد منهجيته عبر العصور والأزمان ويحتاج هذا العمل إلى مساهمة فعالة من قبل عدد كبير من رجال العلم والأدب حسب اختصاصاتهم ليوضحوا القيمة الكبرى التي شارك بها المغرب في سلم الحضارة البشرية وفي تطور الثقافة الإنسانية كما يحتاج إلى تعبئة عملية توضح خصائص هذا الفكر وتبين المؤثرات الأساسية في وضعه سواء من الناحية النظرية أو من الناحية العملية. ولهذا أرى أن مهمة المثقف المغربي المعاصر لاتقتصر على الجانب الإبداعي بل تتعدى ذلك إلى الجانب الوصفي المتصل بالمضمون العام للإنتاج ليصبح معروفا ويصير متداولا فالجهل بالمضمون هو الذي جعل عددا من الذين يقرؤون تاريخنا الفكري لايستطيعون تحديد ملامحه ولا إبراز مقاصده في حين أنهم لو تحدثوا عن تراجيم الرجال وعن تعداد مؤلفاتهم لوجدتهم على خبرة بذلك ولكنها خبرة سطحية لاتتعدى اجترار ماعند غيرهم ولم ينج من هؤلاء إلا فئة واعية أرى أن الأستاذ العالم محمد بن أحمد العبدي الكانوني يدخل في زمرتها ويعد نموذجا مثاليا لأعلامها.

ونحن لاننكر الفائدة من الطريقة القديمة ولكن على أن تكون موجهة ومنبهة ومساعدة على الاطلاع على المصادر والأصول. أما بالنسبة إلى العمق الدراسي لمعرفة الفحوى وللاطلاع على المقاصد فإن ذلك لايتأتى إلا بدراسة الأفكار وتحليل النصوص وشرح الكتب والعمل على المقارنة بينها وبين غيرها وعلى الربط بين فحواها وبين واقع الحياة.

وهذه الطريقة الثانية هي التي يحتاج إليها المغرب الآن ليستطيع بها الاستفادة من الوثائق وليستغلها للمنفعة العامة ويمكننا أن نقول إنها الطريقة التي يجب أن تواكب الطريقة الأولى ليلا يقع تضخم في التعريف بالوثائق ونضوب في دراستها وتحليلها وتعميم الفائدة منها.

إن الذي يفيد في العمق الدراسي لهو استيعاب الأهداف ليكون ذلك منطلقا إلى المعرفة الخصبة المنتجة التي تجعل من الناقد إنسانا لايبني أحكامه على أهوام ولا

يتحدث عن جهل ولا يقتصر على ترداد ماردده السابقون خيرا كان أو شرا بل يستخدم عقله للبلوغ إلى الحقيقة المرجوة ويستعمل وسائل البحث العادي ليشرك الناس في مقدماته ونتائجه. فالعاقل من الكتاب هو الذي يتصور القراء متوفرين على قسط من المعرفة والذكاء وحب الاستطلاع ويعتبرهم ذوي قدرة على التمييز بين الجيد والرديء ويملكون من مؤهلات النقد ومؤهلات المعرفة ما يبيح لهم أن يناقشوه وأن يحاسبوه على ما ينتزع من أوقاتهم فهم ليسوا ملكا له يتصرف فيهم كما يشاء.

وعلى أساس هاته النظرة ينبغي احترام من نكتب لهم ليقرؤا أو من تديع عليهم ليسمعوا فالوقت ثمين وما أضيع العمر الذي يذهب سدى.

وبناء على هاته الطريقة التي شرحناها وأبدينا وجهة نظرنا فيها نكون مضطرين إلى عدم الاكتفاء بما ذكرناه في بعض مقالاتنا السابقة حينما ذكرنا مؤلفات الكانوني وسجلنا عناوينها سواء ماطبع منها أو ما زال مخطوطا إذ لابد من العمل على شرح مضمونها وإبداء الرأي فيها مع ذكر المنهجية التي سار عليها المؤلف في طريقة تأليفه وذكر المصادر التي اعتمد عليها وسأجعل كتاب آسفي وما إليه قديما وحديثا أول كتاب أتناوله بالبحث والتحليل.

ومن المعلوم أن هذا الكتاب قد بني على منهجية علمية واضحة المعالم تحدث فيه أولا على حدود المغرب وانتقل من ذلك إلى تحديد موقع دكالة نظرا لارتباطها بالموضوع الذي سيتحدث عنه ثم تحدث عن بيوتاتها وعن موجة العرب التي دخلت إلى المغرب أيام الموحدين ثم تحدث بعد ذلك عن المدن والمراسي بهذا القطر الجنوبي المصمودي ثم انتقل إلى القسم الأول المتعلق بتاريخ آسفي التأسيسي وتحدث في هذا الباب عن المساجد والزوايا والرباطات وعن المستشفيات وعن الآثار الخيرية والملاجىء وعن بيوتات آسفي ثم تحدث عن الحالة العلمية والأدبية منذ صدر الإسلام إلى عهد السلطان سيدي محمد بن يوسف رحمه الله وجره البحث إلى التحدث عن الصناعة والتجارة والزراعة وذكر المعادن وبذلك ختم هذا القسم من كتابه.

ومن خلال هذا التقسيم يتضح لنا أن الاهتمام في الجزء المطبوع قد انصب على الجانب الحضاري ولم ينصب على الجانب السياسي لأنه قد خصص له قسما مستقلا كما خصص قسما آخرا لتراجم الرجال ويتضح هذا التقسيم في قوله :

«سيكون الكتاب بحول الله منقسما إلى ثلاثة أقسام :

1 ـ في تاريخ آسفي التأسيسي وأطواره قبل الإسلام وبعده وأسواره ومحارسه ومساجده ورباطاته ومستشفياته وآثاره الخيرية وبناءاته القديمة وبيوتات أهله وأحوالهم العلمية والمدارس والمكاتب والحالة الأخلاقية والاقتصادية وغير ذلك.

2 ـ تاريخه السياسي وما إليه من الحوادث.

3 ـ تاريخ حياة رجاله من أهل العلم والصلاح والسياسة وغيرهم من ذوي الحيثيات النابغين فيه أو حوله أو الداخلين إليه من غير أهله يضم هذا القسم نحو سبعمائة ترجمة فأكثر».

ومن المعلوم أن هذا التصميم حسب ما أرى لم يكن تصورا سابقا للمعرفة العامة التي دفعت هذا الكاتب لتأليف كتابه بل إن الميسرات الفكرية والاستعدادات الذاتية واعجابه باقليمه المجاهد طوال مجرى التاريخ جعلت هذا الرجل يطلع على أكبر عدد من الكتب المطبوعة والمخطوطة وتوجهت عنايته إلى ربط هاته القراءات

بتدوين تاريخ لبلاده يحيي ما للسلف من فضل ويعيد به ذكرى الآباء والأجداد ولهذا قال في مقدمة كتابه : «أما بعد فإن للسلف على الخلف من الحقوق مالا يسعه إلا الشكر وحسن القضاء . وللوطن على المرء من الواجبات مالا يسعه إلا الشكر وحسن القضاء. وللوطن على المرء من الواجبات مالا يجوز في حقه الاعراض عنه أو الاغضاء إذ للأول فضيلة السبقية لتمهيد طريق الحياة والسبب في الوجود وللثاني مزية المثوى فيه والتمتع منه بكل موجود وما أحسن قول الحكماء إن من علامة الرشد أن تكون النفوس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها تواقة.

وحيث كانت أسفي وما إليها هي بلادي وموضع طارفي وتلادي.

بلادي بها نيطت علي تمائمي

وأول أرض مس جلدي ترابها

جمعت ماعثرت عليه من تاريخها ونسقت ما وقفت عليه من درر آثارها قياما بذلك الواجب الأقدس وأداء لبعض الحق المفترض شاكرا مساعي السادات الأجلاء الذين آزروني في العمل ومدوا إلي يد المساعدة بكل مالديهم من معونة...

والواقع أننا من خلال قراءتنا للكتاب نجده حريصا على المعرفة ونجده يسجل من حين لآخر ما ساعده به بعض إخوانه وما أجابه به بعض العلماء وما أطلع عليه من آثار وما حرص على تسجيله من أخبار ويشير أحيانا إلى بعض الخزانات وما فيها من كتب أو إلى بعض الكتب وما عليها من تحقيقات. ورأيت استتماما للفائدة أن أدون بعض ما اعتمد عليه من مصادر ليكون ذلك مدعاة إلى معرفة أصول هذا الكتاب وإلى معرفة الجهود التي بذلها هذا المؤلف في كل باب وسأرتبها حسب الترتيب الأبجدي وقد أضيف إليها بعض التعليقات مستعينا في ذلك بكتاب دليل مؤرخ المغرب الأقصى للفقيه المؤرخ السيد عبد السلام ابن سودة رحمه الله.

وإليكم هذه المصادر :

1 - اتحاف اعلام الناس لأبي زيد عبد الرحمن بن زيدان.

2 - إرشاد السائل إلى معرفة جهة القبلة بالدلائل للقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز الأندلسي الأسفي وقد يرد أحيانا مختصرا فيقال إرشاد السائل.

3 - الإصابة للشهاب ابن صحر.

4 - الاقنوم في مبادىء العلوم لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي.

5 - أنس الفقير للعلامة القسطنيني (1).

6 - البدور الضاوية للنقيب العلمي (2).

7 - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد للكاتب المؤرخ أبي زكرياء يحيى بن خلدون أخي صاحب العبر.

8 - تاريخ الجزائر للأستاذ الشيخ مبارك الميلي.

9 - تاريخ ابن خلدون.

10 - تاريخ مرمول.

11 - الترجمان المعرب للزياني.

12 - الترجمانة الكبرى للزياني.

13 - التشوف للتادلي.

14 - تقويم البلدان لأبي الفداء.

15 - جغرافية الوزان الفاسي.

---

1) هو أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفد المتوفى سنة 810 هجرية.

2) المراد به أبو الربيع سليمان الحوات الحسني المتوفى سنة 1232 هـ واسم كتابه الكامل : البدور الضاوية في التعريف بسادات أهل الزاوية الدلائية.

16 ـ جمهرة ابن حزم.

17 ـ الحلل الموشية لابن سماك العامري.

18 ـ دوحة الناشر لابن عسكر.

19 ـ رحلة الشهاب أحمد الحجري المعروف بأفوغاي (القرن العاشر).

20 ـ الروض المعطار لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري.

21 ـ الروضة المقصودة للأديب المؤرخ أبي الربيع سليمان الحوات (3).

22 ـ زهر البستان للفقيه أبي عبد الله محمد العياشي (4).

23 ـ سلسلة الذهب المنقود لأبي العباس أحمد بن ابراهيم المشترائي.

24 ـ الشذرات لعبد الحي بن العماد.

25 ـ شرح الشيخ مرتضى على القاموس.

26 ـ صبح الأعشى للقلقشندي.

27 ـ طلعة المشتري في تحقيق النسب الجعفري لأبي العباس الناصري.

28 ـ العقود الوسطى لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم العبدوني (5).

29 ـ الفوائد الجمة في اسناد علوم الامة للإمام أبي زيد عبد الرحمن التمنرتي.

30 ـ القاموس للفيروزبادي.

31 ـ اقتباس الأنوار لأبي محمد الرشاطي.

32 ـ القرطاس لابن أبي زرع.

33 ـ كتاب الجمان في أخبار الزمان للشطيبي.

34 ـ كتاب القصد والأمم في أنساب العرب والعجم للحافظ أبي عمر بن عبد البر.

35 ـ المسالك لأبي عبيد البكري.

36 ـ المسند الصحيح الحسن في مآثر السلطان أبي الحسن لأبي عبد الله محمد بن مرزوق.

37 ـ المعجب لعبد الواحد المراكشي.

38 ـ معجم البلدان لياقوت الحموي.

39 ـ معيار الاختيار في ذكر المعاهد والآثار لابن الخطيب (6).

40 ـ معاني الوفاء لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني.

41 ـ مقدمة ابن خلدون.

42 ـ منجم العمران لمحمد امين.

43 ـ نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار (رحلة الوريتلاني) لأبي الثناء محمود الصفاقسي.

---

3) اسم الكتاب الكامل هو الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة.

4) هو أبو عبد الله محمد العياشي المكناسي المتوفى سنة 1139 هـ واسم الكتاب الكامل هو زهر البستان في أخبار مولانا زيدان والمراد به زيدان بن المولى اسماعيل المتوفي سنة 1119 هجرية تكلم فيه على نسب سفيان وتطوراتهم مع الدولة المرينية والسعدية والسادات العلويين لكون قبيلة سفيان أخواله.

5) ذكره ابن سودة في كتاب الدليل بالعيدوني بالياء المثناة من أسفل لابالباء الموحدة وسمى الكتاب بيتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد المعطي ومناقب أبيه محمد صالح الطيب الشيم والخطا ومناقب آبائهما وأجدادهما المشهورين بين صلحاء المغرب بالولاية والصلاح وكمال التصرف في الأخذ والعطاء عرف فيه بالشيخ الجليل صاحب كتاب الذخيرة أبي عبد الله محمد المعطي بن الشيخ محمد الشرقاوي العمراوي المتوفي سنة 1180 هـ موافق 1766م.

6) سماه ابن سودة معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار وقال عنه رتبه على قسمين : القسم الأول في وصف مدن الفردوس المفقود القطر الشقيق الأندلس والثاني في وصف بلاد المغرب الأقصى وصفا كافيا بعدوته لفظ وسلامة أسلوب طبع بفاس على الحروف سنة 1907.

44 ـ نزهة الحادي لليفرني.

45 ـ نزهة المشتاق للإدريسي قال عنه انتهى منه سنة 549 هـ.

46 ـ نسيم الرياض للشهاب الخفاجي.

47 ـ نشر المثاني للقادري.

48 ـ نفاضة الجراب فيمن جمعني وإياه الاغتراب لابن الخطيب.

49 ـ نفح الطيب للمقري.

50 ـ الوسيط في أدباء شنجيط لأحمد الأمين.

ولقد أضاف لهذه الكتب ذكر كثير من المؤرخين اعتمادا على شهرتهم أو على ارتباطهم بكتب اشتهروا بها.

وعلى كل حال فإن هاته المصادر التي سجلناها أو المصادر التي أهملنا ذكرها لم تكن سلبية في حياة الكاتب فهو كان يذكرها عند الحاجة ويأخذ منها ما يريد الاستدلال به مباشرة أو بواسطة نقل غيره بحيث كان يتحرى الدقة في ذلك وكان يعدد استدلالاته ويوازن بينها ويناقش أصحابها ويجعلك تعيش الموضوع وتحياه فلا تشعر بتلغب البحث الاكاديمي ولا سيطرة العنصر الذاتي وبذلك يمكن القول بأن منهجية الكانوني رحمه الله في البحث والتأليف منهجية تعين من يقرأ كتبه على التمكن من طريقة تجمع بين استخدام العقل واستنطاق النصوص وهي طريقة لاتهمل الواقع ولا تهمل القانون العلمي زيادة على أنها لاتهمل الانطباع الذاتي حول الواقع الذي يحياه المؤلف حول ما بيده من الوثائق التي تساعده على البحث وتيسر له البلوغ إلى النتائج المتوخاة.

وانطلاقا من منهجيته ومن معلوماته ومن تأثراته بمحيطه العلمي والأخلاقي سنتولى الحديث فيما يستقبل عن هذا الكتاب أملا في الوصول إلى دراسة غيره من الكتب إن شاء الله.

فاس : **محمد بن عبد العزيز الدباغ**

ثلاثة أعضاء جدد في أكاديمية المملكة المغربية

●● عين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ثلاثة من خيرة علماء المغرب ومفكريه المصلحين أعضاء في أكاديمية المملكة المغربية. وأعلن عن ذلك في اجتماع الدورة العامة الثانية لسنة 1981 التي انعقدت بالرباط يوم الجمعة 29 محرم 1402.

والأعضاء الجدد هم السادة الأساتذة الأجلاء :

ـ أبو بكر القادري.

ـ الحاج أحمد بن شقرون.

ـ عبد الله الكرسيفي.

(دعوة الحق) تهنىء الأساتذة الكرام، متمنية لهم المزيد من التوفيق وإطراد النجاح في مهامهم العلمية ورسالتهم الثقافية والفكرية ●

قصة قصيرة

رحلة استجمام

للأستاذة ليلى ابوزيد

التصقت شمس يونيو بحافة السماء. بردت وخفت سطعانها فبدت، وقد أمكن التحديق فيها صحيفة حمراء تضيء حقول القمح.. لف الدنيا سلام تخلله حفيف السنابل اليابسة كلما تحرك النسيم. وعبر تموجات الحقول بدت أشكال بشرية في هيأة حصادين. ثم رجع الهدوء حس نشيد بعيد مضى يتجلى مع اقتراب سرب تلميذات تبرز رؤوسهن ثم تغوص بين السنابل.

اتبعن وسط الحقول مسلكا دكته مع الأيام الدواب والمشاة. ومررن بالحصادين فانقطع النشيد وتوقفت المناجل. وقال أحد الرجال ؛

ـ أمسكتكن المعلمة اليوم.

وعقب آخر ؛

ـ سجنتهن على المشاغبة أو الكسل.

فخرج الكلام من أفواههن يدفع بعضه بعضا في غضب واباء ؛

ـ بل تأخرنا في حفلة رأس السنة.

قال الأول ؛

ـ وأنا الذي أتساءل عن سر الاناقة.

بدت التلميذات بالفعل في لباس العيد وظهر عليهن السرور.

عاد الثاني يسأل ؛

ـ وهل نجحتن في الامتحان ؟

أجبن بصوت واحد ؛

ـ ننتقل كلنا إلى الا بتدائي الثاني.

فمضى إلى قفة واخرج منها مجموعات من السنابل المحبوكة. وزعها عليهن وهو يقول ضاحكا ؛

ـ هدية النجاح. من إنتاج «الحسين وشركاؤه» صنعا وتصنيعا.

فشكرنه وانصرفن. وكلما وصلت إحداهن بيتها ودعت وانسحبت إلى أن لم يبق أحد.

•••

اندفعت آخر البنات إلى البيت وعلى مقربة منه ترعى البقرة ويلعب إخوتها الصغار. فتحت الباب بعنف حتى التصقت دفته بالجدار واندفعت إلى الداخل كالقذيفة فتطاير الدجاج.

وقالت أمها في تعنيف ،

ـ هذا فرعون قد عاد من المدرسة.

ثم في لين ،

ـ يا رقية ارفقي بنفسك. انها ستحاسبك يوم القيامة.

مرت كالسهم إلى الحمام بدأت تقول ،

ـ أخذنا العطلة واحتفلنا ونجحت وسلمتنا المعلمة كنانيش الامتحان.

ثم أقبلت تترنم بلحن النشيد حتى دخلت الحجرة فوقف اللحن في حلقها.

قالت أمها ،

ـ سلمي على ابنة عمك.

ولكنها تصلبت فحثتها بصرامة ،

ـ هيا ؟

تقدمت متلكئة وقبلتها بدون حرارة ثم جلست. وساد الصمت حتى أوضح صوت الشاي. تصبه لها أمها. ورفع الحرج درجات فلم تجد الطفلتان بدا من الانشغال بحركات المرأة وهي تتناول من طبق الدوم بجانبها رغيفا ملفوفا في منديل صوف داكن. تكسر منه قطعة تمدها إلى ابنتها وتعيده إلى مكانه.

بذلت رقية جهودا لعدم اظهار الاهتمام ولكنه غلبها فجعلت تسترق النظر. الضيفة في مثل سنها وقامتها ونحافتها. إلا أن شعرها هي مقصوص. تلبس «جينز» جديدا وقميصا مخططا وتنظر إلى زهرة مرسومة على قماش مخدة زاهية الألوان.

وحملت المرأة الصينية فتبعتها ابنتها تسأل في صوت خافت ،

ـ متى وصلت ؟ من جاء بها ؟ متى ترحل ؟

التفتت إليها أمها بشدة وقالت في صوت صارم ومنخفض ،

ـ لن يتكرر وجع الراس. اني احذرك. الله يكافىء من خلق العطل المدرسية.

وهمت رقية بالخروج وهي تقول في غيظ ،

ـ الله يكافؤه ؟ فلولاها لما أقام أحد عند أحد. إخ كنا مرتاحين.

ولكن أمها امسكتها من ذراعها وقالت ،

ـ البغض والضغينة على صغركما. لماذا ؟ كأن بينكما ارثا.

انتترت منها رقية وحثت الخطى إلى الخارج وقد استبد بها الغضب وجلست على عتبة الدار وأخذت تقذف الدجاج بالحجارة.

• • •

جاءت أمها لتدخل البقرة فافسحت لهما دون أن تتكلم وظلت في مكانها تسند ظهرها إلى الجدار وتنظر إلى الطريق حتى عمته العتمة. ثم سرعان ما ردد الليل نباح الكلاب ونقيق الضفاضع وصياح الصراصير. ومع الوقت صفت نفسها فدخلت. وجاءت أمها بأدوات الشاي والموقد والغلاية ووضعت طبق الخبز فوق الحصير وحملت اخوتها وقد تكوروا حينما أدركهم النوم ثم بدأت القعدة وقد انضمت إليها الليلة الضيفة الصغيرة.

في العادة تمضي السهرة فيما تقصه الأم من حكايات شيقة ومخيفة أو ذكريات خاصة دأبت رقية على ارجاع البهيج منها إلى الطفولة والحاق الاليم بفترة ما بعد الزواج. من هذه الجلسات عرفت تاريخ أمها بيد أن أباها ظل بعيدا ومجهولا لا تعرف عنه إلا مجونه. لما ترويه أمها. ودأبه على السهر في القرية ورجوعه في آخر الليل على الدوام.

وسألت الأم سؤالها المألوف ،

ـ أغلقت باب الدار ؟

فهزت رقية رأسها بالإيجاب.

وعادت تقول :

ـ الله هو الذي يحمينا وليس الباب.

ادخل هذا الكلام القلق على الضيفة فسألت بعد حين

ـ ألا تخافون يا خالتي ؟

قالت المرأة :

اسألي رقية. في كل ليلة ينام الصغار ونبقى وحدنا..

هي التي تفتح لأبيها في الظلام وتنام بمفردها..

منذ كانت صغيرة. نفسها قوية لا تخاف .

انتفخت رقية كالديك الرومي وقالت لأمها :

ـ تذكرين يوم دخل علينا اللصوص ؟

فقالت الأم :

ـ رقية هي التي شعرت بهم.

وأكملت رقية تخاطب أمها ولا تقصد في الواقع إلا أسماع ابنة عمها :

ـ كنت أترقب عودة أبي وأذني على الباب فسمعت خشخشة في الحوش ايقنت أنها خطوات على أوراق الكرم الجافة.

فقاطعتها الأم :

ـ حين تأخذ أوراق الكرم في التساقط لا ينفع فيها كنس كالنجارة في ورشة النجار.

وتابعت رقية :

ـ نظرت عبر الشيش ورأيت نور ثقاب يتقدم في الظلام فناديت بما في من قوة :

ـ يا.. حسين ! ! حتى شق صوتي ظلام الليل واقشعر له بدني. وعاد السكون فسمعت حفيف الأشجار يحركها الريح في الخارج.

ناولتهما الأم الشاى وأرادت اغلاق آنية السكر النحاسية وهي منصرفة إلى ابنتها فسقط الغطاء من يدها وأحدث ضجة انخلع لها الثلاثة من أماكنهن. فقالت الضيفة وهي تضحك ضحكة عصبية تدارى بها رهبتها :

ـ حسبتهم دخلوا علينا.

فقالت الأم :

ـ ماذا لو كنت معنا تلك الليلة ؟

فسألت :

ـ وهل سمع الحسين ؟

ـ أى حسين ؟

ـ الذى ناديتماه

ضحكت المرأة حتى دمعت عيناها وقالت :

ـ ذلك من اختراع رقية. لا وجود له.

ـ فقالت رقية.

ـ ومع ذلك سمعت من يقول : «واو»

قالت الأم :

ـ إنها الريح

وتساءلت الضيفة :

ـ «واو» ؟

فقالت الأم :

ـ يعني نعم عند أهل الريف.

اقشعر جلدها وقالت وهي تزدرد ريقها :

ـ غريب ؟.. واللصوص ؟

قالت الأم :

ـ أمسكهم الخبز والملح. كان يقودهم خماس عاش معنا قبل أن تولد رقية.

وقالت رقية :

ـ ما زلت أرى أثر يده في الدقيق. ضخمة والأصابع مبسوطة متباعدة.. لن أنساها.

وعلقت الأم :

ـ كنت قد عدت بالدقيق من الطاحونة وقضيت اليوم في تصفيته فلما أدركني الليل تركت كل شيء على حاله حتى الصباح فإذا به يتحول إلى حجة.

قالت رقية ضاحكة :

- ذهب التعب كله إلى مقر رجال الدرك.

وأوضحت الأم :

- اعادوه لنا فتصدقت به.

فقالت رقية تقلد أمها :

- لن تأكل إلا ما كتب الله لك.

ومضى الليل حتى طرق الباب طرقا عنيفا فقفزت رقية وعبرت الحوش المظلم الذى تغطيه تعريشة الكرم في خطى مسرعة وهي تغني بصوت مرتفع تأنس به نفسها وتطرد حكاية اللصوص. فتحت الباب فدخل أبوها وهو يحمحم ثم أغلقته وعادت بسرعة.

ونامت الدار إلا الضيفة. استبدت بها الرهبة والتخيلات فأحكمت عليها الغطاء وتلت آية الكرسي غير ما مرة وقد عقدت العزم على الرحيل غدا.

استيقظت ربة البيت مع الشروق. حلبت البقرة وأطلقتها في المرعى ودخلت المطبخ. ثم استيقظ زوجها فملأ البيت بالنداء على رقية حتى ايقظ الصغار.وقامت رقية. عقدت حاجبيها وضربت الغطاء قائلة :

- لا نرتاح حتى في العطلة.

وحين دخلت على أبيها بسطت أساريرها كأنها لا تغلي بالإحتجاج.

قال لها :

- افتحي تلك النافذة.

فتحتها فاندفع الهواء والضوء. وخرجت وقد عاودها الإنقباض. وجدت أمها في المطبخ تخبز الفطور فجثمت بجانبها وقالت :

- اذا استيقظ حرم على البيت أن ينام.

وضج الحوش بالأطفال فصرخ أبوهم من حجرته :

- الا تعرفون الا اللعب بالدلاء والصفائح والمصائب ؟

واستيقظت الضيفة. وقد أصبح النوم ضربا من الخيال فخرجت إلى باب البيت. وجدت الشمس تغمر المراعي وبدت احواض الخضر والنعناع. وقد غطاها الندى وانعكس عليه ضوء الصباح. طرية وهادئة الاخضرار. وانهمك الدجاج في تقليب الأرض والاكمات فقالت في نفسها :

- ما أسرع ما يبدأ نهار الريف ؟

تثائبت فملأ رئتيها هواء نقي وخفيف انتعشت له. ثم قالت مرة أخرى :

- ما أبهى الصباح في الريف ؟

وقد نسيت ما حفلت به ليلتها من مخاوف وما عقدت عليه العزم قبل أن تنام. ثم تمشت حتى سمعت زوجة عمها تناديها.

كانت الأسرة قد جلست إلى المائدة بعدما فرغ الأب منها وانصرف. وقالت الأم لابنتها وهي تصب الشاي :

اذا انتهيت خذى ابنة عمك لجمع الزعتر من المراعي القريبة.

ثم سرعان ما انتهت الطفلتان فخرجتا للمهمة. ولكن رقية ذكرت الكيس في منتصف الطريق فعادت دون أن تتكلم وتبعتها الضيفة حتى دخلتا قبوا تحت الدار فتحته بمقبض أخذته من كوة في الجنار وانشغلت بالبحث عن الكيس بينما وقفت ابنة عمها وسط القبو.

على الأرض فحم متراكم وحطب وأكياس مرصوصة وخوابي وسلال... وفي غمرة الانشغال انغلق عليهما الباب فقفزتا لدويه وسمعتا صوت المقبض يطوح به خارجا. وعمتهما العتمة والصمت فلبدتا وكأنهما فأرتان وقعتا في الفخ.

سارت رقية على طول الجدران تجر قدميها حتى وجدت الباب. ولكن بدون مقبض كيف يمكن فتحه ؟

نظرت من ثقب القفل إلى درجات السلم بأمعان وتسمعت ولكن لم تسمع غير أنفاسها. خبطت الباب ونادت

من النقب كل من في البيت بلا فائدة. كمن يضرب الماء ليصير صلدا. جلست على الأرض وظهرها إلى الباب تلهث من الجهد إلى أن انتظمت أنفاسها ثم قامت إلى القفل من جديد تعالجه بدبوس شعر حتى تصلبت أصابعها فجلست مرة أخرى تمددها وتقبضها بشدة.. اعملت فكرها جيدا وبسرعة. وخطر لها أنها لو عثرت على حديدة وأدخلتها بين الدفة وإطار الباب لتمكنت من تكسير القفل فبدأت تتلمس الطريق وتبحث حتى تعثرت بجسم لدن أمسك بساقها وصدر عنه صوت مكبوت بين الانة واللهثة كصوت النائم الذى يفقده الرعب في المنام القدرة على الصراخ.

سقطت وهي تصيح صيحات حادة ومتلاحقة قبل أن تكتشف أنها ابنة عمها. وحتى بعد الإكتشاف تواصلت نوبة الصياح وأصابت عدواها الضيفة فازدادت حدة وقد هيجت في نفسيهما الفزع حتى ضج القبو بشكل فظيع. على أنه احتوق ضجته فلم تتسرب إلى الخارج. كأنه أحد استوديوهات أيام الحرب المقامة تحت الأرض.

ومرت اللحظة الرهيبة فتوقف الصراخ وخلف شهيقا وتنشقا متكررا ظل يتباعد حتى انقطع. ولو اضيء القبو في تلك اللحظة لتبين أن الطفلتين في صفرة الموت وأنهما ترتعشان كالأوراق الجافة في يد الريح.

مرت الأزمة فخمدتا وبخاطرهما نفس الفكرة. «رقية بين بطولات الأمس وواقع اليوم». ارتاحت لها الضيفة ولعلها ابتسمت في الظلام وأصابت رقية في كرامتها حتى فاق مصابها ما هي فيه. بفرقعة أصبع ذهب الزهو.. والشموخ.

هل كان ذلك أوهاما واضغاث أحلام ؟

وداخلها الشك في شجاعتها حتى قالت بلا شعور :

ـ قطع الله الزعتر.

ألح عليها الحنق فناضلت لابعاده. وبحثت عما تنشغل به فطفت على سطح الذكريات صورة «الغولة».

سمعت حكايتها في الليالي الباردة. تقصها امها. كانت تجلس ملتصقة بها. تتدثر بغطاء صوف وتصغي وهي تغالب النوم حتى يغلبها فتنام على صورتها المريعة. وقد توضحت هذه الصورة عندما بدأت تخرج لها كلما أكثرت الشغب.

جدتها هي التي كانت تبعث خالها ليحضرها. وكانت تدخل دخولا رسميا تحفه الهيبة. وتتمايل في مشيتها بجسدها الهائل.

كان لها وجه أسود. تذكر جيدا. ورأس ضخم وقرون وجسد يكسوه الشعر وصوت كث مبحوح.

في كل مرة كانت رقية تحتمي بجدتها وركبتاها تصطكان وقلبها يضرب حتى يوشك صدرها أن يتصدع لضرباته. وكانت الجدة تتوسط لديها وتتوسل حتى تصرفها بالتي هي أحسن.

على أنها إلى اليوم لا تفهم لماذا كان خالها يغلق عليه القبو مدة طويلة وحين يفتح منه لا يكون معها. ولا لماذا كان يغلق القبو بعدما تنصرف فلا يظهر خالها إلا بعد حين.

سيطرت عليها الذكرى حتى شعرت بأنفاس الغولة تحت أذنها فجمدت من الخوف. في حين اشتد الجوع على الضيفة فقامت إلى الباب وحاولت سحبه بوضع أصابعها في الشق ولكنها لم تمسك إلا حرف الدفة بأناملها. ضغطتها عليه لتتمكن منه ثم جذبته إليها بقوة ولكن انفلتت أصابعها وانثنت بعض أظافرها فبكت من الألم.

بعد ذلك نادت من النقب حتى جف حلقها ونظرت من خلاله حتى آلمتها عينها. ودفعها الجوع إلى البحث فنابرت عليه. عثرت على خابية نزعت عنها الخرقة التي تغطيها وأدخلت يدها فغاصت في سائل خفيف أدركت أنه زيت الزيتون. مسحت يدها بالخرقة ودعتها تقع على الأرض وواصلت البحث حتى اصطدمت بالأكياس.

لم تتمكن من فك النوم المحكم على فوهتها ولكنها وجدت في احداها ثقبا أوسعته وأخرجت منه حبة حمص فتنفست في ارتياح بعدما تكللت مساعيها وبالنجاح.

تمددت على الأرض وقد أنهكها الجهد وبدأت تأكل الحمص فلم تدرى كيف انزلقت واحدة واستقرت في ثقب انفها.

استقامت على الفور وتمخطت مرار ولكن الحمصة كانت مثبتة في مكانها. ملأها الخوف فلم تدر إلا وهي تنادى رقية فبحثت رقية حتى أمسكت بها. وجدتها تبكي في صمت فقالت :

- ما بك ؟

قالت :

- حمصة سدت أنفي.

لمست رقية جناحي أنفها حتى وجدت مكان الحمصة فقالت :

- ستنبث لك شجرة في أنفك.

وتذكرت الضيفة أنها غرست حمصا في البيت ونبت فازداد خوفها ولكنها لم ترد.

وقالت رقية :

- لا تصدقين ؟

- ......

- المعلمة قالت لنا أن الإنسان تراب.

ومرت لحظة قبل أن تقول رقية :

- الجمل نبت له بستان في ظهره. لم تسمعي القصة ؟

انسلخ موضع في ظهره فجفف صاحبه بذور البطيخ الأحمر ثم دقها وذرها عليه فنبتت...

توترت الضيفة وارتفع خوفها درجات فأوقفتها قائلة :

- لا أحد يريد سماع قصتك.

وقالت رقية ؟

- أنت التي بدأتني بالكلام... لما دفعتك الحاجة.

فانقضت عليها كهرة في حالة غضب.

وتماسكتا في الظلام حتى انهكت قواهما. ولما انتهت المعركة سقطتا على الأرض. وساد صمت رهيب تخلله بعد حين صوت الضيفة تندب حظها في طبقة صوتيه رقيقه تستدر بها الدمع ثم فتح الباب وغمر القبو نور بطارية آذق عيونهما فحمتاها بيدهما.

- أيتها التعستان..

قالتها امرأة وتنفست الصعداء ثم وضعت دلو فحم معدني على الأرض فسمعتا صوته. وقالت ثانية :

- قلبنا الدنيا عليكما. لم ندع مكانا على وجه الأرض حتى المنادى أطلقناه في القرية.. وأنتما هنا.

نسيت الفحم الذى جاء بها وخرجت بالطفلتين وقد تمزقت ثيابهما وثار شعرهما وحفرت الدموع على الوجهين المتسخين أخاديد عميقة.

وجدتا الظلام قد نزل فتمسكتا بالمرأة وتفادتا النور وكأنهما من طيور الليل. وألفتا البيت غاصا بالزائرات والأم معصوبة الرأس وساهمة. وجاءت بهما المرأة وهي تعلن البشرى :

- هاهما.. هاهما. وجدتهما في القبو.

فارتفعت التعاليق بين توبيخ ولوم واستنكار وهما صامتتان حتى قالت امرأة :

- تريدين قتل أمك يا رقية ؟

- وقالت أخرى :

- رأيتها اليوم تمر من الصراط.

فردت عليهما رقية بعدما غلبها الغيظ :

- أما أنا فقد كنت أتنزه.

ولما جيئتا بالطعام وهما على حالهما المزرية دخل الأب وهم بضرب ابنته فحالت النسوة دون ذلك وقالت احداهن :

دعها تأكل اللقمة في سلام.

وبعد ذلك بدأ هم الحمصة فكثرت الاقتراحات حتى حار رب الدار. واغضبه ذلك فقال لزوجته :

ـ هاتها.. سنأخذها إلى المستوصف.

امتقعت الضيفة وكاد يغمى عليها ولكن احدى النساء انقذتها بقولها :

ـ دعوني أتصرف.

اجلسوها بين يديها وتوجهت إليهما الانظار فأخرجت المرأة صندوقا صغيرا بداخله مسحوق ذرت على ظهر يدها قدرا يسيرا ثم امرتها باستنشاقه.

فقالت بعض النساء في نفس واحد :

ـ حشيشة العطاس ؟

وضحكن في جلبة. تمنعت الطفلة ولكن المرأة اسكتتهن وحثتها بصرامة. استنشقت على كره فانتابها عطاس متواصل حتى لفظ أنفها الحمصة. وعاودت النساء نوبة الضحك بينما اجهشت هي بالبكاء مرددة باستمرار.

ـ أريد أن أذهب إلى البيت.

فقال عمها لزوجته :

ـ اجمعي أغراضها. غدا سأرسلها مع السيارة العمومية التي تغادر عند الفجر.

المفكر الاسلامي الكبير الاستاذ محمد المبارك في ذمة الله

●● توفي إلى رحمة الله تعالى بالديار المقدسة المفكر الإسلامي الكبير الداعية المصلح المجاهد الأستاذ محمد المبارك. وذلك أثناء انتقاله بالسيارة من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة حيث يعمل أستاذا في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

والفقيد علم من أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. وداعية مجاهد وأستاذ أجيال في سوريا المسلمة الشقيقة وأقطار عربية أخرى. وقد اثرى المكتبة العربية الإسلامية بعدد وافر من المؤلفات التي تعتبر اليوم مراجع أساسية لطلاب الدراسات الإسلامية والمهتمين بالفكر الإسلامي.

وكان المرحوم قد زار المغرب منذ عدة سنوات تلبية لدعوة كريمة من صاحب الجلالة نصره الله للمشاركة في الدروس الحسنية الرمضانية.

ويعتبر الأستاذ محمد المبارك رحمه الله من كتاب مجلة «دعوة الحق» القدامى حيث شارك في تحريرها بأبحاث قيمة في سنواتها الأولى.

رحم الله الأستاذ الجليل محمد المبارك رحمة واسعة وتعازينا الحارة لذويه وأسرته الفاضلة في دمشق والمملكة العربية السعودية.

وانا لله وانا اليه راجعون ●●



●● تعززت الصحافة الإسلامية في المغرب بصدور مجلة (الإحياء) عن رابطة علماء المغرب وهي مجلة إسلامية جامعة شعارها الآية القرآنية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم). وقد جاء العدد الأول في 243 صفحة من الحجم الكبير متضمنا مجموعة من الأبحاث والدراسات الهادفة بأقلام نخبة ممتازة من علماء المغرب ومفكريه وباحثيه. وتتكون هيئة تحرير (الإحياء) من السادة العلماء الفضلاء الأساتذة، عبد الله كنون الأمين العام للرابطة. الرحالي الفاروقي عميد كلية الدراسات العربية بمراكش. أحمد بن شقرون عميد كلية الشريعة بفاس. محمد حدو أمزيان عميد كلية أصول الدين بتطوان. ويتولى سكرتارية الإدارة والتحرير الأستاذ عبد الصمد العشاب.



وبصدور (الإحياء) تكون رابطة علماء المغرب قد أكدت إسهامها الكبير في انتعاش الصحافة الاسلامية بحيث تمثل جريدة (الميثاق) التي تصدرها الرابطة منذ مطلع الستينات ومجلة (الإحياء) الجديدة واجهة إعلامية ذات إشعاع في الوسط الفكري. وقد ورد في افتتاحية العدد الأول من (الإحياء) ما يؤكد هذا المعنى، «فالميثاق إذن باقية كما كانت، ونؤمل لها أن تستمر في خطتها التي جعلتها عميدة للصحف الإسلامية في هذا الوطن العزيز. الى جانب (الإحياء) التي تخصصها للأبحاث العلمية والدراسات الإسلامية والموضوعات المختلفة التي يتناولها علماؤنا في مقالات مطولة فكنا نختصرها أو نقسمها فننشرها على حلقات، وربما لم تتمكن من نشرها أصلا ولكنها الآن تجد في أنهر (الإحياء) فسحة وفي صفحاتها متسعا فلن يكون هناك ما يحجب نشاط علمائنا ويمنعه من الظهور فمجلتهم مفتوحة الصدر لأي انتاج في أي مجالي من مجالات المعرفة بشرط أن يكون تناوله من منظور إسلامي».

وفق الله العاملين في حقل الصحافة الإسلامية. وأعان رابطة علماء المغرب وأسرة مجلة (الإحياء) وعلى رأسها الأستاذ الكبير عبد الله كنون على تحمل المسؤولية.

و(دعوة الحق) لا يسعها إلا أن تهنىء القائمين على (الإحياء) وتشد على أيديهم بحرارة داعية لهم بالتوفيق واطراد النجاح إن شاء الله ●●

شهريات دعوة الحق

يكتبها : عبد القادر الإدريسي

الأستاذ سعيد أعراب وموسوعة "التمهيد"

• • يتوالى صدور أجزاء الموسوعة الحديثية القيمة (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) للإمام الحافظ ابن عبد البر رضي الله عنه. وقد توزع العمل في تحقيق هذا الكتاب على مجموعة من فضلاء الباحثين.



ولكن حظ الأستاذ المحقق السيد سعيد أعراب من بين هؤلاء المحققين موفور ومتميز، إذ كان نصيبه العمل في تحقيق الأجزاء التالية : الرابع، والخامس ، والسادس، والتاسع، والعاشر، ويوجد تحت الطبع الجزء الثاني عشر. وأسندت إليه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إتمام الأجزاء المتبقية التي تنتهي في الجزء السابع والعشرين إن شاء الله تعالى .

والإنكباب على هذا العمل العلمي الموسوعي يستغرق من الأستاذ أعراب كل جهوده، ولذلك فقد انصرف منذ سنوات إلى (التمهيد) يقرأ نسخه المخطوطة ويراجع ويقابل ويصحح وينقل ويعود إلى أمهات المراجع الأساسية في هذا الفن ويعلق ويعقب ويكتب. وقد يقتضى منه ذلك مراجعات دقيقة في كتب الحديث وطبقات المحدثين والحفاظ والفقهاء، وغيرها من الكتب ذات الصلة بهذا الضرب من العلم.

وإذا كانت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية توالي إصدار أجزاء (التمهيد) في اهتمام وحرص بالغين، فإن مرد ذلك إلى التعليمات السديدة لجلالة الملك العالم المثقف الإسلامي الخبير بقيمة التراث العلمي الذي خلفه لنا الأجداد.

فليس من شك أن التمهيد من النفائس التي ظلت مهضومة الحق غير مجلوة المعالم وبعيدة عن متناول العلماء والدارسين وجمهور الطلبة وقد أبى العاهل الكريم وهو الأمين على الإرث الحريص على المقومات إلا أن يخرج هذا الكنز العلمي إلى النور لينتفع به المسلمون.



ومن حق الأستاذ سعيد أعراب علينا، ونحن في مقام الحديث عن موسوعة (التمهيد) أن نذكر له فضله الذي لا يجحد في تقديم الأجزاء التي حققها من هذا الكتاب في الصورة التي ترضى العلماء المختصين. وأشهد أن عددا من هؤلاء أثنى على جهد المحقق الأستاذ أعراب ثناء عاطرا وأشاد بسعة علمه واطلاعه ودقة منهجه وأسلوبه.

والأستاذ سعيد أعراب خير من يتعاطى مهنة التحقيق، التي هي فن له أصوله ومناهجه وقواعده، وتتطلب في مقدمة ما تتطلبه الدراية الواسعة والدقيقة بالتراث العربي والإسلامي والإحاطة الشاملة بمجموعة من العلوم والفنون والتوفر على طائفة من الخبرات والكفاءات والتجارب، هذا بالإضافة إلى الجلد والصبر والقدرة على التحمل، فقد يقتضى تحقيق كلمة واحدة الرجوع إلى مصادر متنوعة وقراءات متعددة في أبواب مختلفة.

وأذكر، أن الأستاذ محمود محمد شاكر، وهو من هو دراية ومعرفة وفهما لفن تحقيق التراث العربي الإسلامي، أطلع أثناء زيارته للمغرب منذ سنوات على أبحاث مغربية نشرها الأستاذ سعيد أعراب في بعض مجلاتنا فأبدى إعجابه بمنهجية الكاتب ونوه بجهوده ، وقال لي بالحرف الواحد ، إن هذا النفس انقطع عندنا في مصر منذ زمن بعيد.

وللتاريخ، أسجل للأستاذ الكبير محمود محمد شاكر نفس شهادة في حق العلامة المحقق الباحث الفاضل الأستاذ محمد المنوني فقد صادف أن قرأ فصلة عن صحيح البخاري بالمغرب في ليلة واحدة، وعند التقائي به في الصباح أعرب لي في تأثر بالغ وحماس شديد عن تقديره للأستاذ المنوني.

ومحمود محمد شاكر من القمم العلمية والأدبية الشامخة والمشهود لها بالصدق في الحكم على الرجال والأعمال، وهو من البقية الباقية من ذلك الجيل الكريم الذي أرسى للنهضة الثقافية في ديار العروبة قواعدها .

لقد قدم الأستاذ سعيد أعراب عطاء علميا من المستوى الرفيع، وإذا كانت هناك بعض المآخذ ـ إن جاز لمثلي أن يسجل ذلك ـ فإنها مما يتصل بالشكل والإخراج، فقد كان من الميسور أن تصدر هذه الموسوعة الهامة في حلة أجمل وتبويب أليق، ولكن هذا لا يقدح في قيمة الكتاب ولا ينال من الجهد المشكور الذي تبذله وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في سخاء كبير لإخراج كتاب (التمهيد) تنفيذا لتوجيهات جلالة الملك راعي النهضة العلمية في هذه البلاد.

ولعله مما يتصل بهذا الحديث أن أشير إلى أن الأستاذ سعيد أعراب يشتغل في نفس الوقت في كتاب (ترتيب المدارك) للقاضي عياض) رضي الله عنه، إذ حقق الجزء السادس، وهو بصدد تحقيق الجزء السابع الذي كان من المعتقد والشائع المتداول أنه الجزء الأخير، فإذا بالباحث المحقق يكتشف أن لكتاب ترتيب المدارك جزءا ثامنا.

ولعل موضوع هذا الاكتشاف مما لا يليق بي الخوض فيه، والأستاذ سعيد أعراب هو وحده صاحب الحق في أن يحدثنا عن ذلك ● ●





جوانب من تاريخ الصحافة الأدبية بالمغرب

•• كتب الأستاذ امحمد الجحرة رئيس تحرير مجلة (الأنيس) الأدبية التي كانت تصدر بتطوان في الأربعينيات والخمسينيات كلمة في جريدة (صوت الآباء) الصادرة بتاريخ 25 / 9 / 1981 يصحح فيها أخطاء نشرت في مقال حول المجلة المذكورة.



وتعميما للفائدة، وإبرازا لجانب مهم من تاريخ الصحافة الأدبية والثقافية بالمغرب في عهد الحماية ننشر مقال الأستاذ امحمد الجحرة مع الشكر للزميلة (صوت الآباء) وخالص التقدير للكاتب الفاضل.

«جاء في العدد 361 من جريدة «الميثاق» الغراء التي تصدرها رابطة علماء المغرب بمدينة طنجة، الصادر في فاتح شوال عام 1401 ـ 2 غشت 1981 مقال بعنوان «على هامش الموسوعة العربية الميسرة» تقديم وتصويب الأستاذ زين العابدين الكتاني تعرض فيه لما ورد في الموسوعة عن الصحافة بالمغرب مع ذكر ما صدر من بعض الصحف في المغرب ومن جملتها «الانيس».

وجاء نص الموسوعة كما ورد في جريدة «الميثاق» «وبعد ذلك صدرت «الانيس» لمحمد الجحرة سنة 1945».

وتصويب الأستاذ الكتاني لتصحيح وتعريف ما جاء في قائمة الموسوعة العربية الميسرة هذا نصه : (وسيرتكز هذا التصويب ـ ان صح التعبير ـ على اثبات القائمة والتعريف بها) وبعد ما عرف بقائمة الصحف المذكورة في الموسوعة نرجو ألا يكون قد أخطأ في تعريف بعضها مثل ما وقع في «الانيس» قال بهذا النص : (أما جريدة «الانيس» فقد أصدرها أولا المرحوم محمد المراكشي بمدينة تطوان حيث صدر عددها الأول في ربيع الثاني 1365 ـ موافق مارس 1946م. ثم استأنفت الصدور بحجم أكبر بإدارة واشراف السيد الجحرة بصدور العدد العاشر في رجب 1366 هـ ـ مايو 1946) وهذا غير صحيح ولاثبات ما ورد من سهو تصويب الأستاذ الكتاني حول «الانيس» وتحديد التاريخ ونوعية هذه الصحيفة وتطورها نثبت الحقائق التالية للتاريخ وللمهتمين بالصحافة المغربية وتاريخها.

«الأنيس» مجلة ثقافية فنية أسسها المرحوم محمد المراكشي بمدينة تطوان وصدر أول عدد منها في شهر ربيع الثاني 1395 ـ مارس 1946 في حجم متوسط، وكانت أعداد سنتها الأولى 9 آخرها في محرم 1366 ـ دجنبر 1946، اما سنتها الثانية فتبتدىء بالعدد 10 الصادر في رجب 1366 ـ ماي 1947 في حجمها الكبير بإدارة المرحوم المراكشي لا بإدارة واشراف السيد الجحرة ـ وقد صدرت أربعة أعداد من هذه السنة آخرها العدد 13 في شوال 1366 ـ غشت 1947 وتوقفت عن الصدور بسبب مرض مديرها ومؤسسها المرحوم محمد المراكشي طيب الله ثراه.

وحفظا على استمرار صدورها بانتظام، وخوفا من توقفها مرة أخرى أثناء رحلة المرحوم إلى مدينة مراكش للعلاج والاستجمام من المرض المعضل الذي أصيب به، فقد تنازل عن مسؤولية وإدارة شؤون المجلة كلها إلى السيد امحمد الجحرة بموافقة رجال السلطة وبعد طلب صدورها من جديد تحت مسؤولية المدير الجديد، وبذلك استأنف ابن خالة المرحوم تصدير أول عدد من سنتها الثالثة وهو العدد 14 (لا العدد 10) بتاريخ جمادى الأولى 1367 ـ مارس 1948 وقد جاء نص هذا التحويل في الصفحة التاسعة من العدد المذكور.

هذا وبعد رجوع المرحوم من مدينة مراكش ولم ينفع في مرضه أي علاج علاجته المنية ظهر يوم الأحد 20 رجب 1367 ـ 30 مايو 1948 عن سن الرابعة والعشرين من عمرشاب ناهض أقبل على الحياة بعقل ثاقب وذكاء متفتح رحمه الله وجزاه عنا خيرا.

ومنذ أن تحملت مسؤولية تصديرها في مارس 1948 بعد أن كنت رئيس تحريرها من أول عددها الأول لم تتوقف عن الصدور أبدا إلا في يوليو 1956 حيث توقفت نهائيا. ولحد الآن لازال المهتمون بالحركة الفكرية والنهضة الثقافية اواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات يبحثون عنها وعلى ما نشر فيها من الاثر الفكري الخلاق حتى أصبحت للباحثين الذين يهيئون الدراسات العليا من أهم المراجع. وأكثر ما أتأسف عليه من هذا التراث المفقود هو أنني لا أملك نسخة زائدة عن المجموعة المسفرة التي احتفظ بها. وهذا ما جعل من بعض الأصدقاء الأساتذة يقصدون بيتي للاطلاع على مجلة «الأنيس» وما بها من تراث وعلى غيرها.

ولا أترك هذه الفرصة تمر دون أن أشكر الأستاذ عبد القادر الادريسي على كلمته الرقيقة التي نوه فيها بـ «الانيس» وبمؤسسها المرحوم محمد المراكشي وبكاتب هذه السطور في مذكرات العلم في العمود الرابع من صفحة 10 في مقال بعنوان (اعلامنا الشوامخ بين البر بهم والعقوق لهم» نشر بجريدة العلم عدد 371 ـ 11 بتاريخ 26 غشت 1981 ومما قاله الأستاذ الادريسي :

(ولقد كانت «الانيس» منبرا أدبيا إلى الوطن العربي وأرض المهجر في الامريكتين . وفي «الانيس» كتب وبرز محمد الصباغ، محمد العربي الخطابي، د. عبد الله العمراني، وآخرون. وقد ظهرت في منتصف الاربعينات ولم تمهل المنية مديرها محمد المراكشي فرحل عن دنيا الاحياء، وهو في قمة عطائه الصحفي، فتولاها من بعده الأستاذ محمد الجحرة الذي أعطى لهذه المجلة من شبابه ما جعلها في مستوى المجلات الثقافية التي كانت تصدر بالمشرق العربي في تلك الفترة.

ومن يذكر اليوم محمد المراكشي ؟ بل من يذكر محمد الجمرة الكاتب والصحافي رئيس تحرير «الانيس» بعد وفاة مؤسسها).

بهذه الفقرة التي أثبتناها من مقال الأستاذ الادريسي والتي جاد بها قلمه الفياض اثباتا للحقيقة والتاريخ نجعل ختام هذا المقال حول تصويب مجلة «الانيس».

علم التوقيت في المغرب

●● بمناسبة تدشين مدرسة التوقيت التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمدينة سلا، ألقى الأستاذ محمد بن عبد الرازق كلمة قيمة أبرز فيها أهمية علم التوقيت وحاجة بلادنا إلى أطر مكونة في هذا الميدان وفيما يلي نص الكلمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه.

معالي الوزير حضرات السادة :

لايخفى أن العلوم الفلكية هي من العلوم القديمة التي اعتنى بها الأوائل حتى قيل أن أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم وألهمه الله أسرار الفلك وتركيبه هو نبي الله سيدنا ادريس عليه السلام ويقال انه كان بالعراق العربي ثم انتقل إلى القطر المصري ثم لما وقعت حادثة الطوفان في زمن نوح عليه السلام وانتشرت العمارة في الأرض وكثر سكانها وتفرقت أصناف الأمم على ظهرها كان للبعض منهم عناية بعلم الفلك والنجوم وغير ذلك من الفنون الحكيمة.

منهم الهنديون الذين كانت لهم الآراء الصائبة في علم العدد والهندسة والطب والنجوم والعلم الطبيعي والإلهي ومن أشهر كتبهم السند سهند ومعناه لاعلم البيئة وحساب حركات الكواكب على أقوم طريق ويسمى باسند هند الكبير تمييزا له عن زيج محمد بن موسى الخوار زمي المسمى بالسند هند الصغير.

ومنهم الصينييون الذين اشتغلوا بعلم الفلك قبل الميلاد بنحو ألفي سنة وكانت حركتهم تهييء لكل سنة قبل حلولها بعدة شهور تقويما ملكيا يوزعه المؤرخ الأكبر على أكابر الموظفين كي يسترشدوا به في تدبير أعمالهم الإدارية وهم أول من توصل لمعرفة الدورة الوسطى للشمس والقمر والنجوم وكانوا يتوصلون لتحديد ذلك بواسطة الساعات المائية.

ومنهم الأشوريون والفرس والكلدانيون والرومانيون والمصريون والقحطانيون من العرب واليونانيون وفي عهد اليونانيين بلغت العلوم الفلكية وغيرها أوجها بسبب ماظهر فيها من الحكماء الذين منهم ميثاغورس ومقراط وأفلاطون وارسطو.

وبعد ماكانت تلك العلوم مزدهرة انطفأ مصباحها في أوروبا بانقراض الرومانيين وغلبة الأمم المتوحشة عليها وكانت في عهد الرشيد العباسي مهد جهالة وصارت بلاد الإسلام مهد علم وعرفان وفي عهد المامون العباسي ترجمت عدة كتب يونانية وهندية وغيرها وبسبب ذلك ازدهر علم الفلك وغيره في البلاد الإسلامية حتى صار الأوروبيون وغيرهم يأخذون منها وقد أمر المأمون العلماء الذين جمعهم من أقطار مملكته أن يصنعوا مثل الات الرصد الموصوفة في المجسطي وأن يقيسوا بها الكواكب ,ويتعرفوا أحوالها بها ففعلوا ذلك وتولوا الرصد بمدينة الشماسية وبلاد دمشق من أرض الشام وذلك سنة 214 هـ فكان ذلك أول مرصد وضع في الإسلام فوقفوا على زمن السنة الشمسية الرصدية ومقدار الميل الكلى والاوج وعرفوا مع ذلك بعض أحوال ما في الكواكب السيارة والثابتة.

ومن ذلك العصر اشتهر علم الفلك في سائر الأقطار الإسلامية واعتنى الناس به اعتناء كبيرا وقاموا بأرصاد جليلة في أوقات مختلفة وأمكنة متباعدة.

ومن المعتنين به فيلسوف العرب في عصره يعقوب بن اسحاق الكندي المتوفى سنة 260 هـ موافق 873م وله كتب عديدة في علوم مختلفة.

ومنهم ثابت بن قرة المتوفى سنة 288 هـ وهو شيخ أحمد بن الطيب السرخصي المتفنن في علوم كثيرة منها المدخل إلى صناعة النجوم.

ومنهم أبو العباس الفضل بن حاتم النيريزي وأبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي الخرساني المتوفي سنة 272 هـ ومحمد بن جابر البتاني المتوفى سنة 317 هـ وقد قال فيه لالند الثاني احد الفلكيين العشرين الذين ظهروا في العالم كله.

وقد ذكرنا في معالنا في الاسطرلاب عددا كثيرا من العلماء الفلكيين وختمناهم بشيخنا المرحوم العلامة الشريف سيدي محمد العلمي قدس الله روحه فقد خلف مايزيد على ثلاثين مؤلفا وهو عمدتنا وحجتنا جعله الله مع المنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

هذا واننا لنعتز ونفخر بافتتاح هذه المدرسة مدرسة التوقيت في عهد جلالة ملكنا المفدى سيدنا ومولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده فنرجو من الشباب أن يجنوا ثمارها ويقتطفوا أزهارها وأن يقبلوا عليها ليسترجعوا ماتركه لنا أسلافنا المنعمون على العلوم الفلكية بها تؤدى الصلوات في أوقاتها المحققة ويؤدى الصوم والحج كذلك فهي مرتبطة بأمور الدين ارتباط الروح بالجسد.

وقد قال الحطاب في باب أوقات الصلاة قال في المدخل ومذهب مالك أن معرفة الأوقات فرض في حق كل مكلف ذكر التونسي ان من لم يكن عارفا أو كان غير مأمون لايقتدى به ثم قال الحطاب وإذا علم دخول الوقت بشيء من الآلات القطعية مثل الاسطرلاب والربع والخيط المنصوب على خط وسط أسماء فإن ذلك كاف في معرفة الوقت وإذا أراد أن يتعمد على مجرد رؤية المنازل طالعة أو متوسطة فلابد أن يتربص حتى يتيقن دخول الوقت لأن مجرد رؤية المنزلة طالعة أو متوسطة لايفيد معرفة الوقت تحقيقا وإنما هو تقريب بخلاف ماإذا علم توسط كوكب معلوم بالخيط المذكور وعرف مطالعه وانه يتوسط عند طلوع الفجر أو العشاء فهذا يفيد معرفة دخول الوقت تحقيقا فيعتمد على ذلك قال وكلام البرزالي يدل على ذلك هـ وقد قال خليل في مختصره وان شك في دخول الوقت لم تجز ولو وقعت فيه وقال ابن عبد البر في التمهيد في حديث صوموا لرؤية الخ وفيه أن اليقين لايزيله الشك ولا يزيله إلا يقين مثله لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن لايدعوا ماهم عليه من يقين شعبان إلا بيقين رؤية أول استكمال العدة

وان الشك لايعمل في ذلك شيئا ولهذا نهى عن صوم يوم الشك اطراحا لأعمال الشك واعلاما ان الاحكام لاتجب إلا بيقين لاشك فيه وهذا أصل عظيم من الفقه أن لايدع الإنسان ماهو عليه من الحال المتيقن الا بيقين من انتقالها هـ إلى غير ذلك.

ولهذا فتعلم علم الفلك وتعليمه هو واجب وجوبا كفائيا لأن معرفة دخول الوقت تحقيقا إنما يكون بمعرفة العلوم الفلكية وبآلاتها القطعية.

وكما يعرف به دخول الوقت تحقيقا يعرف به سمت القبلة وجهتها وكذا يعرف به كون الهلال يرى قطعا أو لايرى قطعا أو تمكن رؤيته امكانا راجحا أو رجوحا.

وقد قال القرافي في بروقه حساب الاهلة والخسوس والكسوف قطعي بإن الله تعالى أجرى عادته بأن حركات الأفلاك وانتقالات الكواكب السبعة على نظام واحد طول الدهر وكذلك الفصول الأربعة والعوائد إذا استمرت أفادت القطع كما اذا رأينا شيخا نجزم بأنه لم يولد كذلك بل طفلا للعادة والا فالعقل يجوز ولادته كذلك بالقطع الحاصل فيه إنما هو لأجل العادة هـ.

على أن مزايا علم الفلك ليست قاصرة على أمور الدين بل هي عامة في مسائل الدين والدنيا وإذا كانت الدولة غير الإسلامية تهتم بهذا العلم في مسائل الدنيا وتستخرج تقاويم مهمة في كل سنة وتهيىء له كليات ومراصد ضخمة فكيف لاتهتم به الدول الإسلامية وهو ينفعها في سائر دينها ودنياها وإذا كان علماؤنا المتقدمون قد بذلوا مجهودا عظيما في سبيل هذا العلم حتى صاروا قادة للأوروبيين وغيرهم فكيف تنبذ الدول الإسلامية ذلك المجهود العظيم المبني على الرصد والحساب القطعي وتبني أمورها على الحدس والتخمين وتترك اليقين مع أن وسائله مهيأة ومخدومة تركها لنا علماؤنا المقدسون الذين بنورهم تتمشى سائر الدول الآن.

هذا واننا لنشكر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وعلى رأسها معالي الوزير الذي قام بتدشين هذه المدرسة التي سيكون لها مستقبل زاهر.

ونطلب الله أن يحفظنا في جلالة ملكنا الحسن الثاني بما حفظ به الذكر الحكيم وأن يقر عينه بولي عهده المحبوب سيدي محمد وصنوه السعيد المولى الرشيد وفي سائر أنجاله الأمراء الكرام وأن يريه في شعبه جميع متمنياته، امين والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله.





• الحلقة الأخيرة من دراسة الشاعر الوزير

محمد بن موسى

• التعامل **المغربي التونسي** في نهاية القرن 18 وبداية القرن 19.

• مشاهداتي في **أندونيسيا**

• منهج الامام البخاري في **علم الحديث**

ومقالات أخرى..

المغرب:

• صدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية كتابان في التعريف بالإسلام باللغة الفرنسية الأول ترجمة فرنسية لكتاب (الاعلام بحدود قواعد الإسلام) للقاضي عياض والثاني (أركان الإسلام).

وقد طبع الكتابان تحت اشراف اللجنة المشتركة لاحياء التراث الإسلامي بين المغرب ودولة الامارات العربية.

ويلبي الكتابان حاجة جمهور واسع من المتعلمين باللغة الفرنسية في افريقيا الغربية وفي أوساط الجاليات العربية في أوربا.

وتهدف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من نشر هذين الكتابين إلى اشاعة الثقافة الإسلامية المبسطة بين الفئات القارئة بالفرنسية وهو عمل ثقافي يدخل في إطار اهتمامات الوزارة بالدعوة الإسلامية في الداخل والخارج.

وكان الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي قد حقق كتاب الاعلام للقاضي عياض حيث قدم ترجمة وافية للمؤلف لاتزال إلى اليوم أهم مرجع في الكتابة عن *عالم المغرب الكبير القاضي عياض.

وجاءت الترجمة الفرنسية لكتاب الاعلام مستوفية للشروط الموضوعية التي تبرز النص الأصلي في نصاعته واشراقته.

• حقق الأستاذ سعيد أعراب الجزء العاشر من كتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البر. وقد صدر هذا الجزء عن مطبعة الشويخ «ديسبريس» بتطوان ويقع في 365 صفحة من الحجم الكبير. ويبتدىء من (حديث خامس لابن شهاب عن سالم يجري مجرى المسند) وينتهي عند (حديث ثان لابن شهاب عن أبي عبيد) ويحتوي هذا المجلد على الفهارس التالية : فهرس الموضوعات. فهرس الآيات. فهرس الأحاديث. فهرس الآثار. فهرس مصطلح الحديث. فهرس الجرح والتعديل. فهرس الكلمات المشروحة. فهرس الأبيات الشعرية. فهرس الأعلام (المترجم لهم) فهرس الشعوب والقبائل والطوائف والفرق. فهرس البلدان والأماكن. فهرس مصادر التحقيق.

ويتحدث الأستاذ سعيد أعراب عن منهج التحقيق فيقول في المقدمة : لم يطرأ جديد على النسخ الخطية والمنهج الذي سرت عليه في الجزء التاسع، ويجب التذكير بأن النسخ التي اعتمدتها في تحقيق هذا الجزء (العاشر) نسختان :

1 ـ صورة عن نسخة الرياض. ونرمز إليه بحرف (ض). وهي تامة ولذا جعلناها الأصل.

2 ـ صورة عن نسخة مراكش . ونرمز إليها بحرف (ش).

البحرين :

• صدر كتاب وثائقي بعنوان (المنتدى الإسلامي حياته وآثاره 1918 إلى 1936) للشاعر البحريني مبارك عاطر. ويعتبر المنتدى الإسلامي من أوائل الأندية التي أنشئت في البحرين وكانت لها نشاطات ثقافية وأدبية رائدة.

موريطانيا :

• صدرت للكاتب الموريطاني أحمد ولد عبد القادر رواية بعنوان (الأسماء المتغيرة) الكاتب هو رئيس رابطة أدباء موريطانيا.

العراق :

• أصدرت وزارة الاعلام في العراق الكتب التالية :

ـ (الشعر المعاصر في البحرين) تأليف علوي الهاشمي.

ـ (الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني) تأليف د. حسام سعيد النعيمي.

ـ (ديوان الحماسة) لأبي تمام برواية موهوب بن أحمد الجواليقي حققه د. عبد المنعم أحمد صالح.

ـ (الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري) تأليف د. عفيف عبد الرحمان.

ـ (حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث ، 1850 ـ 1878) تأليف د. ضاري حمادي.

اليمن ش ى

• نظمت جامعة صنعاء ندوة عالمية احتفالا بالذكرى الألفية للمؤرخ اليمني الحسن بن أحمد الهمداني، وذلك خلال شهر أكتوبر الماضي، وشارك في الندوة عدد من أساتذة التاريخ في الجامعات العربية والأجنبية بموضوعات وبحوث حول مؤلفات الهمداني في التاريخ والجغرافيا الإنسانية.

وقد ألف الهمداني - الذي ولد في صنعاء في القرن الهجري الثالث وبرز في القرن الهجري الرابع - عددا من الكتب أشهرها موسوعته التاريخية الثقافية ، الاكليل، وصفه جزيرة العرب، وأخبار اليمن في الكتب القديمة

م ع السعودية :

• أصدر الكاتب السعودي الكبير محمد حسين زيدان كتابا بعنوان (ثمرات قلم)، يضم الكتاب 48 موضوعا.

• ضمن سلسلة (المكتبة الصغيرة) صدر كتاب جديد للدكتور محمد محمد حسين عن (المتنبي والقرامطة)، وذلك عن منشورات دار الرفاعي.

• (دور اليهود في الفرق الباطنية) عنوان الرسالة التي تقدم بها أحمد محمد المغربي إلى قسم الدراسات العليا في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، للحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية.

مصر :

• صدرت حديثا، المجموعة الأدبية الأولى من أوراق الشاعر محمود سامي البارودي قام بدراستها وتحقيقها وشرحها الدكتور سامي البدراوي، وصدر الكتاب عن المركز العربي للبحث والنشر.

وأهمية هذا الكتاب انه يضم أعمالا أدبية لمحمود سامي البارودي لم يسبق نشرها ولم ترد أية إشارة إليها في كل ماكتب عن البارودي وإنتاجه، وهذه الأعمال الأدبية هي :

مجموعة شعرية في حوالي سبعمائة بيت - وأربع رسائل بين مترجمة ومؤلفة ،

وهذه الرسائل إضافة لدراسة إنتاج البارودي والتعريف بمدى تنوع اهتمامات الرجل الفكرية والأدبية والتعريف بقضايا العصر.

وأولى هذه الرسائل نص فلسفي ترجمه البارودي عن الانجليزية، والثانية ترجمة أيضا وأغلب الظن انها عن الانجليزية من أصل هندي. وتعالج الرسالتان موضوعا هاما كان مثارا في القرن الماضي، وهو قضية العلاقة بين العقل والمثاليات.

أما الرسالة الثالثة (رسالة الفواصل) فهي اقتباسات عربية وغربية، مع بعض تعليقات ويتبين القارىء فيها اهتماما بقضية العدل والظلم ومكانة العلم.

وتركز الرسالة الرابعة على موضوع النقد الأدبي، وتتناول نقد الشعر، وهي تكملة لكتابه (قيد الاوابد) وتقدم على اثبات حكم نقدي لشاعر أو ناقد من مشاهير العرب القدماء.

ويبدو أن (نقد الشعر) كان بداية مشروع نقدي لم يتمه البارودي.

وقد حصل المحقق الدكتور سامي البدراوي على هذه الأوراق منذ منتصف الستينات، وكما يقول في مقدمته ، ليس هذا العمل الذي أقدمه للدارسين والقراء عامة، إلا باكورة هذا الفيض الحافل.

• صدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، كتاب ، دراسات مقارنة في الاشتراكية الديمقراطية، شارك فيه 14 باحثا وكاتبا وقدمه الدكتور بطرس غالي.

يتناول الكتاب الأصول التاريخية للاشتراكية الديمقراطية ومفهوم الديمقراطية في الفكر الاشتراكي الديمقراطي، بالمقارنة بموقف النظريات السياسية الأخرى من قضية الحرية.

كما يتناول الكتاب تجارب الاشتراكية الديمقراطية في أوروبا، خاصة في فرنسا - المانيا الاتحادية - النرويج - السويد - النمسا.

كما أعطى الكتاب بعض النماذج من تجارب العالم الثالث الشغال ـ تونس ـ اليابان. ـ وخصائص كل تجربة.

● أصدرت (دار المعارف) طبعة جديدة من لسان العرب بمنهج جديد وتحقيق وتعقيب جديدين. فقد ضبط الكتاب بالشكل الكامل ورتب وفق الحروف الهجائية لأوائل الكلمات لا أواخرها جريا على طريقة المعاجم الحديثة وأضيفت إلى متن الكتاب هوامش حافلة بالتحقيق والمقابلة والاستدراك والتنبيه على ماوقع في الطبعات السابقة من أخطاء وقد قام على هذا العمل الأدبي الجليل الأساتذة ، عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي.

● عن دار المعارف صدرت للكاتب علي أدهم ثلاث كتب جديدة هي ، (صور أدبية) و (على هامش الأدب والنقد) و (نظرات في الحياة والمجتمع).

● صدر للكاتب محمد صديق لهيطة كتاب بعنوان (أنت ونقطة التوازن).

● نوقشت بكلية الآداب جامعة الاسكندرية رسالة الماجستير المقدمة من الطالب ، ابراهيم ترك في موضوع (نظرية الكلمة في الفكر الإسلامي) وتكونت لجنة المناقشة من الدكاترة ، أحمد صبحي (مشرفا) ومحمد علي أبو ريان وعاطف العراقي (عضوين).

● أصدرت دار الشروق بيروت ـ القاهرة أعمال الشاعر المرحوم صلاح عبد الصبور في طبعة أنيقة جديدة جعلتها في كتيبات مستقلة (تأملات في زمن جريح) شعر (أقول لكم) شعر (أحلام الفارس القديم) شعر (شجر الليل) شعر (ليلى والمجنون) مسرحية.

فرنسا :

● «متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية» صدر عن (دار المحيطان) ويضم متن الاحاديث الشريفة وترجمة فرنسية لها. الأحاديث جمعها الإمام يحيى بن شرف النووي (676 هـ) تولى الترجمة محمد طاهر ويقع الكتاب في 110 صفحات من الحجم المتوسط.

● (وحدانية التصوف والابداع المستمر في التصوف الإسلامي) صدر باللغة الفرنسية . للمفكر الياباني المعاصر ، ايزوتزو تولت نشر هذا الكتاب «دار المحيطان» البارـيسية وضم أربع دراسات هي ،

ـ البنية ـ ركائز الفكر الإسلامي.

ـ تحليل وحدة الوجود.

ـ مقارنة بين مفهوم الابداع المستمر في الصوفية الإسلامية والبوذية».

ـ دراسة عن الفلسفة الصوفية لعين القضاة الهمداني.

الكتاب ألف بالانجليزية، وهذه ترجمة فرنسية عنها، ويقع في 150 صفحة.

● (المراسلات بين ماكس فان برشم ولويس ماسينيون)

(كتاب جديد ضم مجموعة من الرسائل المتبادلة بين المستشرقين البارزين بين سنتي 1907 ـ 1919م ويقع في 112 صفحة من القطع المتوسط.

تتناول الرسائل آراء حول تاريخ الشرق والآثار الإسلامية كالزخارف والكتابات والاختام والمخطوطات المتعلقة بها.

بلجيكا :

● افتتحت في بروكسيل أول جامعة من نوعها في العالم. اطلق عليها اسم ، جامعة المرأة، حيث تختص بتدريس كل مايدور حول شؤون المرأة فقط منذ القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين. وتتصدر حركات تحرير المرأة ودوافعها في العالم قائمة المناهج التي تدرس بها كذلك فإن كل من يدرس في الجامعة من النساء !

فهرس العدد 7 السنة 22

مطبعة فضاله . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3





من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية





أعداد السنة 21 من مجلة "دعوة الحق"







